


دكتور
عبد الهادي عبدالله عطية
كلية التربية - جامعة الإسكندرية
فرع دمنهور

ملامح نقدية فى الأدب العربى

الجزء الثانى


مكتبة بستان المعرفة
لطبوع ونشر وتوزيع الكتب
كفر الدوار - الجمائق - بجوار نقابة التطبيقيين
٠٤٥ / ٢٢٤٢٢٨

**ملاحق نقدية
في الأدب العربي**

ملاحق نقدية
فنى الأدب العربى
الجزء الثانى

دكتور عبد الهادى عبد الله عثمان

كلية التربية - جامعة الإسكندرية

فرع دمنهور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى أستاذي

الدكتور أحمد هيكل

أحد جهابذة الأدب والنقد في مصر

ووزير الثقافة السابق

الذي كان عضواً في لجنة مناقشة رسالتي
للدكتوراه، وأثنى عليّ كثيراً، فهل يكون
إهدائي له هذا العمل رداً لبعض جميله عليّ
واعترافاً بدمائة خلقه، وكريم طبعه، وجميل
أدبه؟

مقدمة

أحمد ربي جل في علاه، وأصلى وأسلم على محمد بن عبد الله
ويعد فهذه نظرات نقدية في الأدب العربي، تنوعت بين النظر في
الشعر، والبحث في النثر، وقد بدأتها بعرض سريع للمقامة القريضية،
وهي المقامة الأولى في مقامات بديع الزمان الهمذاني، ثم انطلقت
منها إلى النظر في شعر امرئ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير بن
أبي سلمى، وطرفة بن العبد، وجربير بن عطية، والفرزدق، وشعر
القدماء والمحدثين، هذه القضية التي أثيرت في العصر العباسي،
وكان لها مدى واسع في كتب التراث النقد العربي، ثم عرضت المقامة
الغيلانية، وتعرضت لها بالنقد السريع، ثم تعرضت للمصطلحان
العبدى، والبعيث، وذى الرمة بالتأريخ الأدبي، وأخيراً لمست ألفاظ
المقامة الغيلانية ونقدها من حيث صلتها بالشعر القديم، كما فعلت
ذلك في المقامة القريضية.

وفي كل هذا العمل جعلت الشعر أساساً في عملي فذكرت من
الشعر ما يدل على كل فكرة أريد إثباتها أو معنى أريد تناوله
بالتحليل، وجمعت شعراً كثيراً في هذا العمل لعل هذا الشعر يؤكد ما

أريد تأكيده، وتأصيله في هذا العمل، وهو أن الشعر العربي القديم كان على درجة عالية من الذوق الأدبي والفنى، وأن الشعراء القدامى كانوا بحسبهم الفطرى، وإدراكهم الفنى، وسليقتهم الشعرية أعظم ما يكونون فناً وموهبة وشفافية وتعبيراً، وأن شعرهم قد عبر عن كل ما يريدون أن يعبروا عنه، فأولى بنا أن ننظر نظرة طيبة لتراثنا العربى العظيم، هذا التراث الذى إن رجعنا إليه، وفهمناه، وأدركنا أبعاده، وتذوقناه فإننا نكون قد وضعنا أيدينا على ثروة هائلة من الفكر، والفن، والتذوق الجميل، الذى أدركه العربى فى جاهليته، وسار به العربى، ومحب العربية حتى اليوم يرى التعبير الرائع فى اللغة الفصحى الجميلة، وكلما ازداد إدراكاً للغة الفصحى ازداد إحساسه بجمال التعبير فى لغة الضاد الجميلة. وأنا أزعم أننى من عشاق لغة الضاد، ومن أنصار التراث القديم، لذا فإننى أرجع إليه دائماً خدمة للغة القرآن الكريم، وأدب العرب.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يعيننا على أن نكمل ما بدأناه فى هذه السبيل، إنه من وراء القصد، وإنه نعم المولى ونعم النصير.

دكتور عبد الهادى عبد الله عطية

الفصل الأول

المقامة القريضية

المقامة القريضية

حدثنا عيسى بن هشام قال: طرحني النوى مطارحها حتى إذا وطئت جرجان الأقصى، فاستظهرت على الايام بضياح أجلت فيها يد العمارة، وأموال وقفتها على التجارة، وحانوت جعلته مثابة، ورفقة اتخذتها صحابة، وجعلت للدار حاشيتي النهار، وللحانوت ما بينهما، فجلسنا يوماً نتذاكر القريض وأهله، وتلقا منا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى إذا مال الكلام بنا ميله، وجر الجدل فينا ذبله، قال: قد أصبتم عذيقه، وأوفيتم جذيله، ولو شئت للفظت وأقضت، ولو قلت لأصدرت وأوردت، ولجلوت الحق في معرض بيان يسمع الصم، وينزل العصم، فقلت: يا فاضل ادن فقد منيت، وهات فقد أثنت، فدنا وقال: سلوني أجيبكم، واسمعوا أعجبكم، فقلنا: ما تقول في امرئ القيس؟ قال: هو أول من وقف بالديار وعرضاتها، واغتدى والطير في وكناتها، ووصف الخيل بصفاتهما، ولم يقل الشعر كاسياً، ولم يجد القول راغباً، ففضل من تفتق للحيلة لسانه، وانتجع للرجبة بنانه، قلنا: فما تقول في النابغة؟ قال: يثلب إذا حنق، ويمدح إذا رغب، ويعتذر إذا رهب، ولا يرمي إلا صائباً، قلنا: فما تقول في زهير؟ قال: يذيب الشعر والشعر يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه، قلنا: فما تقول في طرفة؟ قال: هو ماء الأشعار وطينتها، وكثر القوافي ومدينتها، مات ولم تظهر أسرار دقاته، ولم تفتح أغلاق خزائنه، فقلنا:

فما تقول في جرير والفرزدق؟ وأيها أسبق؟ فقال: جرير أرق شعراً،
وأغزر غزراً، والفرزدق أمتن صخراً، وأكثر فخراً، وجرير أوجع هجواً،
وأشرف يوماً، والفرزدق أكثر روماً، وأكرم قوماً، وجرير إذا نسب أشجى،
وإذا ثلب أردى، وإذا مدح أسنى، والفرزدق إذا افتخر أجزى، وإذا
احتقر أزرى، وإذا وصف أوفى، قلنا: فما تقول في المحدثين من الشعراء
والمتقدمين منهم؟ قال: المتقدمون أشرف لفظاً، وأكثر من المعاني حظاً،
والتأخرون ألطف صنعاً، وأرق نسجاً، قلنا: فلو أريت من أشعارك؟
ورويت لنا أخبارك؟ قال خذهما في معرض واحد وقال:

أما تروني أتغشى طمسرا
ممتطياً في الضر أمرا مسرا
مضطبناً على الليالي غمرا
ملاقيا منها صروفنا حمسرا
أقصى أمانى طلوع الشعري
فقد عيننا بالأمانى دهرنا
وكان هذا الحر أعلى قسدا
وماء هذا الوجه أغلى سعرا
ضربت للسرا قبايا خضسرا
في دار دارا وإيسوان كسرا

فانقلب الدهر لبطن ظهرا
وعاد عرف العيش عندي نكرا
لم يبق من وفسري إلا ذكرا
ثم إلى اليوم هلم جـرا
لولا عجسوز لي بسر من را
وأفسرخ دون جبال بصرى
قد جلب الدهر عليهم ضـرا
قتلت يا سادة نفسي صبـرا

قال عيسى بن هشام: فأنتله ما تاح، وأعرض عنا فراح، فجعلت
أنفيه وأثبته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دلتنى عليه ثناياه، فقلت:
الإسكندري والله، فقد كان فارقنا خشفاً، وواقانا جلفاً، ونهضت على
إثره، ثم قبضت على خصره، وقلت: ألسنت أبا الفتح؟ ألم نريك فينا
وليداً وليثت فينا من عمرك سنين؟ فأبي عجوز لك بسر من را؟ فضحك
إلي وقال:

ويحك هذا الزمان زور فلا يفرنسك الغرور
لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور

المعاني واللغة:

قال الأستاذ الإمام في شرح هذه المقامة: (١)

النوى: ما ينويه المسافر يسفره فهو القائد له يصرفه في المسالك،
ويطرحه المطارح، فلم يزل مقصده يرميه في مكان، ثم ينقله فيطرحه في
آخر، حتى وطئ جرجان، أي وصلها وداس أرضها، وجرجان تعد اليوم
من بلاد النتر المستقلة، استظهر على الأيام: استعان على حوادثها،
والضباع: جمع ضيعة، ما تمتلكه من أراضي الزراعة، وأجال يد العمارة:
حركها وأعملها في الضياع بإصلاح الفاسد منها وتقوية ما ضعفت
مادة إنبات فيه، واجتلاب المياه إليها وتنقيتها من كل ما يضر
بالزرع، لتعمر بعد ذلك بأنواع النباتات والأشجار الممدة بما تثمره جداول
الرزق، وأراد من الحانوت موضع سلعه الذي تبيع فيه والمثابة: المرجع
كأن الحانوت لم يكن لحاجة إليه وإنما هو مأب له يرجع إليه ليعرف به
فيجتمع إليه ما يطلبه، حاشيتا النهار طرفاه الصباح والمساء يكون
جلوسه فيهما بالدار وما بينهما من أوساط النهار يصرفها بالحنانوت،
القريض: الشعر، وتلقائنا أي على موازاتنا ومقابلتنا، مال الكلام
بتماميله أي: انحدر بنا في أبواب المعاني انحداره المعروف عند أهله
فإن الكلام يكون اندفاعاً بالمتكلمين يكاد يغلبهم على ما لا يقصدون
الحوض فيه وذلك معروف عند من له إلمام بالكلام، جر الذيل يكتنى به

(١) مقالات أبي الفضل وشرحها ص ١ - ٥.

عن العجب والحيلاء كأنه مثل الجدال في تسلطه عليهم بمن حكم فظلم فتاه على المغلوبين له وقد يراد به الإطالة يقال جر الكلام ذيله وبذيله أي طال كأنه ثوب فاض حتى جر ذيله على الأرض، أصبتم وجدتم عذيقه تصغير عذق، بفتح العين، وهو النخلة بحملها، والتصغير للتعظيم، وهو يشير إلى قول الحباب بن المنذر «أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحك»، والمرجب من رجب الشجرة إذا دعمها ما يمنعها من الانكسار والسقوط لثقل حملها، والجذيل: تصغير جذل، بالكسر، وهو عود ينصب للجري من الإبل لتحتك به يريد قائل ذلك أنه صاحب الأمر المضروب فيه المثل، وهو به زعيم لا يضعف عن احتمالته والنهوض به.

أفضت: من أفاضوا في الحديث إذا اندفعوا فيه أو نحو قولك كلمته فما أفاض بكلمة أي ما أفصح بها أي لو شئت لتكلمت وأفصحت، ولو قلت لأصدرت وأوردت إصدار الإبل عن الماء بعد إيرادها مثل لانتقال الأذهان راوية بالفهم ثم اهتداء من لم يفهم يهدي من فهم فيرد الحوض الذي ورده فينال من الفهم حظه، وكان أيسر لو قدم أوردت على أصدرت، ينزل العصم: العصم جمع الأعصم وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر، أنشاء عصماء، وهي تلزم الجبال دائما ولا تنزل إلا إذا اضطرت وكان هذا البيان يختطف قلوبها إلى صاحبه فيستبذلها لسماعه وهو مثل مشهور، منيت: أي جعلت لنا فيك أمنية الاستفادة منك، ويصح أن يكون من منى الرجل إذا وافى الحلم وأثنت من أثنى الرجل إذا ألقى ثبته وهي إحدى أسنانه

الأربع في مقدم فمه ولا يكون ذلك عادة إلا بعد بلوغ حد الكبير أي إنك بلغت ببيانك مبلغ المحنكين، وقد يكون أثبت بمعنى أنبات عن عملك بفصاحة قولك من الشناء، هو أول من وقف بالديار وعرضاتها: أي هو أبرع الشعراء في وصف ذلك والتعبير عما يجده العشاق في مواقفهم بمواطن الأجابة، وكثرة الطائر مشقة الأول ويضمتمين عش الطائر أو مأواه بلا عش أو أما في العش فهو وكر، والاعتداء الذهاب وقت الغدوة مقابل الرواح وهو الرجوع وقت المساء، والطيور أسبق الحيوان تبكيراً فمن يغتدي وهي في مأويها يكون من أيقظ الناس قليلاً وأشدهم دؤباً في همه أي إن امرء القيس أجود الناس ذكراً لذلك في شعره، فضل من تفتق للحيلة لسانه: أي إنه فاق في جودة شعره أولئك الذين ما فتق لسانهم بالقول إلا الإحتيال في كسب المال وما حرك أناملهم بالأقلام لتجبير الخطب والقصائد إلا انتجاعهم أي ذهابهم لارتياح الأرزاق رغبة في تحصيلها. يثلب: أي يسب ويشتم، وحق أي اشتد غضبه، يذيب الشعر والشعر يذيبه: هذا تمثيل لسهولة الشعر في طبعه وانقياد طبعه للشعر ورقة كل منهما حتى كأن كلاً يذيب الآخر. ويدعو القول والسحر يجيبه: تمثيل لأثر قوله في القلوب بلا تعدد لذلك. فهو إذا دعا القول أي استنزله من قريحته إلى ظاهر لفظه أجابه السحر أي أخذ السحر من لسانه مكان القول فهو يريد قولاً فيكون سحراً. ماء الأشعار وطينتها تصوير لكون شعره مادة الأشعار ومنه كانت نشأتها، أي إن أجله لم يكن كافياً لإظهار ما أسر

في طبيعته من دقائق المعاني ولو عاش دهوراً طويلاً لا طلع الناس منه على ما لا يقاس إليه في الكثرة هذا الذي شاهدوه من أثره أي إن ما قاله ليس شيئاً إذا قيس إلى ما لم يقله، والأغلاق جمع غلق بالتحريك ما يغلق به الأبواب، أغزر: أكثر، وغزراً كثرة أي إن كان للفرزدق غزارة في معانيه فغزارة جرير أعلى من غزارة صاحبه، ثم أتى بتمثيل لتمكن قوافيه واستحكام ألفاظه في معانيه.

ثم بين أنه إذا ذكر أيام قومه ومواقع سلفه دل على شرف رفيع، الروم الطلب: أي أن مطالبه أكثر من مطالب جرير وإذا ذكر قومه ظهرت صفات كرمهم في شعره أكثر مما تظهر صفات كرم قوم جرير في شعره، نسب أي ذكر أوصاف النساء وفعال شمائلهن في قلوب الرجال وأشجى أي ألهب الأفتدة بنيران الأشواق، أردى مثل قوله أوجع هجواً أي إذا هجا أهلك مهجوه. أسنى الشيء رفعه فهو إذا مدح شخصاً رفع منزلته وأعلى مقامه بمدحه. أجزى أغنى بفخره عن غيره فلا يحتاج إلى من ينصره على من يفاخره.

أزرى بمن يحتقره أي وضع منه وألصق النقيضة به. أوفى من أوفى فلانا حقه أعطاه إياه تاماً والفرزدق إذا وصف يوفي الموصوف ما يقتضيه من الوصف.

الظمر الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف، وتغشاه اتخذته غشاً أي غطاءً، وممتطياً أي راكباً من امتطى الناقة إذا ركب

مظاها أي ظهرها، والمعدم في فقره كأنما يلاقي من البؤس مثل ما
يلاقي راكب الصعبة من التعب والعناء وما يتذوقه من آلام المشاق
أشبه بالطعام أو الشراب المر البشع الطعم لهذا وصف الأمر بالمرارة
بعدهما عده مطية له.

مضطرباً من اضطبئه إذا حمله في ضيقه وهو ما دون الإبط، والغمر
بالكسر الغل والحقد أي إني حاقد على الليالي لشدة ما أذتني ببردها
ملاقياً منها شدائد نزلت مني منزلة العدو المحتاح، وذكر الحمرة لأن
العرب تصف أشد الأشياء أذى بالحمرة فتقول الموت الأحمر والهلاك
الأحمر لأنهم يعدون كل من ليس بعربي من الفرس والروم وأمثالهم من
جنس الأحمر وكانت الحروب بينهم وبين الحمر لا تنقطع من عهد نشأتهم
فوصفوا كل خبيث بالأحمر.

الشعري كوكب يطلع في الجوزاء وظهوره في شدة الحر، والشاعر
يتمنى طلوع الشعري حتى يسأله الجو فيستغنى بحرارته عن اللباس
والصيف لباس الفقراء، وقد كان من قبل يعني بالأماني الكاذبة من
دوام التعميم والازدياد في الترف.

يريد من الحر نفسه ومن الوجه وجهه يريد أنه كان غنياً رفيع المقدر.

السراء المسرة، والرخاء وضرب القباب الخضر في دار دارا ملك الفرس
وإيوان أي قصر كسرى أنوشروان أو أزدشير كناية عن إظهار آيات
الثروة وشواهد العظمة.

انقلب ظهراً لبطن بمعنى تحول من سرائه لضرائه وما كان معروفاً من العيش أصبح منكراً أي استبدل طيبه المألوف برديته المكروه، الوفر: الغنى يقول ذهب ثروته إلا ذكرها فهو باق في هاجس نفسه وما يفنيه شيئاً ولم يزل حاله ينجر به في الشدة اليوم.

سر من را بلدة بناها المعتصم العباسي قرب بغداد يدعى أبو الفتح أن له عجوزاً أي زوجة في تلك البلدة وأن له أفراخاً أي أولاداً صفاراً بالقرب من جبال بصرى وهي من مدن سوريا في الشرق الجنوبي من حوران. يريد من الضر الفقر وقوله قتلت جواب لولا وكل من يحبس حتى يقتل يقال فيه قتل صبراً أي لولا العجوز والأولاد لحبست نفسي على أحد أسباب الهلاك حتى قتلتها صبراً. تاح: تهباً وقدر. ثناياه: مقدم أسنانه.

الخشف: ولد الطبي يقول فارقتاه حدثاً جميلاً ووافانا الآن جاسياً غليظاً، والجلف: الجافي الغليظ.

تعقيب:

- هذه المقامة تعد الصورة المثلى لمقامات الهمذاني، لأنها اتخذت النهج الأمثل للشكل الذي ابتدعه بديع الزمان الهمذاني لمقاماته.
- فقد بدأ المقامة بالرواية عن عيسى بن هشام، وكان الهمذاني قد اتخذ من شخصية عيسى بن هشام راوية مقاماته كلها.
- وهياً الهمذاني بتمهيد قصير لحكاية المقامة. وهو قوله:
طرحتني النوى مطارحها، حتى إذا وطئت جرجان الأقصى
، فاستظهرت على الأيام بضياح أجلت فيها يد العمارة
، وأموال وقفها على التجارة، وحانوت جعلته مشابة
، ووقفه اتخذتها صحابة، وجعلت للدار حاشيتي النهار
، وللحانوت بينهما.

- وهذا التمهيد يمثل الجو العام الذي يحاول الهمذاني أن يصفه لنا، والذي يوضح حال الراوية، وظروفه التي يمكن أن تكون لحمة - بضم اللام - بين هذه الظروف، وبين البطل الذي يظهر في هذه الظروف، ليلتقي

بالراويّة، فكأن الهمداني يبين المشاهد العامّة التي تهيئ لقاء الراويّة
بالبطل.

- بداية حكاية القصة التي تشتمل عليها المقامة، وهي بداية انخراط
الراويّة في قصة المقامة.

وذلك قوله:

فجلسنا يوماً نتذكر القريض وأهله.

- أي إن الراويّة قد التقى ورفقته في الحانوت الذي جعله مثابة.

- ظهور البطل في حكاية المقامة ظهوراً مشفوعاً بالتستر، سواء
كان هذا التستر من البطل، لأن البطل يعرف الراويّة حق المعرفة، وذلك
ما تؤكدّه المقامات، إذ عرفنا أن الراويّة والبطل متعاونان معاً، لكنهما
قد عقلاً شبه اتفاق أن لا يكشف الراويّة البطل أمام الناس.

وربما اتفاقاً على أن يسهم الراويّة في إبحاح حيلة البطل بأن يظهر
نفسه مع الذين يشفقون على البطل، ويمنحونه.

- أمر أراد الهمداني هذا الدور للراويّة والبطل معاً، ولذلك حرص على
أن لا يزيح الراويّة الستار، أو يكشف النقاب، أو يميّط اللثام عن البطل
أمام من أوقعهم في حباله.

أو كان هذا التستر الشديد من البطل - هكذا أراد له الهمذاني -
حتى لا يعرفه الراوية نفسه، مبالغة في الحيلة من البطل، وجعل الزي،
أو الهيئة مما يساعده على إخفاء شخصه الحقيقي عن الناس.

وهنا قد ظهر البطل ظهوراً مشفوعاً بالتستر، حتى إن الراوية نفسه
لم يعرفه، وإنما قال:

وتلقانا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه
لا يعلم.

- اقتحام البطل الحكاية، والولوج فيها بصورة تكاد تكون أشبه
بانبجاس الماء، وذلك حتى يلفت أنظار المشاهدين إليه، ويفجأ عقولهم
إلى التنبيه له، والإتصاف الشديد إلى ما يقوله، أو بالأحرى: استراق
عقولهم وأفهامهم وأذنانهم له وحده، دون غيره.

وذلك في قوله:

حتى إذا مال الكلام بناميته، وجر الجدال فينا ذيله، قال: قد أصبتم
عذيقه، ووافيتم جذيله.

- بدأ أولاً بإظهار رأيه فيهم، وفي تذاكرهم القريض وأهله، حتى
يستثير أذهانهم، ويخطب ودهم.

وتكون المفاجأة للمشاهدين عندما يعلن لهم ما غاب من فصاحته،
وما خفي من بيانه، وما لم يعلموه من علمه بالأدب، والنقد، في
المجال الذي يتسابقون فيه.

وذلك قوله:

ولو شئت للفظت وأفضت، ولو قلت لأصدرت وأوردت، ولجلوت
الحق في معرض بيان يسمع الصم، وينزل العصم.

أنتذ يكون رد الفعل لدى المشاهدين، إذ يرغبهم فيما عنده، مظهرا
لهم قدره فيما أفاضوا فيه، وكأنه صاحب السبق في هذا المضمار، وله
فيه القدح المعلى.

فينبرى الراوية متعرضا للبطل.

وذلك قوله:

فقلت: يا فاضل، ادن، فقد منيت، وهات فقد أثنت.

أنتذ يكون الجرم مهينا للبطل، فقد أنصت المشاهدون، ومنحوه آذانا
صاغية، وها هي ذي عيونهم قد وقفت عليه، فليقل، وليحدث، وليشر
الأذهان، وليتلاعب بالعقول كما شاء.

وذلك قوله:

قدنا، وقال: سلوسى جيبكم، واسمعوا أعجبكم أي عالم هذا الذي
جعل نفسه في موقف التصدي لما يخطر على بال هؤلاء المشاهدين من
أسئلة؟

هنا أقول: هذا معروض من معارض حديث الهذاني، يضمنه بعض
ما يريد أن يقرره في مجال الأدب ونقده.

وكان لابد لهم أن يسألوا - وحالهم هذه، وحاله أيضا - فسألوه.
وذلك قوله:

قلنا: ما تقول في امرئ القيس؟

وأجاب:

قال: هو أول من وقف بالديار وعرضاتها.

وسألوه: قلنا ما تقول في النابغة؟

وأجاب: قال: يثلب إذا خنق.

وسألوه: قلنا: فما تقول في جرير والفرزدق؟

أيهمما أسبق؟

وأجاب: فقال: جرب أرق شعرا، والقرزدق أمتن صحرا.

وسألوه: قلنا: فما تقول في المحدثين من الشعراء، والمتقدمين منهم؟

وأجاب: قال: المتقدمون أشرف لفظا، والمتأخرون أطف صنعا.

ثم طلبوا منه أن يرى من أشعاره، ويروي من أخباره، وهنا حان الوقت لتنفيذ حيلته، والقاء حياثله، لينال.

وأنا أرى أن هذه المقامة تنم عن شخصية الهمذاني، إذ كيف عرف الراوية أن البطل من حاكة الشعر، وصناع القريض؟ إنهما معا - الراوية والبطل - من نسج خيال أديب واحد ثم يقول البطل: خذهما في معرض واحد.

وقال شعرا:

أما تروني أتغشى طمرا

وقيه حيلته، فهو يتغشى الأطمار، يركب العسرة، ويحمل الحقد على الليالي، من شدة ما يلقي منها من الصروف الحمر، لا يجد كساء حتى إنه يتمنى طلوع الشعري، ليجلب الدفء إلى جسده، وهي أمنية الذي يلبس الأطمار، وقد كان قبلا في نعيم، وقد غرق في الأماني الكاذبة بدوام هذا النعيم، إذ كان غنيا، وكان أيضا مع غناه رفيع القدر، عظيم

المقدار، قد حقن ماء وجهه بعزه، ضاربا القباب الخضراء في السراء، في أعظم الأماكن مثل دار دارا ملك الفرس، وإيوان كسرى الذي يضرب به المثل، فلما انقلب الدهر به وله ظهر البطن، وتحول عن الغنى إلى الفقر، واستبدل طبيبه المعروف إلى الرديء المنكر، فلم يبق من وقفه إلى ذكره، أو ذكره، وصار كذلك إلى اليوم، وها هو ذا يتأهب لزيادة ما يتزله الدهر به، ولولا زوجه العجوز بسر من رأى، وأولاده الصغار الذي يحول بينه وبينهم جبال، وقد جلب الدهر عليهم العسرة، والضر، لولا ذلك لحبس نفسه في مكانه حتى يموت.

عندئذ يتقدم الراوية أولا لينيل البطل ما تاح في ذلك الوقت.

ولم يخبرنا الهمذاني عن المشاهدين أمتحوه أو لا؟

ثم ينتهي الموقف الذي جمع البطل بالمشاهدين، ويغيب البطل عن أبصارهم.

ونلمح بعد ذلك إصرارا شديدا من الراوية على معرفة شخص البطل، وهو يقدح زناد أفكاره، أي عرفه؟ أم لا؟ فيثبته، وينقيه، وينكره، ويعرفه أخيرا، فيقول: الإسكندري والله، فقد فارقتنا صغيرا، وواقانا كبيرا، ثم ينهض الراوية على إثر البطل، ويمسك به قائلا: ألسنت أبا الفتح؟ فأبي عجوز لك بسر من رأى؟

وهنا يضحك البطل للراوية، وكأنه يعلمه أنه يعرفه، ثم ينشده شعرا:

ويحك هذا الزمان زور فلا يغرنك الغرور

لا تلتزم حالة ولكن در بالليالي كما تدور

أي الزمان زور، وليس حقيقة، أو موه أو أكاذيب، فلا يخدعك الشيطان، ولا تلتزم حالة واحدة، ولكن كما تدور الليالي در بها ومعها، أو كن كالليالي لا تسير في خط واحد، وإنما في خطوط كثيرة ومتعرجة.

قال محمد بن سلام الجمحي: سألت يونس التحوي عن أشعر الناس، فقال: لا أومئ إلى رجل بعينه، ولكني أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب^(١).

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٨/٨٧، إرشاد الأريب ٧/٣١٠.

الفصل الثاني
امرؤ القيس

أما آراؤه النقدية التي وردت في المقامة فهي قوله في امرئ القيس:
هو أول من وقف بالديار وعرضاتها، واغتدي والطير في وكناتها،
ووصف الخيل بصفاتها، ولم يقل الشعر كاسبا، ولم يجد القول راغبا،
ففضل من تفتق للحيلة لسانه، وانتجع للرغبة بنانه.

وامرؤ القيس هو حندج، أو عدي، أو مليكة^(١) - بصيغة التصغير -
بن حجر بن الحارث الكندي، الملك الضليل، أبو الحارث، من ملوك
كندة.

وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل، وكليب من بني تغلب. وكان
أبوه آخر ملك على بني أسد من المضربة الخاضعين للملوك كندة.

وجده قرين الملوك من لحم وغسان، وجده حجر أكل المرار^(٢) وهو من
قبيلة كندة، ومن بيت السيادة والشرف فيها.

وفي نجد نشأ كما ينشأ أبناء الملوك مولعا بالصيد، ونال حظها من

(١) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٩٧/١، الزهر ٢٦٥/٢، شرح شواهد المغنى

ص ٦.

(٢) المرار: بضم الميم، وتخفيف الراء، شجر مر، وسمى حجر أكل المرار لأن ابنة له سبها
ملك من ملوك سليم، فقالت له ابنة حجر: كأنك بأبي قد جاء كأنه جعل أكل المرار، يعني
كاشرا عن أنيابه، فسمى بذلك، وقيل: إنه كان في نفر من أصحابه في سقر، فأصابهم الجوع،
فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا، وأما أصحابه فلم يطبقوا ذلك حتى هلك أكثرهم.

اللهو والمجانة والفتون، والتف حوله رفاقه في الصيد، والطرده، والغزل،
والشراب، فعكف معهم على اللهو، وانقاد للملذات.

وجرى الشعر على لسانه، فقاله فطرة ووراثة عن عمومته، وأخواله،
فشيب به حتى بنساء أبيه، فطرده أبوه لذلك، وألى ألا يقيم معه أنفة
من قول الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فيما يقول الرواة، فكان
يسير في أحياء العرب، ومعه أخلاط من شذاذ القبائل، فإذا صادف
غديرا، أو روضة، أو موضع صيد أقام وتصيد، حتى ينفد ماء القدير،
ثم ينتقل إلى غيره، وهو في خلال ذلك يشدو بالشعر، فتتناقله الأسواق،
والمجامع، ويتسامع به الناس في البوادي والحواضر، ويتفرق على الألسنة
ففي كل مكان.

وفي هذه الفترة كان شعره تشبيها، ونسيبا، ووصفا للخيل، والسحاب،
ومجالس اللهو والشراب، وفي شعره فصاحة البداوة، وترف الملك،
ونضارة النعيم، وبه فتح كتوز الشعر لمن جاء بعده، وهداهم إلى
أغراضه، وفنونه، فترسموه، وساروا على طريقته عصورا، وأجيالا،
ينتحلون أسلوبه، ويطبعون على غراره، ولكنهم لا يدركون له شأوا.

قال لييد بن ربيعة: أشعر الناس ذو القروح، يعني امرأ القيس^(١).

(١) الشعر والشعراء، ١٠٥/١ - ١٣٦.

- وكان امرؤ القيس طرده أبوه لما صنع في بفاطمة ما صنع، وكان
لها عاشقاً، فطلبها زماناً فلم يصل إليها، وكان يطلب منها غرة،
حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان، فقال:

قفسا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(١)

فلما بلغ ذلك حبراً أباه دعا موسى له يقال له ربيعة، فقال له:
اقتل امرأ القيس وأتني بعينه، فذبح جوذرا فأتاه بعينه، فندم حبر
على ذلك، فقال: أبيت اللعن! إني لم أقتله، قال: فأتني به، فانطلق
فاذا هو قد قال شعراً في رأس جبل^(٢)، وهو قوله:

فلا تتركني يا ربيع لهذه وكنت أراني قبلها بك واثقاً

فرده إلي أبيه، فنهاه عن قول الشعر، ثم إنه قال:

ألا انعم صياحاً أيها الظلل البالي

فبلغ ذلك أباه فطرده، فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون، فقال:

تطاول الليل علينا دمون

(١) صدر المعلقة.

(٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٩٨/١.

دمون إنا معشر يمانون

واننا لأهلنا محبون^(١)

ثم قال: ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم، ولا
سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر، ثم قال:

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب

ولا في غد إذ كان ما كان مشرب

ثم ألى لا يأكل لحمأ ولا يشرب خمرأ حتى يثأر بأبيه، فلما كان
الليل لاح له برق فقال:

. أرقت لبرق بليل أهل يضى سناه بأعلى الجبيل

بقتل بني أسد وبهم ألا كل شئ سواه جليل^(٢)

ثم استجاش بكر بن وائل، فسار إليهم وقد لجؤوا إلى كنانة، فأوقع
بهم، ونجت بنو كاهل من بني أسد، فقال:

يا لهف نفس إذ خطئن كاهلا

القائلين الملك الخلاحلا

تالله لا يذهب شيخي باطلا^(٣)

(١) الشعر والشعراء، ١٠٧/١.

(٢) الشعر والشعراء، ١٠٨/١.

(٣) الخلاحلا: بضم الحاء الأولى، الشجاع الركين في مجلسه، السيد في عشيرته.

وبلغ بني أسد ما بيته لهم امرؤ القيس، فأرسلوا إليه وفدا من
رجالهم فيهم عبيد بن الأبرص الشاعر، وقبيصة بن نعيم، وخيروه
بين قتل أشرف بني أسد بيتا، وأعلاها في المكرمات صوتا، وتستل
سخيمته بتمكينه من الانتقام، أو الفداء، أو الحرب، فاختر امرؤ
القيس الحرب.

وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص: (١)

يا ذا المخوفنا بقتـ	ل أبيه إذلالا ومينا
أزعمت أنك قد قتلـ	ت سراتنا كذبا ومينا
هلا على حجير بن أـ	م قطام تبكي لا علينا
هلا سألت جموع كنتـ	دة يوم ولوا أيننا
نحن الألى فاجمع جمو	عك ثم وجههم إلينا

(١) قصيدة في ديوانه في خمسة وعشرين بيتا، مختارات ابن الشجري ٣٩/٢، خزنة
الأدب ١/١٦١، ١/٣٢٢، الشعر والشعراء ١/١٠٨، ١/١٤٣ - ١٤٤.
ديوان عبيد ص ٢٧ - ٢٩، مختارات ابن الشجري ٣٩/٢.
سراتنا: أشرافنا، جمع سري، مينا: كذبا، حجير بن قطام: أبو امرئ القيس، جموع كندة:
قبيلة امرئ القيس، يريد الجموع التي غزا بها بني أسد، أين أين: أين أين الفرار، الألى:
الذين، آلين لا يقضين ديننا: أخذت على نفسها عهدا أن تكون هي البائدة بالإغارة، فلا =

واعلم بأن جياتنا آلين لا يقضين ديننا
ولقد أبحننا ما حميت ت ولا مبيح لما حمينا
هذا ولو قدرت عليــ ك رماح قومي ما انتهينا
كم من رئيس قد قتلـ نساء وضميم قد أبينا
إنا لعمرك ما يضا م حليفنا أبسدا لدينا

فأغار على الكناتيين، وقتل منهم، وهو يظن أنهم بنو أسد، ثم تبين أنهم ليسوا هم، فقال:

ألا يالهف نفسي إثر قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم بيني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء حريضا ولو أدركته صفر الوطاب^(١)

«نتنظر حتى يغار عليها، أبحننا ما حميت: اعتدينا عليه، ولم نبال بحمايتك له، لا مبيح لما حمينا: لا يجرؤ أحد أن يقتحم لنا حمي، أو يعتدي على ما منعنا الناس منه، لو قدرت عليك رماح قومي. ما انتهينا: لو أمكنتنا الفرصة لقتلتناك كما قتلنا أباك من قبل، الضميم: الذل، لعمرك: لفظ للقسم، أي أقسم بحياتك، الحليف: الناصر والصديق.

(١) الشعر والشعراء ١/١١٦، ١١٢، ديوان امرئ القيس ص ١٣٨ - ١٣٩.

كانوا الشفاء: يعني أن الذي يشفيه مما يجد يقتل أبيه قتل بني أسد، فوضع السلاح في كنانة، وهو يرى أنهم بنو أسد، فتلهف ألا يكون أدرك بني أسد، أي إن بني أسد كانوا شفاء نفسه لو أصابهم، إذ هم قتل أبيه، الجدد: الحظ والبيخت، يقوله: قتل بني أسد جدهم، ويختهم يقتل بني عمهم كنانة، بني أبيهم: يريد بني كنانة الذي حاربهم يحسبهم بني أسد، ثم كف عنهم حين تبين خطأه، وأسد وكنانة أخوان هما ابنا خزيمة، وهذا البيت وما بعده اشتمل كل واحد منهما على مثلين، وكان الأصمعي يعجب من جودة هذه الأبيات، ويفضلها، أفلتهن:»

ثم تبع بني أسد، فأدركهم، وقتل فيهم قتلا ذريعا، وقال:

قولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل
قد قرت العينان من وائسل ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل
نظمنهم سلكي ومخلو جسة كسرك لأمين على نابسل
إذ هن أقساط كرجل الدبي أو كقطي كاظمة الناهل
حتى تركناهم لدى معسرك أرجلهم كالخشب الشائل
حلت لي الخمر، وكنت امسرا عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أسقى غير مستحقب إثما من الله ولا واغل^(١)

يعني الخيل التي كانت تطلبه، فلم تدركه، المريض: الذي يفض بريقه عند الموت، أي غصص الموت، يريد: أفلتتهن مجهودا يكاد يقضي، صفر الوطاب: أي هلك فخلا جسمه من روحه، كما يخلو الوطاب من اللبن، وقيل: المعنى أنه يقتل، فتصفر وطابه، أي تغلر ويذهب لبنها، فلا يكون له لبن، لأنه إذا مات فلا شيء له من ماله، صفر: خلا، الوطاب: جمع وطب، وهو سقاء اللبن.

(١) دودان: قبيلة من بني أسد، عبيد العصا: أي لا يتقادون إلا على الضرب والهوان، وأراد بالأسد الباسل أباه، مالك وعمرو وكاهل: أحياه من بني أسد، بنو غنم بن دودان: من بني أسد، سلكي: طعنة مستقيمة أمام الوجه، مخلو جسة: مائلة إلى يمين أو شمال، كرك: عطقتك وردك، اللأمان: السهمان، النابل: الذي يرسي بالتبيل، هن: الخيل، وهي مفهومة من مقام الحرب، أقساط: جمع قسط، أي فرق وقطع، الرجل: بكسر الراء، القطعة من الجراد، كاظمة: بلد على الخليج العربي قرب مصب شط العرب، الناهل: الطالب للمتهل لعطشه، المعرك: موضع القتال، الخشب الشائل: الذي ألقى بعضه على بعض في غير نظام، المستحقب: الذي يجعل الشيء في الخفية خلفه إذا ركب الإبل، استعارة لمكتسب الإثم، الواغل: الذي يدخل على القوم يشربون الخمر ليشرب معهم دون أن يدعوه.

* * *

ولكن المنذر ملك الخيرة ألح في طلب امرئ القيس، لعداء قديم،
ووجه إليه الجيوش، فتفرق عنه أصحابه خوفاً من بطش المنذر وسطوته.

وتحولت حياة امرئ القيس وشعره، فما هو ذا يقول:

أرانا موضعين لأمر غيب	ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبيان ودود	وأجراً من مجلحة الذئساب
فبعض اللوم عاذلتني فإني	ستكفيني التجارب وائتسابي
إلى عرق الثرى وشجت عروقي	وهذا الموت يسلبني شبابي
ونفسي سوف يسلبها وجرمي	فيلحقني وشيكا بالشراب
ألم أنض المطي بكل خرق	ألم الطول لماع السراب
وأركب في اللهام المجر حتى	أنال مآكل القحيم الرغاب
وكل مكارم الأخلاق صارت	إليه همتي ويسه اكتسابي
وقد طوفت في الأفساق حتى	رضيت من الغنيمة بالإياب
أبعد الحارث الملك بن عمرو	وبعد الخير حجير ذي القباب
أرجى من صروف الدهر لي	ولم تغفل عن الصم الهضاب

وأعلم أنني عمسا قريب سأنشب في شبا ظفر وناب
كما لاقى أبي حجر وجسدي ولا أنسى قتيلًا بالكسلاّب^(١)

يقول الرواة: إنه أتى السمومل بن عاديا، استودعه أهله وماله،
وسلاحه، ثم سار ومعه عمرو بن قميثة أحد بني قيس بن ثعلبة، فبكى
ابن قميثة، وقال له: لقد غررت بنا، يقول امرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأي الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إقسا نحاول ملكا أو نموت فعذرا
إذا قلت هذا صاحب قسد رضيته وقرت به العينان بدات آخرأ
كذلك جدي ما أصحاب صاحبا من الناس إلا خائني وتغيرأ

(١) موضعين: مسرعين، لأمر غيب، يريد الموت، أو المستقبل المجهول، نسر: نلهي،
أو نغذي، العصافير: ضعاف الطير، المجلح: الجري، والأنثى مجلحة، فبعض اللوم: كفى
بعض لومك، انتسابي: كوني ذا نسب في الهالكين، عرق الشرى: قيل: هو آدم، وشجت:
انصلت واشتجكت، الجرم: الجسد، الوشيك: السريع، أنضيت الذاية: هزلتها، الحرق: المقازة
الواسعة تنحرق فيها الرياح وتشتد، أمق الطول: شديده، اللهام: الجيش الكثير يلتهم كل ما
يمر به، الحجر: الثقيل، القحم: جمع قحمة، وهي الدفعة، الرغاب: الواسعة، المأكلى: المغانم
وغيرها مما يظفر به، الحارث بن عمرو: جده، حجر بن الحارث بن عمرو: أبوه، وهما من ملوك
كننة، القياب: أبنية من آدم لا تكون إلا للملوك، الصم: المصمتة، الهضبة: الصخرة الراسية
الضخمة، شبه أباه وأجداده بالهضاب والجبال، أنشب: أعلق، شبا كل شئ: حده، الكلاب:
واد لبني عامر، قتيل الكلاب: عمه شرحبيل بن الحارث.
ولكنه لم يباس، فسعى إلى قيصر ملك الروم، وكان عدوا للفرس واللخمين.

وأكرمه ملك الروم، ونادمه، واستمده فوعده ذلك، ويقول:

ونادمت قبصر في ملكه فأوجهني وركبت البريسدا

إذا ما ازدحمنا على سكة سبقت الفرانق سبقا بعيدا

ولكنه - كما قيل - بعث إليه مع رجل من العرب، يقال له الطماح
بحلة منسوجة بالذهب مسمومة، فلما لبسها أسرع فيه السم، وتنفط
جلده، والعرب تدعوه ذا القروح لذلك ولقوله:

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيالك من نعى تحولن أبؤسا

قلو أنها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط أنفسا

وقال الفرزدق:

وهب القصائد لي النوايح إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

قيل: أبو اليزيد هو المخبل السعدي، وذو القروح امرؤ القيس،
وجرول الخطيئة^(١)

- ولما صار إلى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل، فأقام بها حتى

(١) الشعر والشعراء ١/١٠٥.

مات، وقبر هناك، وقال قبل موته:

رب خطبة مسحفره وطعنة مشعنجسره

وجعبسة متحيسره تدفن غدا بأنقسه

ورأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقرة، فسأل عن
صاحبه فخبّر بخبرها، فقال:

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقسام عسيب

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب^(١)

وعسيب: جبل هناك.

ولما بلغ السموأل موت امرئ القيس دفع ما خلف عنده من السلاح
وغيره إلى عصبته.

* * *

- وكان يعد من عشاق العرب. وكان يشيب بنساء: منهن فاطمة
بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر العذرية، وهي التي يقول لها:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل^(٢)

(١) الشعر والشعراء، ١/٨٢١.

(٢) من المعلقة.

ويقول لها: (١)

لا وأبيك ابنة العامر ي لا يدعى القوم أنني أفر

ومتهم أم الحرث الكلبيّة، وهي التي يقول فيها: (٢)

كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الريساب بمأسل

ومتهم عتيزة، وهي صاحبة يوم دارة جلجل. (٣)

حدث راوية للفرزدق أنه لم ير رجلاً كان أروى لأحاديث امرئ القيس وأشعاره من الفرزدق، هو وأبو شفضل، لأن امرأ القيس كان صاحب عمه شرحبيل، وكان شرحبيل بن الحرث مسترضعاً في بني دارم رهط الفرزدق، وكان امرؤ القيس رأي من أبيه جفوة، فلحق بعمه، فأقام في بني دارم حيناً (٤).

وقال الشعر في جميع أطوار حياته. (٥)

وقد أجمع مؤرّخو الأدب على أن امرأ القيس أسبق شعراء العربية

(١) من قصيدة في الديوان.

(٢) من المعلقة، مأسل: اسم ماء.

(٣) من المعلقة.

(٤) الشعر والشعراء، ١/١٢٢.

(٥) نصوص، أحمد الشعراوي، عبد المقصود السعداوي ص ٥ - ٣٣.

إلى ابتداع المعاني، والتعبير عنها، وأنه افتتح أبواباً من الشعر، ووفق إلى تشبيهات ابتكرها، فكان أول من وقف على الطلول، واستوقف، ويكى، واستيكى، وأول من قيد الأوابد، وشبه النساء بالطباء، والبيض، والمها، والخيل بالعقبان والعصى، وأجاد في التشبيه، وأرق النسب، وفصل بينه وبين المعنى^(١)، وأول من لطف المعاني، وفرق بين النسب، وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام^(٢).

وقد ردد الفرزدق لقبه، وهو ذو القروح^(٣)

ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس أول من استعمل النسب وغيره من معاني الشعر في أسلوب القصائد^(٤).

ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل، وكثرة الإقواء في القافية، وكثرة التصريح في غير أول القصيدة^(٥).

ويرجع الفضل في رواية أشعار امرئ القيس الكثيرة الاضطراب إلى حماد الراوية على وجه الخصوص. كما يرجع بعض ذلك إلى أبي عمرو بن العلاء^(٦).

(١) مقدمة ديوانه تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ص ٦ - ٧.

(٢) العمدة ٧٧/١.

(٣) الزهر ٢٧٦/٢.

(٤) الزهر ٢٩٧/٢، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.

(٥) نقد الشعر، ص ١٤ وما بعدها، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.

(٦) الزهر ٢٥٣/٢، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ٩٩/١.

وزعم الرياشي أن كثيرا من الشعراء المدون في ديوان امرئ القيس منحول عليه، وهو لفتيان من أصحابه، مثل عمرو بن قميئة^(١).

وكان امرؤ القيس ممن يتعهر في شعره^(٢) وذلك قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع

سموت إليها بعد ما نام أهلها

- وقد سبق امرؤ القيس إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته عليها الشعراء، من استيقافه صحبه في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ.

- ويستجد من تشبيهه قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله:

كأن عيون الوحش حول قبابنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب^(٣)

(١) الموشح ص ٣٤، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١/٩٩.

(٢) الجمعي ١٤، الشعر والشعراء، ١/١١٠.

(٣) الجزع: خرز فيه بياض وسواد، تشبه به الأعين، وهو يفتح الجيم، وحكى فيه كسرهما أيضاً، والبيت في اللسان ٩ - ٣٩٨.

وقوله: (١)

كأنني غداة اليبين لما تحمّلوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقد أجاد في صفة الفرس:

مكر مفسر مقبل مدبر معسا كجلمود صخر حطه السيل من عل
له أبطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفسل (٢)
- وما يعاب عليه من شعره قوله:

إذا ما الشريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المنفصل
وقالوا: الشريا لا تعرض لها، وإنما أراه أراد الجوزاء، فذكر الشريا
على الغلط، كما قال الآخر، كأحمر عاد، وإنما هو كأحمر ثمود، وهو
عافر الناقة (٣).

* * *

- قال يونس النحوي: قدم علينا ذو الرمة في سفر، وكان أحسن

(١) من المعلقة.

(٢) الأبطل: الخاصرة، يريد أن خاصرتيه لضمورهما كخاصرتي الظبي. السرحان: الذئب، وإرخاؤه: سرعته، وليس دابة أحسن إرخاء من الذئب. التقريب: أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً. التفسل: ولد الثعلب، وهو أحسن الدواب تقريباً، وهو يتأين مثنائين.

(٣) الذي قال: كأحمر عاد، هو زهير في معلقته، وقد اعتذر عنه المبرد بأن ثمود يقال لها «عاد الأخيرة» وفوم هود هم «عاد الأولى»، شرح ديوان زهير طبعة دار الكتب ٢٠ وشرح التبريزي على القصائد العشر ١١٣ والحزانة ١ - ١٦٢ والأصمعية ٥٥ - ١٥.

الناس وصفاً للمطر، فذكرنا له قول عبيد وأوس وعبد بني الحسحاس
في المطر، فاختار قول امرئ القيس^(١):

ديمة هطسلا، فيها وطف طبق الأرض تحرى وتدر^(٢)

- أقبل قوم من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، فضلوا
الطريق ومكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على الماء، إذ أقبل راكب على بعير،
وأنشد بعض القوم^(٣):

لما رأّت أن الشريعة همها وأن البياض من فرائضها دامى
تيممت العين التي عند ضارج

يفى عليها الظل عرمضها طامى^(٤)

(١) الديوان ٨٩ - ٩٠ والبيت في اللسان ١٤ - ٧٩ - ٢٢٢.

(٢) الديمة: المطر الدائم في سكون. الهطلاء: الدائمة أيضاً فوق الديمة أو نحوها. الوطف:
الغزارة مع الاسترخاء. طبق الأرض: غشاء لها، تطبق الأرض وتحمها، تحرى: تنحري أي
تتوخى وتعمد. تدر: تصب الماء. والبيت في اللسان ١٨ - ١٨٩.

(٣) الديوان ١٨٢، الشعر والشعراء ١١١/١.

(٤) الشريعة: مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها
ويستقون. والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عداً لا انقطاع له ويكون ظاهراً معيناً
لا يسقى بالرشاء. القرائن: جمع فريضة، وهي لحمة عند نفض الكتف في وسط الجنب عند
منبض القلب، وهما فريضان، ترتعدان عند النزح.

ضارج: جبل، كتاب صفة جزيرة العرب ص ١٧٨. وذهب صاحب اللسان إلى أنه موضع
ببلاد عيس. العرمض، بفتح العين والميم: الطحلب قال في اللسان ٣ - ١٣٩: «ههنا:
طلبها، والضمير في رأّت للحمر، يريد أن الحمر لما أرادت ربة الماء خافت على أنفسها من
الرماء وأن تدمي فرائضها من سهامهم عدلت إلى ضارج لعدم الرماء على العين فيه...
وطامى: مرتفع». لسان العرب ٩ - ٥٠.

فقال الراكب: من يقول هذا؟ قالوا: امرؤ القيس، فقال: والله ما كذب، هذا ضارج عندكم، وأشار إليه، فمشوا على الراكب، فإذا ماء غدق، وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه، فشربوا وحملوا، ولولا ذلك لهلكوا^(١).

- وما يتمثل به من شعره قوله^(٢):

وقاهم جدهم بيني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب^(٣)

وقوله:

صبت عليه ولم تنصب من كذب

إن الشقاء على الأشقين مصبوب^(٤)

وقوله:

وقد طوفت في الأفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

(١) القصة في اللسان ٣ - ١٣٩ ونقلها باقوت في البلدان ٥ - ٤٢١ - ٤٢٢.

(٢) البيت من أبيات ثلاثة في ديوانه ٥٠ - ٥١ وهي الأصعبية ٤٦.

(٣) جدهم: حظهم. بيني أبيهم: يريد بني كنانة الذين حاربهم يحسبهم بنى أسد، ثم كف عنهم حين تبين خطأه، وأسد وكنافة أخوان، هما ابنا خزاعة.

(٤) الكشيب: القرب. وفي الديوان ٥٣ «وما تنصب من أم»، الشعر والشعراء ١١٢/١.

- وما يتغنى به من شعره: قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل (١)

وقوله:

تقول وقد سال الغبيط بنا معاً

عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل (٢)

وقال أبو النجم يصف قينة:

تغنى، فإن اليوم يوم من الصبي،

ببعض الذي غنى امرؤ القيس أو عمرو

فظلت تغنى بالغبيط وميله

وترفع صوتاً في أواخره كسر

وقوله: (٣)

كأن المدام وصبو الغمام وريخ الخزامى ونشر القطر

يعل به يرد أنيابها إذا طرب الطائر المستحضر

وكل ما قيل في هذا المعنى فمناه أخذ.

(١) يعني المعلقة.

(٢) الغبيط: هودج يقبب بشجار، يكون للحرائر.

(٣) من قصيدة في ديوانه ٧٧ - ٨٣.

صبو الغمام: ماء السحاب. الخزامى: قال أبو حنيفة: عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح لها نور كنور البنفسج، قال: ولم نجد من الزهرة زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى. القطر: بضم الطاء. وسكونها: العود الذي يتبخر به. قال في اللسان: =

- واجتمع عند عبد الملك أشراف من الناس والشعراء، فسألهم عن أرق بيت قالته العرب، فاجتمعوا على بيت امرئ القيس:
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل^(١)
وقال: (٢)

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل
وقال: (٣)

من آل ليلى وأين ليلى وخير ما رمت ما ينال
وجده حجر لقب يأكل المرار^(٤)

«شبه ماء فيها في طيبه عند السحر بالدم وهي الخمر وصبوب الغمام الذي يمزج به الخمر وريح الخزامى ونشر القطر وهو رائحة العود. والطائر المستحجر وهو المصوت عند السحر». لسان العرب ١٤/٦، ٤١٩، ٦١/٧، ٦٦/٢٥ الشعر والشعراء ١١٣/١.

(١) من المعلقة. الأعشار: أعشار الجزور، تقسم في الميسر إلى عشرة أنصبا ثم يجال عليها بالسهم، وهذا مثل. قال ثعلب: أراد بقوله بسهميك هنا سهمى قنّاح الميسر، وهما المعلّى والرقيب، فلمعلّى سبعة أنصبا وللرقيب ثلاثة، فإذا فاز الرجل بهما غلب على جزور الميسر كلها، ولم يطمع غيره في شيء منها، وهي تقسم على عشرة أجزاء. فالمعنى أنها ضربت بسهامها على قلبه فخرج لها السهمان فقلبتهم على قلبه كله وقتنته فملكته. قال في اللسان: «وجعل السهم الذي له ثلاثة أنصبا الضريب، وهو الذي ساء ثعلب الرقيب. وقال اللحياني: بعض العرب يسميه الضريب وبعضهم يسميه الرقيب. لسان العرب ٦ - ٢٤٩ وشرح التبريزي ٢٣ - ٢٤، الشعر والشعراء ١١٤/١.

(٢) من قصيدة في الديوان ١٤٦ - ١٤٩.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٦١ - ١٦٣.

(٤) المرار، بضم الميم وتخفيف الراء، والمرار: شجر مر، قال في اللسان: أن حجراً إنما سمي آكل المرار أن ابنة كانت له سبأها ملك من ملوك سلبغ يقال له ابن هيرنة، فقالت له ابنة حجر: كأنك بأبي قد جاء كأنه جعل آكل المرار، يعني كاشراً عن أبيابه، فسمى بذلك. وقيل أنه كان في نفر من أصحابه في سفر فأصابهم الجوع، فأبى هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا، وأما أصحابه فلم يطبقوا ذلك حتى هلك أكثرهم، ففضل عليهم بصره على أكله المرار.

وتدور أغراضه على حوادثه وأخباره من غزله، وذكر مغامراته، وصيده، وفرسه، وطوافه على القبائل، يمدح أنصاره، ويهجو خاذليه وأعداءه، وسفره إلى القسطنطينية، وهذه الأغراض تقوم عنده على الوصف والقصص.

وهو محدود من شعراء الطبقة الأولى، وأبعدهم شهرة، ويمتاز شعره بالجزالة والروعة، والإيجاز، وقد اتفق الرأة على تفضيله، وقد أورث الأدب العربي ثروة ضخمة كانت مادة خصبة للغويين، والنحاة، والأدباء، وسبق إلى معان أخذها من جاء بعده من الشعراء.

قال ابن رشيق في المختصر: وهو ما لم يسبق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره، أو ما يقرب منه، كقول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً وبابسا

لدى وكرها العناب والحشف البالي^(١)

وله اختراعات كثيرة، وهو أول الشعراء اختراعاً في الشعر، وأكثرهم توليداً.

(١) الشعر والشعراء ١١٠/١.

هذا البيت في وصف العقاب، كأن قلوب الطير رطباً العناب، وبابسا الحشف البالي، وخص القلوب، لأن فرخ العقاب - فيما يقال - يأكل لحم الطائر ما خلا قلبه، فلذلك كثرت قلوب الطير عندها.

وكان بشار بن برد يقول: لم أزل أحسد امرئ القيس على قوله هذا حتى قال بيتا مقاربا.

وقوله:

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل^(١)
فابتدع قيد الأوابد.

وقوله في باب التمثيل:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي يسهميك في أعشار قلب مقتل^(٢)
وقال في الإيغال: وليس بين الناس اختلاف في أن امرأ القيس أول
من ابتكر هذ المعنى:

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يشقب^(٣)
قال البكري:

وهذا التشبيه من التشبيهات العقم التي لم يسبقه أحد إليها، ولا
تعاطاها أحد بعده.

(١) قيد الأوابد: عنى بذلك أنه إذا أرسله على الصيد صار قيلا له من شدة عدوه، وقد اغتدى به الشعراء والكتاب فيه، فقالوا: قيد النواظر، وقيد الكلام.
(٢) مثل عينيها-يسهمي الميسر، يعنى المعلق، وله سبعة أنصبا، والرقيب وله ثلاثة أنصبا، ومثل قلبه بأعشار الجزور.
(٣) قال البكري: الظباء والبقرة عيونها سود في حالة الحياة، فإذا ماتت بدأ بياضها، فلذلك شبهها بالجزع الذي فيه سواد وبياض بعدما ماتت، والجزع هو القرز اليماني فيه سواد وبياض، الشعراء ١١٠/١.

وله في تشبيهاته طرائق بدیعة هو أول من ابتكرها، كتشبيه
الإضافة في قوله:

له أبطالا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
وقد زعم الفرزدق أنه أكمل بيت، أو قال أجمع بيت، وهو أول من
فتح هذا الباب.

وزعم بعض الرواة أن أول استعارة وقعت في الكلام قول امرئ
القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهمسوم لبيتلي
فقلست له لما تظسى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلكل
قال الرافعي في هذين البيتين: ليس بخفي أن العربي الذي يجيء
بالاستعارة المتمكنة، إنما كان ينظر فيها، ويديرها إدارة بحيث لا تتفق
اتفاقا، ولا تجيء عفوا إلا في النادر، ولذلك قل الجيد منها في كلامهم
حتى نزل القرآن، فتكون من هذه الجهة اختراعا يدل على قوة غير قوة
اللفظة، وهي في امرئ القيس أكثر منها في المأثور من شعر غيره من
الجاهلية، وأصفى ماء، وأعذب رواء، وحسب ذلك أن يكون دليلا على

تفضله، وأشهر الاستعارات التي اتفقت له هذا البيتان، فاستعار الليل سدولا يرخيها، وصلبا يتمطى به، وأعجازا يردفها، وكلكلا ينوء به، وقد تنازعها الأدباء حتى جرى مجرى المثل، وقلما نجد كتابا في البيان خاليا منهما.

* * *

كما علل الرافعي أسباب شهرة امرئ القيس في العرب، وبقاء شعره على ألسنتهم، فقال: إنهم يجدون في بعض كلامه رقة المنادمة، وطرب الحمر، وفنون الغزل، وغير ذلك مما هو من حظ القلب، ثم هم يرونه إذا أخذ في غير هذه المعاني يطبع ألفاظه على قلوبها من الاستعارة والتشبيه، فإذا قابلوا ذلك بخشونة غيره، وانصرافه إلى أوصاف البداوة وجدوا في شعره كالظل الذي يفيء، والماء الذي يجري، والحسن الذي يمتدح، والنسيم الذي يترنج، فكان ولا جرم، وكأنه يستهويهم استهواء، وكان مجموع شعره في البدو حضارة، وفي الحضرة بداوة.

* * *

وقال أحد النقاد المحدثين: فضل امرئ القيس في سبقة الشعراء إلى أبواب كثيرة، وتعرفه بمعانيها العديدة، فسن للشعراء طرقا وأساليب تبعوها عن قرب، ولم يزالوا مأخوذون بتلك المطالع الجميلة، من أمثال:

ألا انعم صياحا أيها الطلل البالي

وقوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فكان أول من وقف واستوقف على الأطلال، ويكى من ذكر الأحبة،
وأدخل في الشعر مواضيع الغزل الرقيقة، مع إطالة الوصف، واستبقاء
جميع صوره.

وكان فضله في ابتكار التعبير فضله في ابتكار المعنى، كقوله:

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقوله:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لجسد مؤثمل وقد يدرك المجد المؤثمل أمثالي

وقد سبق إلى معان أخذها من جاء بعده من الشعراء، ومن ذلك
قوله:

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

أخذه أوس بن حجر، فقال:

يزل قنود الرحل عن دأياتها

كما زل عن عظم الشجيج المحارف^(١)

وقال:

فمن لنا سرب كأن تعاجسه عذارى دوار في ملاء مذيل
عكس الصورة في التشبيه المقلوب، ففتح يابه لمن بعده من
الشعراء.

وكان له فضل السبق إلى ما يدعونه التشبيه المألوف

مثل قوله:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي
وقال أبو عبيدة: هو أول من قيد الأوابد فتبعه الناس.

* * *

وكان امرؤ القيس لا يتكسب بشعره، ولكنه مدح بني تميم رهط

المعلى:

أقر حشا امرئ القيس بن حجر بنو تميم مصابيح الظلام

(١) اللنايات: أضلاع الكتف، الشجيج: المشقوق الرأس، المحارف - جمع المحرف - وهو
الميل الذي تسير به الجراحات.

لأن المعلى أحسن إليه، وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء لقتله
بني أبيه.

وقال أيضا لسعد بن الضباب:

سأجزيك الذي دافعت عني وما يجزيك عني غير شكري

فأخبره بأن شكره هو الغاية في مجازاته. (١)

وقال ابن رشيقي: فضل على رضي الله عنه امرأ القيس بأن قال:

رأيت أحسن نادرة، وأسبقهم بادرة، وأنه لم يقل لرغبة، ولا لرهبة.

وقدم دعبل امرء القيس بقوله في وصف عقاب:

ويلمها من هواء الجسوطالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب.

وسئل لبيد: من أشعر الناس؟ قال الملك الضليل، قيل: ثم من؟ قال:

الشاب القتيل، يعني طرفة.

وسئل الفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: ذو القروح، قيل: حين يقول

ماذا؟ قال: حين يقول:

وقلهم جدهم بيني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب (٢)

(١) العمدة ٦/٦٤.

(٢) العمدة ٦/٧٧.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يقول من فضله: إنه أول من فتح الشعر واستوقف، وبكى في الدمن، ووصف ما فيها. ثم قال: دع ذا رغبة عن المنسبة، فتبعوا أثره. وهو أول من شبه الخيل بالعصا واللقوة والسباع والظباء والطير، فتبعه الشعراء على تشبيهها بهذه الأوصاف.

أول من بكى في الديار امرؤ القيس بن حارثة بن الحمام بن معاوية^(١)، وإياه عني امرؤ القيس بقوله:

يا صاحبي قفا النواعج ساعة تبكي الديار كما بكى ابن حمام^(٢)

وقال أبو عبيدة: هو ابن خدام، وأنشد:

عوجا على الظلل المحيل لعلنا تبكي الديار كما بكى ابن خدام^(٣)

(١) جمهرة الاتساب لابن خزم ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

ونسبه في المؤتلف للأمدي ١٠ هكنا «امرؤ القيس بن حمام ثم أعاده في ٩٢ وقال في شأنه: ص ١١» والذي أدركه الرواة من شعره قليل جدا» وقال في ص ٩٢: «درس شعره وذهب إلا اليسير».

(٢) من المعلقة، وفي رواية البيت خلاف كثير. النواعج والناعجات من الإبل: البيض الكريمة.

(٣) المحيل: الذي أتت عليه أحوال وغيرته. وقد اختلف في ابن حمام هنا، فقليل أيضا «ابن خدام» باغاء المعجمة والدال المهملة، وقليل غير ذلك. الخزانة ٢: ٢٣٤ - ٢٣٥.

- قال: وهو القائل: (١)

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الدار ناقف حنظل

أراد أنه بكى في الدار عند تحملهم، فكأنه ناقف حنظل، وناقف الحنظلة ينقفها بظفره، فإن صوتت علم أنها مدركة فاجتناها، فعينه تدمع لحدة الحنظل وشدة راحته، كما تدمع عيناً من يدوف الخردل، فشبه نفسه حين بكى بناقف الحنظل.

- فمما أخذه الشعراء من شعر امرئ القيس (٢):

قال امرؤ القيس:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون: لا تهلك أسي وتجمل

أخذه طرفة فقال:

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون: لا تهلك أسي وتجمل

(١) يريد أن أبا عبدة يذهب إلى أن البيت الآتي، وهو من المعلقة، أصله لامرئ القيس بن خنم، فأخذه امرؤ القيس بن حجر. وقد صرح بذلك صاحب الخزانة، الشعر والشعراء ١٢٨/١.

(٢) من المعلقة.

- وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

ويخطو على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب^(١)

أخذه النابغة الجعدي فقال:

كأن حواميه^(٢) مدبراً خضبن وإن كان لم يخضب

حجارة غيل برضراضة كسين طلاء من الطحلب

- وقال امرؤ القيس يصف الناقة:

كأن الحصى من خلفها وأمامها إذا تجلته رجلها حذف أعسرا^(٣)

أخذ الشماخ فقال:

لها منسم مثل المحارة خفة كأن الحصى من خلفه حذف أعسرا^(٤)

(١) من قصيدة في الديوان ٣٦ - ٤٦. الصم الصلاب: حوافر الفرس، شبهها بالصخور الصم. الغيل: الماء الجاري. الوارسات: المصفرات من الطحلب، لونها كلون الورس. اللسان ١٤١:٨، ١٤:١٤.

(٢) الحوامي: حروف الحوافر من عن يمين وشمال.

(٣) من قصيدة قمر الديوان ٦٦ - ٧٦. تجلته: رمته بمناسبة. الحذف: رمي الحصى بالأصابع. الأعسر: الذي يعمل يسراه، فإذا حذف بها فقلما أصاب. اللسان ١٠:٧-٤.

(٤) المحارة: الصدفة، شبه بها منسم الناقة. وفي اللسان عن أبي العباس الأعرابي: «المحارة منسم البعير» فهذا على التشبيه، أخذوه كأنه معنى وضعي، ولم يشيروا إلى أصل التشبيه وأنه استعمال شاعر كالشماخ.

وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

كفيت يزل اللبد عن حال منته كما زلت الصفواء بالمتنزل^(١)

أخذه أوس بن حجر فقال:

يزل قنود الرجل عن دأباتها

كما زل عن عظم الشجيج المحارف^(٢)

- وقال امرؤ القيس يصف فرساً:

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا

له حجيات مشرفات على الفال^(٣)

(١) من المعلقة. يزل اللبد عن وسط ظهره. الصفواء: الصخرة النساء. اللسان ١٩: ١٩٧، الشعر والشعراء ١/١٣٠.

(٢) قنود: جمع قنود، وهو من خشب الرجل. الدأبات: فقار الكاهل في مجتمع ما بين الكتفين من كاهل البعير. الشجيج: المشجرج. المحارف: جمع صحراف، وهو الميل الذي تسير به الجراحات. اللسان ١٠: ٣٩.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٣٨ - ١٥٦. الشظى: عظيم ملزق بالذراع. عبل الشوى: غليظ القوائم. النسا: قال الأصمعي: «عرق يخرج من الورك فيستيطان القمخين ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافرة والشنج: التقيض، وهو مدح له، لأنه إذا تقبض نساء وشنج لم تسترخ رجلاه. الحجيات: رؤوس عظام الوركين. الفال: عرق في الفخذين يكون في خربة الورك ينحدر في الرجل، وأصله «فائل» فأشبهه على القلب، أو هما لغتان فيه. اللسان ١٤: ٥٢، ١٩: ١٦٢، ٩: ٢٩١.

فأخذه كعب بن زهير (١) فقال:

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا

كان مكان الردف من ظهره قصر

وأخذه النجاشي فقال:

أمين الشظا عاري الشوى شنج النسا

أقب الحشا مستنزع التدفان (٢)

- وقال امرؤ القيس:

فلأيا بلاي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك السراة محنب (٣)

فأخذه زهير فقال:

فلأيا بلاي ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك ظماء مفاصله (٤)

(١) وأخذه أيضاً دريد بن الصمة في الأصمعية ٢٨:٢٥.

(٢) التدفان: سرعة رجل اليبين. الأغاني ١٢:٧٢، الشعر والشعراء ١/١٣٦.

(٣) من قصيدة في الديوان ٣١ - ٤١. لأيا بلاي: أي جهناً بعد جهد حملنا غلامنا على الفرس. محبوبك السراة: مجدول الظهر. محنب: من التحنيط، وهو أحد بنات في وظيفي يدي الفرس، وليس ذلك بالاعوجاج الشديد، وهو مما يوصف صاحبه بالشدة. والبيت في اللسان ١:٣٢٤، ٢٠:٣٠٤.

(٤) البيت من قصيدة في ديوانه بشرح ثعلب طبعه دار الكتب المصرية ١٣٣. ظماء مفاصله: ليست برحلة، وإذا كان المفصل ظمناً كان أبيض له.

- وقال امرؤ القيس:

وعنس كألواح إيران نسأتها على لاحب كالبرد ذي الحبرات (١)
أخذه طرفة فقال:

أمون كألواح إيران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد (٢)
- وقال امرؤ القيس بصف امرأة:

نظرت إليك بعين جازئة حورا حاتية على طفل (٣)
أخذه المسيب فقال:

نظرت إليك بعين جازئة في ظل باردة من الصدر
- وقال امرؤ القيس بصف الفرس:

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسى بعد المخيض (٤)

(١) من قصيدة في الديوان ٥٧ - ٥٩. العش: الشاقة القوية، شبهت بالصخرة لصلابتها. إيران: خشب صلب يشد بعضه إلى بعض. نسأتها: زجرتها وسقتها بالنسأة، وهي العصا. اللاحب: الطريق الواضح. البرد ذو الحبرات: من ثياب اليمن المشاة. وصدر هذا البيت أخذه أيضاً شاعر آخر. في اللسان ١: ١٦٤.

(٢) ناقة أمون، أمينة وثيقة الخلق قد أمتت أن تكون ضعيفة، وهي التي أمتت العثار والإعيا. البرجد: كساء مخطط ضخم. اللسان ١٦: ١٥٣.

(٣) من قصيدة في الديوان ١٤٦ - ١٤٩. جازئة: من «جزأ بالشئ» قنع واكتفى به، كاجتزأ. ويقوة جازئة: مكثفة بالكلا عن الماء.

(٤) من قصيدة في الديوان ١٠٨ - ١١١. يجم عن الساقين: يستريح عليهما بعد تعبهما فيذهب إعياؤهما. الحسى: حفيرة قريبة القعر في الرمل ينشط ماؤه بارداً عذبا. بعد الخيض: بعد أن مخض بالدلاء، أي أكثر الناس التزع بها منه. اللسان ١٤: ٣٧٢.

أخذه زيد الخيل فقال:

يجم على الساقين بعد كلاله كما جم جفر بالكلاب نقيب^(١)

- قال أبو عبيدة: هو أول من قيد الأوابد، يعني في قوله وصف
الفرس «قيد الأوابد»^(٢) فتبعه الناس على ذلك.

- وقال غيره: هو أول من شبه الثغر في لونه بشوك السيال فقال:

منايته مثل السدوس ولونه كشوك السيال وهو عذب يفيض^(٣)

فاتبعه الناس. وأول من قال «فعاذي عدا» فاتبعه الناس^(٤). وأول
من شبه الحمار «بمقلاء الوليد»، وهو عود القلعة^(٥). و«بكر الأندري»

(١) نقيب: منقوب، الشعر والشعراء، ١٣٢/١.

(٢) الأوابد: الوحوش. يريد أن هنا الفرس من سرعته يلحق الأوابد فيصير لها بمنزلة
القيد. وهذا الوصف في المعلقة، الخزانة ١: ٥٠٧ - ٥٠٨.

(٣) في الديوان ١٠٤. السدوس، بضم السين: النيلج الأسود، الذي تسميه العامة
«النيلة». السيال: شجر سبط الأغصان عليه شوك أبيض، أصوله أمثال ثنايا العذارى.
يفيض: يقطر ويسيل، وقيل يبرق، اللسان ٧: ٤١٠ و ٨: ٣٣٥.

(٤) البيت من المعلقة:

فعاذي عدا بين ثور ونعجة دراكاً ولم ينضح بما فينسل

اللسان ١٩: ٢٦٧، ١٩: ٢٦٦ وهو في قصيدة علقمة الفحل، والبيت فيها ٤٧. وكذلك
هو مثبت في ديوان علقمة الذي في (مجموع خمسة دواوين من أشعار العرب) ص ١٣٤.
عادي: والي، يقال «عادي بين صيدين وبين رجلين» إذ طعنهما طعنتين متواليتين.

(٥) المقلاء، والقلعة، بضم القاف وفتح اللام مخففة: عودان يلعب بهما الصبيان،
فالمقلاء: العود الكبير الذي يضرب به، والقلعة: الخشبية الصغيرة التي تنصب، وهي قدر
ذراع. وهذا التشبيه في بيت في الديوان ١٠٧ واللسان ٢٠: ٦١.

والكر: الحبل^(١). وشبه الطلل «بوحى الزبور في العسيب^(٢)». والفرس
«بتيس الحلب^(٣)».

- وما انفرد به قوله في العقاب^(٤):

كأن قلوب الطير رطباً وباساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

شبه شيئين بشيئين في بيت واحد: وأحسن التشبيه.

- وقوله:

له أيتلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتقل^(٥)

وقد تبعه الناس في هذا الوصف وأخذوه، ولم يجتمع لهم ما اجتمع
له في بيت واحد. وكان أشدهم إخفاء لسرقة القاتل. وهو المعذل^(٦).

(١) الأندري: الحبل الفليظ. اللسان ٥٤:٧ في شطر من شعر لييد.

(٢) الزبور: الكتاب المزبور. العسيب: سفح النخل الذي جرد عنه خوصه. وهذه إشارة
إلى مطلع قصيدة في الديوان ١٨٦.

(٣) في بيت في الديوان ٤٦ واللسان ٣٢١:١ وقال: «شبه الفرس بالتيس الذي تحلب
عليه صائك المطر من الشجر، والصائك الذي تغير لونه وريحه».

(٤) في الديوان ١٤٦.

(٥) من المعلقة. التتقل: يتأمن مشاتين.

(٦) القصري: الضلع التي تلي الشاكلة بين الجنب والبطن. الرثم: الظبي الأبيض الخالص
البياض. السائفة: أعلى العنق. الهيق: الظليم، وهو ذكر الشعام. ظليم أريد نعامة ريداء
وريداء: لونها كلون الرماد، وقيل سوداء، والجمع ريد.

له قصر يا رثم وشدقا حمامة وسالفتنا هيق من الريد أريدا
- ويستجد من قوله (١):

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

ويعاب في قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي قائم محول (٢)
إذا ما بكى من خلفها انحرقت له بشق وتحتي شقها لم يحول
قال أبو محمد: وليس هذا عندي عيباً. لأن المرضع والحبلى لا
تريدان الرجال. فإذا أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشد إصبا.
والها.

- ويعاب من قوله (٣):

أغرک مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمري القلب يفعل
وقالوا: إذا كان هذا لا يغرفما الذي يغرف؟ إنما هذا كأسير قال
لأسره: أغرك مني أنني في يدك وفي إسارك وأنك ملكت سفك دمي!

(١) في الديوان ٣٣، الشعر والشعراء - ١٣٤/١.

(٢) من المعلقة. التمام: التعاويد. محول: أنني عليه حول.

(٣) من المعلقة، الشعر والشعراء - ١٣٥/١.

قال أبو محمد: ولا أرى هنا عيباً، ولا المثل المضروب له شكلاً،
لأنه لم يرد بقوله «حبك قاتلي» القتل بعينه، وإنما أراد به: أنه قد برح
بي فكأنه قد قتلني. وهذا كما يقول القائل: قتلتنى المرأة بدلها
وهينها. وقتلنى فلان بكلامه. فأراد: أغرك منى أن حبك قد برح بي
وأنتك مهما تأمرى قلبك به من هجري والسلو عنى يطعك، أى فلا
تفتري بهذا، فإني أملك نفسي وأصبرها عنك وأصرف هواي.

- ويحباب عليه تصريحه بالزنا والديبب إلى حرم الناس. والشعراء
تتوفى ذلك في الشعر وإن فعلته، قال:

سموت إليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالاً على حال

فقلت: سباك الله إنك قاضحي

ألست ترى السمار والناس أحوالي

فقلت: بين الله أبرح قاعداً

ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

حلفت لها بالله حلقة فاجر:

لناموا وما إن من حديث ولا صالي

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت

هصرت بغصن ذي شماريخ مبال

وصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا

ورضت، فذلت، صعبة، أي إذلال

فأصبحت معشوقاً، وأصبح بعلمها

عليه القتام سئ الظن والبال^(١)

ويرى النقاد العرب أن امرأ القيس أول من استعمل النسيب وغيره من معاني الشعر في أسلوب القصائد، ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل، وكثرة الإقواء في القافية. وكثرة التصريح في غير أول القصيدة^(٢).

ولا يعرف الأدب العربي في العصر الجاهلي أحداً من قالة الشعر، ورواض القريض سبق امرأ القيس فيما أتى به من مقلدات الشعر، وغرر القصائد، وما تصرف فيه من فنون البيان، وابتكره من المعاني والأساليب، واتخذ من مذاهب الكلام.

(١) سموت؛ نهضت، حباب؛ نفاخات وفقاقيع تطفو على الماء، أحوالي؛ جمع حول، الصالي؛ المستدفن بالنار، القتام؛ القبار، الشعر والشعراء ١٣٦/١.
(٢) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ٩٩/١.

وهو عند النقاد من القدماء أول من فتح أبواب الشعر، وجلا أبقار المعاني، وقرب المآخذ ونوع الأغراض، وافتن في المقاصد، ووصف الخيل، ويكى النوى والديار، وهو أيضاً صاحب مذهب اخترعه، وجوده، وانفرد به، وأتى في التشبيه المصيب، والاستعارة القريبة بأشياء تابعته فيها الشعراء، وعد العلماء شعره في ذلك مثل يقاس عليه، ويحتكم في السبق والتخلف إليه.

وعند أصحاب اللغة، وعلماء العربية صاحب مذهب لغوي، اختار لشعره اللفظ المحير، والأسلوب المتنخل، وأفرغ كلامه في قالب اختص به وأصبح دليلاً عليه، فجاء شعره على الأسماع منسجماً منغوماً رائعاً، وجرى على الألسنة عذبا سائغاً سلسالاً.

وفي جميع أطوار حياته، منذ حداشته وطراءة سنة، إلى آخر أيامه، قال الشعر، وصاغ القريض، وتناقلته الأسواق والمجامع، وتسومع به في البوادي والخواضر، وتفرق على ألسنة الناس في كل مكان^(١).

وبعد امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية، والمقدم في الطبقة الأولى من شعرائهم المعروفة أخبارهم، وهو - وإن كان راوية أبي دؤاد الإيادي، وخاله مهلهل - لم يسبقه على مبلغ علمنا إلى طرق كثير من أبواب

(١) تصدير ديوان امرؤ القيس ص ٥ - ٧.

الشعر، والإفاضة أحد، فهو أول من أجاد القول في استيقاف
الصحب، ويكاء الديار، وتشبيه النساء بالطباء، والمها والبيض، وفي
وصف الخيل بقميد الأوبد، وترقيق النسب، وتقريب مأخذ الكلام،
وتجويد الاستعارة وتنويع التشبيه، حتى ليظن أنه المبتكر لذلك،
ويغلب على شعره التشبيب، والوصف أيام صبوته، وبث الشكوى،
وتنكر الخلان زمن محنته، وقد يفحش في تشبيهه بالنساء، وفي
حديثه عنهن ويشم من شعره رائحة النبل، وتلمح فيه شارات اليسار،
والسيادة، والملك، ومن ذلك قوله:

فظل العذارى يرقبن بلحمها وشحم كهذاب الدمقس المقتل

وقوله:

وظل طهارة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

وقوله:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من الماء
ولكنما أسعى لمجد مؤثّل وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالي

وشعره - وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة، وخشونة
الألفاظ، وتجهم المعاني - تراه يخطر أحيانا في حبل من حسن

الديباجة، ويدبغ المعاني، ودقة النسب، ومقاربة الوصف، وسهولة
المأخذ، مما كان منه خلفه أجمل مثل حاكوه في ترفيق شعرهم، وحسن
تأنيهم في تصوير معانيه.

فمن النوع الأول قوله في وصف محبوبته:

وإن هي تمشي كمشي النزيب - ف يصرعه بالكثيب البهر

برهره رودة رخصة - كخرعوبة البانة المنقطر

وقوله في معلقته:

وُفِرغ يغشى المتن أسود فاحم - أتيت كقنو النخلة المتعشکل

غداثه مستشزرات إلى العلا - تضل العقاص في مثنى ومرسل

وكشع لطيف كالجديل مخصر - وساق كأنبوب السقي المذلل

ويعطو برخص غير ششن كأنه - أساربع ظبي أو مساويك إسحل

ومن النوع الثاني:

كأنَّ عيون الوحش حول خياتنا - وأرحلنا الجزع الذي لم يشقب

وقوله:

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا - لدى وكرها العتاب والخشف البالي

وقوله:

أغرك مني أن حيك قاتلي وأنتك مهما تأمري القلب يفعل

وفي شعره السائر مسير الأمثال قوله:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه يخزان

وقوله:

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله:

وقد طوقت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب^(١)

وقد ذكره - النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هو قائد الشعراء إلى النار، أو معه لواء الشعراء إلى النار.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً فيه: ذاك رجل مذكور في

(١) شرح مقامات بديع الزمان ص ٢٥٥ - ٢٥٧.

الدنيا شريف فيها ، منسي في الآخرة حامل فيها ، يجئ يوم القيامة
ومعه لواء الشعراء إلى النار .

وذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : سابق الشعراء ،
خسف لهم عين الشعر^(١) .

أما قول الهمذاني على لسان البطل عن امرئ القيس :

هو أول من وقف بالديار وعرضاتها ، واغتدى والطير في وكناتها ،
ووصف الخيل بصفاتها . فهأنذا أوضح ذلك بأمثلة من شعر امرئ
القيس .

أولاً : أول من وقف بالديار وعرضاتها :

قال امرؤ القيس في الوقوف بالديار :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنتزل بسقط اللوى بين الدخول وحومل
فتوضّح فالمقراة لم يعف رسمها لما تسجتها من جنوب وشمال

(١) الشعر والشعراء ، ١٢٦/١ ، عيون الأخبار ١٤٣/١ - ١٤٤ الإصابة ٢٤٩/٤ ،
الأغاني ١٢٣/٧ ، معجم البلدان ٤٢١/٥ ، تاريخ ابن الأثير ٢١٨/٢ ، تاريخ بغداد ٣٧/٩ .

ترى بحر الأرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل
كأنني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل
وقوفاً بها صبحي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجمل
وإن شفائي عبرة إن سفحتها وهل عند رسم دارس من معول
كدينك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل
ففاضت دموع العين مني صباية

على النحر حتى بل دمعي محملي^(١)

(١) ديوان امرئ القيس ص ٨ - ٩.

السقط: منقطع الرمل، واللوى: حيث يلتوي ويرق، وإنما خص منقطع الرمل وملتواء،
لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية، وأمكن لحفر
النوى، وإنما تكون الصلابة حيث يتقطع الرمل ويلتوي ويرق. والدخول وحومل: بلدان.
توضح والمقراة: موضعان، ويعف: يدرس، الرسم: الأثر، الجنوب: الريح القبيلة، الشمال:
الجوفية، «نسجتها» تعاقبت عليها فسحت آثارها. «لم يعف رسمها»: تغير لشقادم عهده،
وبقيت منه آثار تدل عليه، منها من أن تذهب ألبنة اختلاف الريحين عليه؛ فكلما رسمته
هذه ودفتته - بما هالت عليه من الرمل - سرت عنه الأخرى وأظهرته، فهو - وإن تغير أثره
- باق، فنحن ننظر إليه ونحزن، ولو ذهب كل الذهاب لاسترحنا ولم ننظر إلى ما يحزنتنا،
وأنت ضمير المنزل في قوله: «رسمها»، لأنه في معنى الدار والمنزلة.
الأرام: الظياء البيض، يعني أن الدار أظفرت من أهلها وصارت مألفاً للوحش قيعرها فيها.
السمر: شجر أم غيلان؛ وهي شجر الصمغ العربي. والناقف: المستخرج حب الحنظل،
والحنظل له حرارة تدمع منها العين؛ فشب ما جرى من دمعه لفقد أهل الدار بما يسيل من
عين ناقف الحنظل، وإنما خص ناقف الحنظل، لأنه لا يملك سيلان دمعه كما لا يملكه من اشتد
شوقه وحزنه.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
أنت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان
ذكرت بها الحى الجميع فهيجت عقابيل سقم من ضمير وأشجان
فسحت دموعي في الرداء كأنها كلي من شعيب ذات سح وتهتان
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شئ سواه بخزان^(١)

== المطي: الإبل؛ رقت الدابة، أي حبستها.

«عند رسم دارس»، وقد قال: «لم يعف رسمها»، فإنما يريد أنه قد درس ولم يذهب كله، والمعول هنا: من العويل والبكاء، وأنه يقول: وأعولاه؛ ويحتمل أن يكون من التعويل على الشيء، أي أن البكاء على الرسوم لا يجدي شيئاً، فلا ينبغي أن يعول عليه. الدين: الدأب؛ وهو العادة؛ أي لقيت من هذه ما كنت تلقى من أم الخويرث، وهي هر أخت الحارث بن حصين بن ضمضم. ومأسل: موضع. الصباية: رقة الشوق. والمحمل: سير يحمل به السيف؛ وأراد أنه بكى بكاء شديداً حتى بل دمعه محمل سيفه.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٨٩ - ٩٠

«وعرفان» أي ما عرف من علامات الدار، فدعاه إلى الوقوف والبكاء. «عفت آياته» أي تغيرت ودرست علامته. «أنت حجج» يصف قدم الدار ويُعد أهلها بالأنيس حتى تغيرت رسومها، ودرست آثارها، فأصبحت كالكتاب في الخفاء والدقة. والزبور: اسم للكتاب؛ وإنما يشبهون الرسوم بالكتاب، لأنها تدل على مواضع الديار وتبينها كما يدل الكتاب على المعنى المراد، ويعبر عنه مع دقته وحقرة حروفه.

وقال امرؤ القيس إذ في الوقوف بالديار:

لمن الديار عصفور الحبس درست وتحسب عهدها أمس
كيف الوقوف بيل خلق أم ما سؤال جنادل خرس
دار لفاطمة إلا تبلت قلبي وتيم عيها نفسي
إن تغد في دوني نناع فقد أصبى فتاة الحبي بالأنس (١)

« والجميع » المجتمع من مرتبهم. والمقابل: الهيايا، ولا واحد لها، وهناك هي وجع في الغزاد، يقول: ذكر هذه الرسوم اجتماع الحبي، فهيج ذلك بقايا سقمي وقواها. وقوله: « من ضميره أي كنت ترى علي ما بقي من سقمي لفرأهم إلى أن هيجهت النار فأظهرته ولم أستطع إخفا ».

« فسحبت دموعي أي سألت وصيت كما يسبح المطر، وشبه ذلك بما يسيل من كلبي الشعب؛ وهي المازاد ككلاها: وقع تكون في أصول عراها، وأكثر ما يسيل الماء منها. والتهتان: السيلان؛ وأيضاً مطر ضعيف. إذا كان المرء لا يبط سره فهو أخرى ألا يحفظ سر غيره. « يخزن » يستتر ويحفظ، وكفى باللسان عن الله يحفظه ويذمه.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٤٣.

عفون، أي درس الحبس؛ مكان، عهدها، أي عهدك بها.

الجنادل: الحجار والواحدة جندة؛ والكثير الجنادل.

« تبلت » أي كآ؛ طالته بتيل؛ وهو الشار والقره والطائلة؛ وكله واحد، « وتيم »، أي وذلك

عبيها نفسي. تغد وتوسلي وتسلمي واحد.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ديار بها الظلمان والعين تعكف وقفت بها تبكي ودمعك يذرف
يهيج حزناً من ضميرك داخلاً تذكر ليلى بعد غرب يكفكف
لقد راعني ظبي تعرض مطلقاً أغن عليه حليه يتشوف^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ألا عم صباحاً أيها الظلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٣٢٣.

الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام. والعين: بقر الوحش، والذكر أعين، والأشئ عينا.
«تعكف» أي تلتزم هذه الديار فلا ترحها، «يذرف»، يسيل ويجري.
الغرب: الدلو الكبيرة، والجمع غروب، «يكفكف»، أي يكف.
راعني، أي أفرغني، والروع: الفزع. وقوله: «مطلقاً»، يعني معه ولده، وهو طقله؛
وأكثر ما يقال «مطلقاً» للأشئ من الظباء، وإنما يريد ها هنا مطلقاً، أي شبيب بها، فذكر
ولدها، أغن: يريد في صوته غنة، وهي شبيهة بالبحّة، يتشوف: يكون يجلو نفسه في
حليه، وفي معنى يتقرب ويتشوق.

وهل يعمن إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبببت بأوجال
وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال
ديار لسلمى عاقبات بندي خال ألح عليها كل أسحم هطال^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

غشيت ديار الحى بالبكرات فعارمة فبسرقة العيرات
فغول فحليت فنفه فمنعج إلى عاقل فالجب ذي الأمرات
ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ما تنقضي عبراتي
أعني على التهام والذكرات بيتن على ذي الهم معتكرات

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٧.

دعا، للطلل بالنعيم، وأن يكون سالماً من الأفات - وهنا من عاداتهم - كأنهم يعنون بذلك أهل الطلل. «وهل يعمن»، يقول: قد تفرق أهلك وذميرك فتغيرت بعدهم عما كنت عليه، فكيف تنعم بعدهم وكأنه يعني بذلك نفسه، فضرب المثل بوصف الطلل، ويقال: وعم يعمن في معنى نعيم يتعم.

«سعيد مخلد» يريد المخلد في الدنيا بسعادة الجدد. والأوجال: جمع وجل، وهو الفزع. الأحوال: الأعرام، يقول: كيف يتعم من كان أقرب عهده بالنعيم ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال؛ أي من ثلاثة أحواله وتكون: «في» أيضاً بمعنى «مع» ها هنا الأسحم: السحاب الأسود. والهطال: المطر الدائم، يصف أن هذه الديار قد تعفت ودorst لإلحاح المطر عليها ولزومها إياها.

ليليل التمام أو وصلن بمثله مقايسة أياصها نكرات
أرن على حقب حبال طروقة كذود الأجير الأربع الأشترات (١)

وقال امرؤ القيس أيضا في الوقوف بالديار:

لن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور قي عسيب يان
ديار لهند والرياب وقرتني ليالينا بالنعف من بدلان
ليالي يدعوني الهوى فأجيبه وأعين من أهوى إلى روان (٢)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٧٨ - ٧٩.

البكرات: جبالات بطريق مكة، كأنها شبهت بالبكرات من الإبل. والبرقة: أرض فيها حجارة
ورمل. والعيارات هنا: مواضع الأعيار جمع عير وهو حمار الوحش، وعارمة: موضع. وغول
وحليت ونف، ومنعج كلها مواضع. وعاقل: جبل. والأمرات: الأعلام، واحداها أمرة، وهي
الجبل الصغير؛ وهي مثل الصوى. وصف أن الديار التي غشيتها مستقرة بين هذه المواضع.
«ظلت ردائي فوق رأسي»، أي لما غشيت الديار فوجدتها مقفرة متخيرة قعدت متذكراً
باكياً ما تنقضي دموعي، «أعد الحصى» يصف أنه كان يعيث بالحصى ويقليه بين يديه،
وهو من فعل المحزون التحير.

«أعني على التهام»، أي ساعدني على مقاساة همومي. والذكرات: أي ما يتذكره من
أحبته فيهبج حزنه وهمه. «معتكرات»، أي دائمات متتابعات.

«ليليل التمام»، أي تبيت الذكرات والهموم متتابعات على في ليل التمام، وهو أطول
الليل. «أو وصلن بمثله» يريد: أو وصلت الهموم والذكرات لليل التمام في الطول. «مقايسة
أياصهم» أي قد قيست أيام همومي بلياليها في الشدة والإتكار، وهو كقولته: «وما الإصباح
فيك بأمثل». وقوله: «نكرات» أي شديداً منكرات، ونصبها على الحال من الأيام.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٨٥.

يقول نظرت إلى هذا الطلل فشجاني، أي أحزنتني «كخط زبور»، أي قد درس وخفيت»

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

أما على الريح القديم بعسسا كأنني أنادي أو أكلم أخرسا
فلو أن أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقبلاً عندهم ومعرسا
فلا تنكروني إنني أنا ذاكم ليالي حل الحى غولا فألعسا
فإما تريني لا أغمض ساعة من الليل إلا أن أكب فأنعسا
تأويني دائي القديم فغلسا أحاذر أن يرتد دائي فأنكسا^(١)

= آثاره فلا يرى منه إلا مثل الكتاب في الحفاء. والزبور: الكتاب. «في عسيب يمان» كان أهل اليمن يكتبون في عسيب التخلّة عهدهم وصكاكهم. ويروي: «في عسيب يمان» على الإضافة، أي في عسيب رجل يمان.

«ديار لهند»، ذكر أن الظلل، كانت هند وصواحبها مقيمات فيه زمن المرتبج، «ليالينا بالنعف»، أي كانت هذه الديار لهند وصواحبها في أيام وليال كانت لجمعهن مع امرئ القيس يلهو بهن. والنعف: ما انحدر من الجبل وارتفع عن الوادي. وبدلان: اسم موضع؛ وصف أن منازلهم كانت له.

«يدعوني الهوى فأجيبه»، أي أسرع إليه وأتابعه، وقوله: «روان» دائسات النظر في سكون؛ وإنما يريد أنهن كلفات به، مائلات إليه، لا يرمين أبصارهن إلى غيره.

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٠٥.

يقول لصاحبه: أما على الريح، أي انزلا عليه مساعدة لي حتى أسأله عن أهله، ثم أخبر أنه ناداه فلم يجبه فقال: كأنني أنادي أو أكلم أخرس، والأخرس: الذي لا يتنطق. وعسس: اسم موضع.

ثم بين أن هذه الدار خالية لا أنيس بها يستقر عندها فقال: لو أن أهل الدار فيها كعهدنا، أي كما عهدنا زمن المرتبج وجدت مقبلاً، أي نزولا في القائلة ومعرساً، وهو النزول.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

وقال أيضاً وكان بينه وبين سبيع بن عوف بن مالك بن حنظلة
قراية، فأتى امرأ القيس يسأله فلم يعطه شيئاً، فقال سبيع أبياتاً يعرض
بأمرئ القيس فيها ويذمه، فقال امرؤ القيس مجيباً له على ذلك:

لمن الديار غشيتها بسحام فعمائتين فهضب ذي أقسام
قصفا الأطيظ فصاحتين فغاضر تمشي النعاج بها مع الأرام
دار لهند والريساب وفرتنسى وليس قبل حوادث الأيام
عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن خدام
أو ما ترى أظعانهن بواكرا كالنخل من شوكان حين صرام

= في أول الليل أو في آخره للاستراحة.

«فلا تتكروني» كأنه يخاطب أهل الدار فلما أتاها فلم يجد بها ما يوافقه ويسره، وإنني
أنا ذاكم، أي الذي عرفتم وصحبتكم زمن المرتبج إذ كان الحى يحل غولاً فألغس، وهما
موضعان ارتبعوا فيهما.

«فلما تريتني لا أغمض ساعة»، يصف أن فيه منها داء، يمنعه النوم، فلا ينام منه شيئاً إلا
أن يكب فينعس. والإكباب ملازمة الشيء مع انعطاف عليه وانحناء.
تأويني ذاتي: جأني مع الليل، يعني أنه كان سلا، ثم تذكر فعاود وجده وأسفه. وإنما خص
الليل بذلك لأن الإنسان يتفرد فيه بنفسه، ويتفرغ لذكره وهمومه، فقلنا: أتاه ليلاً في القفس،
وهو الظلمة، فأنكس من نكس المرض، وهو الرجوع إليه بعد البرء، يرتد: يعود على برء.

حور تعلل بالعبيسر جلودها بيض الوجوه نواعم الأجسام
 فظلمت من دمن الديار كأنتي نشوان باكره صيروح مدام
 أنف كلون دم الغزال معتق من خمر عانة أو كروم شبام
 وكان شاربها أصاب لسانه موم يخالط جسمه بسقام^(١)

(١) ديوان امرئ القيس ص ١١٤ - ١١٥.

«لن الديار»، كأنه لما ألم بها قرأها متغيرة عن حاله تنكرت عليه، فمال عنها، ثم تبين له بعد استبانتها أنها دار لهند وصواحبها. وسحاح اسم موضع أو جبل، وعمائتان: جبلان. والهضب: جمع هضبة؛ وهي قطعة من الجبل مرتفعة؛ وذو أقدام: جبل؛ وصف أن هذه الديار بين هذه المواضع.

صفا الأبيط وصاحتان وغاضر: كلها مواضع؛ وصف أن هذه الديار قديمة العهد بالأنيس، والتماج قشي مع الأرام. يقول: هذه الديار لهند وصواحبها؛ إذ نحن جيرة قبل أن تحدث الأيام الفراق.

«عوجا» أي اعطفوا رواحلكما، وعوجا على الطلل المحيل؛ يعني الذي أتى عليه حول فتغير. «لأنا» بمعنى «لعلنا». وابن خنم: رجل ذكر الديار قبل امرئ القيس وكفى عليها. ويروي: «ابن خنم»، و«ابن حمام».

«كالنخل من شو كان» شبه الأظعان في ارتفاع هودجهن واختلاف ألوانها بالنخل الذي كان صرامه. وشو كان: موضع كثير النخل ناعمه.

«حور تعلل بالعبيسر»، أي يطيبين بالزعفران مرة بعد مرة. والعبيسر: الزعفران عند أكثر العرب؛ وهو أيضاً اخلاط من الطيب فيها زعفران، والجور: جمع حورا؛ وهي الشديدة بياض الحدقة والشديدة سوادها.

«ظلمت في دمن الديار» يصف أنه أقام في تلك الديار حيران أسفاً لما رأى من تغيرها، فشبه نفسه بالنشوان لذلك.

«أنف»، أي مستأنفة أول ما فتقت وأخرجت من الدن، وشبهها بدم الغزال في شدة حرته، وخص الغزال لأن دمه - فيما يذكر - أشد حمرة من غيره. وعانة: قرية بالجزيرة. وشبام: اسم قرية.

«أصاب لسانه موم»، يريد أن شارب الخمر إذا سكر يذهب عقله ويخلط في كلامه ولا ينطق لسانه؛ فكان به موماً، وهو البرسام واليلسام أيضاً، وهي علة بهذي بها.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

يا دار ماوية بالخائل فالسهب فالحبتين من عاقل
صم صداها وعفا رسمها واستعجمت من منطق السائل^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ألا انعم صباحا أيها الريح وانطق

وحدث حديث الراكب إن شئت وأصدق

وحدث بأن زالت بليل حملهم

كنخل من الأعراض غير متيق

(١) ديوان امرؤ القيس ص ١١٩.

الخائل: موضع. والحبتان: أرض فيها لبن. والسهب: المستوى من الأرض. وعاقل: جبل باليمامة.

«صم صداها»: هنا مثل ضربه للدار؛ ويقال: أصم الله صداها: أي سمعه؛ وإنما يريد أنها مقفرة لا أنيس بها فيسمع صوته. ويحتمل أن يكون الصدى هنا: الصوت الذي يجيبك بثقل الذي تتكلم به؛ وهو الذي يسمى بابنة الجبل؛ فيكون المعنى أنه لا أحد بها؛ يجيبه الصدى. وقوله: «واستعجمت» أي لم تتكلم ولم تحر جواباً؛ وإنما يريد أن من ألم بها فسأل عن حال أهلها لا يجد جواباً.

جعلن حوايا ، واقتعدن قعائدا وحققن من حوك العراق المنمق
وفوق الحوايا غزلة وجآذر تضمخن من مسك ذكي وزنبق
فأتبعتهم طرفي وقد حال دونهم غوارب رمل ذي إلاء وشبرق
على إثر حي عامدين لنية فحلوا العقيق أو ثنية مطرق^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

يا دار سلمى دارساً تؤبها بالرمل فالخبتين من عاقل

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

«انعم صباحاً»، كانت تحية أهل الحاهلية، وقالوا: الدعاء هو للربع والمعنى لأهله؛ ومثل
هذا في أشعارهم كثير.

المسول: الإبل التي يحتمل عليها. والأعراض: أودية، واحدها عرض. «غير منبوق» يعني
غير مزه؛ يقال منه: نبق النخل إذا أزهى، وإزهاؤه: خروج ثمره ويسره إذا لونه قبل أن يوطب.
وقالوا: المنبق القاسد الثمر، الصغار كالنبق.

الحوايا: جمع حوية، وهي مركب من مراكب النساء. وقوله: «من حوك العراق»، يعني ما
يحاك بالعراق. والمنمق: المزين.

«غزلة» أي جماعة غزال. والجآذر: جمع جؤذر، ويقال: جؤذر، قال: وهي أولاد اليقتر.
وتضمخن: تلتطن وتطيبن، ويروي: «في مسك».

طرفي: عيني. وقوله: «غوارب رمل» يعني أوائله. والألاء: شجر، واحده ألاءة.
والشبرق: شجر أيضاً، وأكثر ما يكون في الرمل.

«عامدين لنية» أي قاصدين الوجه الذي يريدونه. ويروي: «سائرين لنية». وحلوا: أي
نزلوا. ومطرق: واد. قال: وثنية: عقبة منه فيها فرجة. والعقيق: مكان.

صم صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطلق السائل
يا سلم هل عندكم نائل للمرء ذي الأكرومة الفاضل
الحافظ السر الأمين الذي لا ترهبين ، القائل الفاعل
لم أر شيئاً لسليمي التي علقته غير الظبية الحائل^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

لمن الدار تعفت مذحقب فجنوب الفرد أقوت فالخرب
دار حي بدلت من بعدهم ساكن الوحش ، وللدهر عقب
قد أرى ساكنها من معشر حي صدق ذي بهاء ولجب
إذ هم أهل قباب وقرى ولهم صحراء محلال مسرب

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٥٥.

التنوي: التراب الذي حول الخيمة من الحفيرة المستديرة. والرمل: موضع معروف. والجبستان: أرض فيها لبن. وعائل: جبل باليمامة. وتروي: «دارساً رسمها»؛ وهو آثار الدار من الطر.

«صم صداها»؛ هذا مثل ضربه للدار؛ يقال أصم الله صداه يريد سمعه؛ وقوله: «واستعجمت» أي لم تتكلم.

يا سلم، مرخم. والنائل: العطاء. والأكرومة: الأفعولة؛ من الكرم. ويروي «إلا ظبية الحابل»، يعني أنها في حياقة، والحابل هو الصائد.

عفت الدار بهم فانتجعوا أكل الدهر عليهم وشرب
قالت الخنساء لما جئتها: شاب بعدي رأس هذا واشتهب^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

أشاقك من آل ليلي الطلل فقلبك من ذكرها مختيل
فلا هي تعطف من ودها ولا أنت تعقل فيمن عقل
وصادتك غراء وهنائة ثقال فما خالطت من عجل
رقود الضحا ساجياً طرفها يميلها حين تمشي الكسل
عظيمة حلم إذا استنطقت تطيل السكوت إذا لم تسل
ويلها من غير وعي بها يرى لبها ظاهراً من عقل
ألا حي نعماً على نأبها ألا حي نعماً وعنهما فسل^(٢)

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٩٣.

«تعفت» أي درست. والحقب: الدهور، والواحدة حقب، يقال أربعون عاماً، ويقال ثمانون عاماً، وأقوت، أي خلت. وجنوب الفرد والحرب: موضعان.

عقب الدهر: صروقه؛ مرة خبر، ومرة شر، اللجب: الضجة والاصياح.

القياب: الخيام. والقرى: المدن. وقوله: «محلال» يريد: لا يزال يحله الناس، أي ينزلونه. والحرب: التي لا يزال بها ثرى ومطر.

عفت، أي درست. وقوله: «فانتجعوا»، أي طلبوا الكلاً والخصب. «أكل الدهر عليهم وشربهم» ضربه مثلاً لهم.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٢٩٦.

الطلل: ما ارتفع لك من أعلام النار. ومختيل: «مفتعل»، من الخبال وهو الفساد. *

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

أهاجك الريح القواء المقفر
غسيره مر دروج صرصصر
يروح في آياته ويبكر
بل هاج عينيك السوام المدبر
غذاة ولوا ظعننا فبكروا
والبين للناس قديماً عنصر
إذا أقول إن قلبي مقصر
ثناء أن يوليئك المقفر
وانتهلت العين بدمع تهمر
بل أم عمرو لك شجو مضمّر

= الغراء: البيضاء، والوهانة: ذات الوقار، والفقالة: التي أثقلها ردها. يقول: ليست وثابة. يريد برقود الضعفاء، أي أن لها من يكفيها؛ ولا تكلف الخدمة، فهي تنام. والساجي: الساكن؛ أي لا تنظر شزراً، اللب: الخالص من كل شيء، قوله: «على نأبها» يريد على بعدها.

هي الجوى والسقم المقدر

يخفي بخافي حبا ويظهر^(١)

وقال وهو بأنقرة يذكر علته، وبدأ بذكر الديار:

لمن طلل دائر آيه تقادم في سالف الأحرس

فإما تريني بي عرة كأنني نكيب من النقرس

وصبرني القرح في جبة تخال لبيساً ولم تلبس

ترى أثر القرح في جلده كنعش الخواتم في الجرجس^(٢)

(١) ديوان امرئ القيس ص ٣١٢ - ٣١٣.

الريح: المنزل؛ وأصله من الريح حيث كانوا يرتبعون فيه، فكثرت لفظهم به حتى سماوا المنزل الريح. القواء: الخالي. والمقفر: القحط، دروج: ربح. وصرصر: باردة، آياته: علاماته؛ وبذلك سميت آيات القرآن، السوام: الإبل الراعية، وليس ها هنا رعي، ولكنه سماه به إذ كان قد عهد به برعى، ولوا، أي وجلوا. وقوله: «ظعنا» أي ظاعتين، أي راحلين، البين: الانتطاع، وعنصر، أي هو أصل قديم في الناس، المقصر: التارك للشئ؛ النازع عنه، ثناه، أي عطفه، وقوله: «بوليكه» أي بيليك، أو يضعه عندك. والمقفر: الذي يقفر الأثر، انهلت، أي سالت؛ وتهسر: تميل ولا تنقطع، الشجر: الحزن، الجوى: الحزن يأخذ الإنسان في جوفه من الحب، الخافي: الظاهر، ويكون المستتر.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٣٣٩.

الأحرس: جمع حرس، (يسكون الراء)؛ وهو الدهر، العرة: القرحة في الجسم. والنقرس: مرض يصيب المفاصل، اللبيس هنا: الشوب الخلق الملبوس، الجرجس: الصحيفة؛ كذا فسره صاحب اللسان، وأورد البيت.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الوقوف بالديار:

ما هاج هذا الشوق غير منازل دوارس بين يذبتل فذقان
أمن ذكر نيهانية حل أهلها جنوب الملا عيناك تبتدران
كأنهما مسزادتا متعجبل فريان لما تدهنا بدهان
وغرب على مقطورة بكرت به غدت في سواد الليل قبل السواني
يصرفها شثن يرى بليانه ولحيته نضج من الشفيان
تمتع من الدنيا فإنك فان من النشوات والنساء الحسان
من البيض كالآرام والأدم كالدمى حواصنها والمبرقات الرواني^(١)

(١) يوان امرؤ القيس، ص ٣٤٥.

ذقان ويذبتل: جبلان لبني عمرو بن كلاب (معجم ما استمعتم).

فريان: محزوزان. لما تدهنا: لما تدلكا؛ وإنما قال «لما تدهنا» لأنه يكون أوسع للحزوز وأكثر لخروج الماء. (شرح ابن النحاس).

غرب: دلوحضخم. مقطورة: ناقة مهنوة بالقطران. والسواني: جمع سانية؛ وهي الناقة التي يستقى عليها. (شرح ابن النحاس).

يصرفها: يقلبها. شثن: غليظ الكفين. ليانه: صدره. والشفيان: ما تطاير عليه من الماء إذا استقى من الرشاء. (شرح ابن النحاس).

أما قول الهمذاني على لسان البطل عن امرئ القيس: واغتدى
والطير في وكناتها، فهذه هي الأمثلة من شعر امرئ القيس:

قال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد فيكل

مكر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل (١)

كصيت ينزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

(١) ديوان امرئ القيس ص ١٩ - ٢٣.

الوكنات: المواضع التي تأوى إليها الطير، المنجرد: الفرس القصير الشعر؛ وبذلك توصف العناق؛ ويقال: المنجرد الماضي المنسلخ من الخيل عند السباق. والأوابد الوحش؛ وجعله قيداً لها لأنه يسبقها قبضتها من القوت. والهيكل: الفرس الضخم شبهه ببيت التنصاري والمجوس، يقال له الهيكل، «والطير في وكناتها»، أي أنه يبكر قبل خروج الطير؛ على أنها بما يبكر في الخروج.

إذا أردت الكر على العدو وأنا عليه وجدت ذلك عنده، وكذلك إذا أردت الفرار منهم ومقبل مدبر، فالمقبل هو المكر، والمدبر هو المقر، يعني أن هذه الأشياء عنده. وشبه صلابته وصلابة حافره بالجلمود، وجعل الجلمود منحطاً من فوق الجبل؛ لأن ذلك أصله له، وأسرع لوقوعه؛ وكأنه شبه سرعة الفرس وصلابته به.

«كصيت ينزل اللبد» أي أنه أمس المثلن سهله. والحال: موضع اللبد من ظهره. والصفواء: الصخرة الملساء. والمتنزل: النازل عليها؛ شبه اللبد إذا زله عن ظهر الفرس بالذي ينزل عن الصخرة الملساء، وإنما أراد تشبيه الظهر بالصخرة الملساء؛ والتقدير: كما أزلت الصفواء المتنزل.

مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن غباراً بالكديد المركل
على العقب جياش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حمية غلى مرجل
يطير الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل
دوير كخذروف الوليد أمره تقلب كفيه بخيط موصل
له أبطا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل^(١)

(١) «مسح» أي يسح العدو سحاً مثل سح المطر؛ وهو انصبابه. والسابحات: التي تيسط يديها إذا عدت فكأنها تسبح. والونى: الفتور. والكديد: ما غلظ من الأرض. والمركل: الذي ركته الخيل بحوافرها؛ فأثارت الغبار لصلابتها وشدة وقعها؛ والمعنى أن هذا المسح بمنزلة السابحات.

«على العقب جياش» أي يجيش، في جزيه كما تجيش القدر على النار. والعقب: جري بعد جري؛ وقيل: هو تحريك الفرس بالعقب؛ أي لا يحوجك إلى السوط لتشاطه وسرعته. واهتزاه: صوت جوفه عند الجري. والحصى: الغلي. والمرجل: القدر.

يسقط الغلام الخف عن ظهره من سرعة عدوه وشدة دفعته. والخف: الخفيف. والصهوات: جمع صهوة؛ وهي موضع اللبد من ظهره، وجمعها بما حولها، «ويلوي بأثواب العنيف» يعني يهب بها ويسقطها من شدة عدوه. والعنيف: الأخرق. والمثقل الثقيل الذي لا يحسن الركوب؛ فهو يخاف أن يصرعه، فيثبت على ظهره ولا تثبت أثوابه عليه.

«دوير» يعني هو دوير في عدوه، أي سريع خفيف. والخذروف: الحرارة التي يلعب بها الصبيان، تسمع لها صوتاً، وهي سريعة المر، وجعل خيط الخذروف موصلاً؛ لأنه قد لعب به كثيراً حتى خف وأخلق وتقطع خيطه فوصل، فذلك أسرع لدورانه.

شبه خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي؛ وشبه ساقه بساقي النعامة؛ لأنها قصيرة الساقين صلبتهما طويلة الفخذين، ويستحب ذلك من الفرس. وشبه إرخاءه - هو سير ليس بالشديد - بإرخاء الثنب، وليس دابة بأحسن إرخاء منه؛ وشبه تقريبه في الجري بتقريب الثعلب، وهو حسن التقريب. والتتفل: ولد الثعلب؛ وإنما أراد الثعلب بعينه.

كان على الكتفين منه إذا انتحى مذاك عروس أو صراية حنظل
ويات عليه سرجه ولجامه ويات بعيني قائما غير مرسل
فمن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في الملاء المذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه بهجد معم في العشيرة مخول
فألحقنا بالهاديات ودونه جواهرها في صرة لم تزيل
فعداى عدا بين ثور ونعجة دراكا ولم ينتضح بماء فيغسل^(١)

(١) «مذاك عروس» أي هو يبرق كما يبرق الحجر الذي يسحق عليه الطيب؛ وخص العروس لأنها قريبة العهد بسحق الطيب؛ فلما كها براق. والصراية: الحنظلة الصفراء الهراقة؛ وإذا لم تصفر فهي مغبرة. شبه حارك الفرس إذا اعترض ونظرت إليه صخرة الطيب، أو صراية الحنظل في ملاستها وبريقها.
يعني أنه كان مرتقباً للصباح ليصيد فلم يحط عنه سرجه ولجامه. «ويات بعيني قائما» أي حيث أراه لكرامته على. وقوله «غير مرسل» أي لم أهمله لأني مستعد لركوبه.
«فمن لنا سرب» أي عرض لنا قطيع بقر؛ وشبه إنائه بجوار أبكار يطقن بدوار، وهو صتم لأهل الجاهلية يدورون حوله. والملاء: الملاحف. والمذيل: الطويل المهدب، شبه البقر في مشيتهن وطول أذنايهن وبياضهن بالعذارى في الملاء المذيل.
شبه بقر الوحش في بريقهن وما فيهن من البياض والسواد بالجزع؛ وهو الخرز. والمفصل: الذي فصل بينه باللؤلؤ؛ وهو أصلح للخرز. وقوله: «بهجد معم في العشيرة مخول» أي بعنق صبي كريم العم والخال؛ وخص الخرز بأن يكون بهجد هذا المعنى لأنه لا يكون إلا نقيساً متغياً.
«فألحقنا بالهاديات» أي ألحقنا الفرس بالمتقدّمات من البقر. والجواهر: ما تخلف منها. والصرة: الجماعة. «لم تزيل»: لم تفرق، أي جمع الفرس بين أواخرها وأوائلها فلم يفت منها شئ. العلاء: الموالة في الجري. «لم ينتضح بماء» أي لم يعرق؛ وأراد بالماء ما هنا العرق؛ والمعنى أنه صاد قبل أن يجهد ويعرق فيكون كأنه قد غسل.

وظل طهارة اللحم من بين منضج صفيق شواء أو قدير معجل
ورحنا وراح الطرف ينفض رأسه متى ما ترق العين فيه تسهل
كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل
وأنت إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل^(١)

الطهارة: الطباخون. والصفيف: المرقق. والقدير المعجل: المطبوخ في القدر، وجعله معجلاً، لأنهم كانوا يستحسبون تعجيل ما كان من الصيد ويستطرفونه ويصفونه في أشعارهم. وحمل قوله: «أو قدير معجل» على معنى: من بين صفيق شواء أو طايخ قدير.
الطرف: الفرس السريع، وقيل: هو الكرم الطرفين. «متى ما ترق العين» يقول: هو حسن الأعلى والأسفل، فالناظر إليه يصعد فيه النظر ويصوبه عجباً به. ويحتمل أن يريد: أنه لعتقه وقام خلقه إذا ارتفعت عين الناظر إليه بالنظر راعه منظره، فخشي إصابته بعينه، فصوب رأسه وكف عنه نظره.

«كأن دماء الهاديات بنحره»، شبه دم الوحش بصدر هذا الفرس بعصارة الحناء، على الشيب، وإنما أراد: بشيب قد غسل عنه الحناء، مرجل. وعصارتها: ما عصر منه؛ وإنما أراد أن حمرة الدم بصدوه كحمرة الخضاب في الشيب، ولا يريد أنه أشهب؛ لأنه قد وصفه بالكمتة، ومن زعم أن العرق قد يبس بنحره فابيض فقد خلط أيضاً؛ لأنه نفى عنه العرق بقوله: «لم يتضح بما فيغسل».

الفرج: ما بين رجليه. والخصائي: الذئب الطويل. وقوله: «فويق الأرض» أي ليس بالطويل فيطأ عليه، ولا بالقصير فيبعد عن الأرض. والأعزل: الذي يكون ذنبه في ناحية، وهو مكروه.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء ووصف الفرس:

ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحا

على هيكل نهد الجزارة جوال

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا

له حجبات مشرفات على الفال

وصم صلاب ما يقين من الوجى

كأن مكان الردف منه على رال^(١)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٣٦ - ٣٨.

«ولم أشهد الخيل»، أراد أصحاب الخيل. «بالضحا» خص الضحا لأن الفارة إنما تكون في وجه الصباح والقوم غارون. والجزارة: القوائم. والجوال: التشييط السريع في إقباله وإدباره؛ وذكر هذا كله متأسفاً على ما فاتته منه للذهاب شبابه وتغير حاله.

«سليم الشظى»، هو عظم صغير في يد الفرس فإذا تحرك قيل: شظى الفرس. والشوى: القوائم. والنسا عرق، ووصفه بالشنج لأنه أصعب له. والحجبات: رموس الأوراك. وقوله: «على الفال»: يريد على الفائل؛ وهو عرق عن يمين عجب اللنب ويساره. والمعنى أنه مشرف الكفل، فحجباته مشرفة لاتصالها بالكفل.

أراد بالصم حوافره. «ما يقين من الوجى»، أي لا يهين المشى من حفاً، لصلابتهم. والرال: فرخ النعام؛ وهو مشرف المؤخر؛ فشبه قطة الفرس لإشراقها بمؤخر الرال.

وقد أشتدى والطير في وكناتها

لغيث من الوسمى رائده خال

تحاماه أطراف الرماح تحاميا

وجاد عليه كل أسحم هطال

بعجلزة قد أترز الجرى لحما

كमित كأنها هراوة منوال

ذعرت بها سريا نقيا جلوده

وأكرعه وشى البرود من الخال^(١)

(١) «لغيث من الوسمى» الغيث هنا: الثقل والثبت، أو ما أتتته المطر. والوسمي: أول المطر. ورائده: الرجل الذي يرتاده، أي يطلبه لأهله. وخال: من الخلوة؛ أي ليس فيه غيره؛ أي هو ما بين حيين متعادين، فهذا يحميه، وهذا يحميه؛ فهو خال لا يقربه أحد؛ وذلك أخصب لمن حل به.

«تحاماه أطراف الرماح» أي تمنع منه الرماح؛ ولكني أتيتته لعزى ولما أنا فيه من الملك؛ وخص أطراف الرماح لأنها هي العاملة. «وجاد عليه» من المطر الجود؛ وهو الغزير. والمعنى أن هذا الموضع تتابع عليه الأمطار ومنعت منه الرماح؛ فهو كامل الخصب وأقر الثبت.

«بعجلزة» أي بفرس صلبة اللحم، «أترز» أبيض، يعني أنها ضامرة شديدة؛ شبهها الهراوة لأنها لا تتخذ إلا من أصلب العود وأشد؛ وخص الكमित لأنه أصلب حافراً، وأشد نلقاً. والهراوة: العصا؛ وهي هنا من آلات الخائف، وأضافها إلى المنوال.

«ذعرت بها سرياً» أي تصيدت بها الفرس فذعرت بها قطيع بقر نقيا جلوده، أي بيض الجلود. وأكرعه موشية، أي فيها سواد وبياض. والخال ضرب من برود اليمن.

كأن الصوار إذ تجهد عدوه
على جمزى خيل تجول بأجلال
فجال الصوار واتقين بقر هب
طويل القرا والروق أخنس ذيال
فعداى عداء بين ثور ونعجة
وكان عداء الوحش منى على بال
كأني بفتخاء الجناحين لقوة
صيود من العقبان طأطأت شمالاً^(١)

(١) الصوار: قطع بقر الوحش. يقول: لما ذعرتها يفرسي أجهدت العدو وقوته، فكأنها من شدة العدو خيل تجول عليها أجلال بيض. وجمزى هنا: اسم موضع.
القراهب: فحل من البقر مسن. والأخنس: القصير الأنف، وإنما اتقين به لأنه أشد من مما يلي الصائد ليذب عنهن. والقرا: الظهر. والروق: القرن.
«فعداى عداء»، أي والى وصرع واحداً بعد واحد. وقوله: «على بال»، أي على حال اهتمام منى.
الفتخاء: اللينة الجناحين. والقوة: السرعة من العقبان. ومعنى «طأطأت» دانيت وخفضت، ويقال: أسرع. والشمال: الحقيفة السريعة، يقول: كأني بطأطأتي هذه الفرس طأطأت عقاباً لينة الجناحين متفتختهما عند الطيران في سهولة وتأت، وجعل العقاب صيوداً لأنها ذات فراخ، فهي تكثر الصيد من أجلها. وقال بعضهم: الشمال الشمال، أي كأني طأطأت شمالي وأملتها من هذه الفرس بعقاب فتخاء الجناحين.

تخطف خزان الشربة بالضحما

وقد حجرت منها ثعالب أورال

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا

لدى وكرها العناب والحشف البال^(١)

وقال أيضاً امرؤ القيس في الأعتداء ووصف الفرس:

وقد أعتدى والطير في وكناتها وماء الندى يجري على كل مذنب^(٢)

(١) «تخطف خزان الشربة» أي تأخذها بسرعة، وواحد الخزان خزز؛ وهو ذكر الأرناب. وقوله: «وقد حجرت منها ثعالب أورال»، أي اختفت ثعالب هذا الموضع ولم تسرح خوفاً من هذه العقاب. والشربة وأورال: موضعان.

كأن الرطب من قلوب الطير وما جاءت به العقاب حديثاً العناب، وهو الزقيرف، وكان ما يمس منها وقدم الحشف؛ وهو البالي من التمر ورديشه؛ وتقدير البيت: كأن قلوب الطير رطبة العناب؛ وكأنها يابسة الحشف البالي؛ وإنما خص قلوب الطير لأنها أطيب لحوماً، فإذا صادت العقاب الطير جاءت بقلوبها إلى أفراخها. وأشار بقوله: «رطبا ويابسا» إلى كثرة ما تأتي به من القلوب حتى تفضل عن الفراخ. وقد قيل: إن الجوارح لا تأكل قلوب الطير ولا سائر حشوة بطونها.

(٢) دبران امرؤ القيس ص ٤٦ - ٥٥.

المذنب: مسبل الماء إلى الروضة، يقول: غلست قبل خروج الطير من أوكارها في ليل كثير المطر تسيل منه المذانب. وأراد بالندى هنا المطر، يصف نفسه بالجلد وحمل النفس على المشقة فيما يكسبه المجد والشرف. فلا يشق عليه اليكور في طلب ذلك؛ على إثر المطر وتعذر السفر في إثره، ويحتمل أن يريد أنه يبكر للصيد غيب المطر. وذلك مما يستحب ويستعمل.

بمنجرد قيد الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأومغرب
على الأين جياش كأن سراته على الضمر والتعداء سرحة مرقب
بيالي الخنوف المستقل زماعه ترى شخصه كأنه عود مشجب
له أبطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرقب
ويخطر على صم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب^(١)

(١) الهوادي: المتقدمة السابقة. والثأر: الطلق. والمغرب: البعيد، يقول: أضمر هذا
الفرس كثرة الوحش واتباعه لها كل طلق بعيد. وقد تقدم القول في قيد الأوابد.
«على الأين جياش» أي هو سريع بعد قتره. وسراته: أعلاه. والتعداء: كثرة العدو.
والسرحة: ما عظم من الشجر وطال. والمراقب: كل ما أشرف من الأرض. وسمى بذلك لأن
الرائي يرقب فيه العدو. وبه أعلى الفرس على ضميره وكثرة عدوه بأعظم الشجر في أعلى
الأماكن. وإنما أراد أشراف الفرس وارتفاعه وعظم خلقه.
الخنوف: الذي يخنف بيديه؛ أي يرمى بهما في السير؛ وهو من وصف الخمار الوحشي.
والزمامع لنوات الطلق؛ واستعارها هنا لشعر الرسخ؛ وجعلها مستقلة؛ لأن ذلك أسرع له
وأكثش؛ وإذا كانت تمس الأرض كان ذلك عيباً، فيقول: هذا الفرس يباري بسرعته وتشاطبه
الخنوف. وقوله: «ترى شخصه» وصف الفرس بالصلابة والاملاس والضمير؛ فشبهه بالمشجب
لذلك.

«وصهوة غير قائم» شبه ظهر الفرس بظهر العبر في اعتداله وأستوائه؛ وجعله قائماً
لأنه إذا قام تعدد وأستوى، وإذا عدأ اضطرب، وجعله فوق مرقب، لأن ذلك ما يبين استوائه،
ويزيد في قام خلقه وحسن منظره.
الصم: الحوافر التي ليست بجوف؛ وذلك أصلب لها. والغيل: الماء الجاري على الأرض.
والوارسات: المصفرات؛ يقال: أورس النيت فهو وارس؛ وشبه حوافر الفرس في صلابتها
وملاستها بحجارة ماء قد علاها الطحلب فاصفرت وأملاست وصلبت.

به كفل كالدعص لبدنه الندى إلى حارك مثل الغبيط. المذآب
وعين كمرآة الصنّاع تديرها لمحجرها من النصف المنقب
له أذنان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسط ررب
ومستفلك الذفري كأن عنانه ومثناته في رأس جذع مشذب
وأسحم ريان العسيب كأنه عشا كيل قنو من سميحة مرطب^(١)

(١) « كالدعص » هو الكتيب الصغير من الرمل. وقوله: « لبدنه الندى » أي بإشده الندى فتليد واشتد ولم يتساقط؛ فشبّه الكفل به على هذه الحالة. والغبيط: قصب اليهودج وهو مشرف. والمذآب: الموسع؛ شبه الحارك به لارتفاعه وسعته. و «إلى» هنا بمعنى «مع». الصنّاع: الحاذقة بالعمل، الصانعة بيديها، التي لا تتكل على غيرها؛ فمرآتها أبداً مقلوبة نظيفة؛ فإذا تنقبت بالنصف - أي تقنعت به - أدارت مرآتها لتتنظر إلى محجرها. فتعلم: هل استوى النقب عليه أو لا؟ «تعرف العتق فيهما» يعني أن أذنيه دقيقتان مؤللتان، فإذا نظرت إليه تبينت عتقه وكرمه فيهما؛ وشبه الأذنين بسامعتي بقرة ذعرت فنصبت أذنيها وحددتها. والررب: القطيع من البقر؛ وإنما قال: «وسط ررب» لبيان المذعورة ما هي؛ ولو كانت منفردة لكان أذعر لها وأشد لجزعها.

المستفلك: المستدير كالفلكة. والذفري: عظم تاتي خلف الأذن، وإذا استدار كان أعتق له. والمثناة والثناية: الحبل المشدود في رأسه؛ وسمى بذلك لأن الفرس يشن، أي يعطف. والمشذب: الذي نزع شوكة وسعفه؛ يقول: كأن عنان هذا الفرس في رأس جذع لطول عنقه وإشراقه؛ وخص المشذب، إشارة إلى أن الفرس قصير الشعر منجرد؛ وبذلك توصف العتاق: مع أن الجذع إذا شذب تبين طولُه؛ ولذلك قيل: مشذب، للرجل الطويل. «أسحم» يعني ذيلًا أسود. والريان: المثلث الناعم. والعسيب: عظم الذنب، ويحمد في الفرس بيس العسيب ومن الناقة امتلازه ونعمته وقد غلظ أمرؤ القيس في هنا. والقنو: عذق النخلة. وسميحة: اسم بئر؛ يريد أن ذيل هذا الفرس كامل غزير كشماريخ نخيل مرطب، من نخيل هذا الموضع المجاور لهذه البئر.

إذا ما جرى شأوين وأبتل عطفه تقول هزى الريح مرت بأثاب
يدير قطة كالمحالة أشرفت إلى سند مثل الغبيط المذاب
ويخضد في الأرى حتى كأنما به عرة من طائف غير معقب
فيوماً على سرب نقي جلوده ويوماً على بيدانة أم تولب
فبينا نعاج يرتعين خميلة كمشى العذارى في الملاء المهذب
فكان تنادينا وعقد عذاره وقال صحابي قد شأونك فاطلب^(١)

(١) إذا جرى هذا الفرس طلقين وأبتل جانبه من العرق سمعت له خففاً كخفق الريح إذا
مرت بأثاب، وهو شجر يشبه الأثل، يشتد صوت الريح فيه - وهزى الريح: صوتها.
«يدير قطة كالمحالة» أي يصرف قطة فقرتها مستديرة كالبكرة. والقطة: مقعد الرديف.
وقوله: «إلى سند» أي أشرفت هذه القطة إلى كفل مشرف كالسند؛ وهو سفح الجبل؛ ولذلك
شبهه بالغبيط، وهو قتب الهودج. والمذاب: الموسع الأسفل.
«ويخضد» أي يشد المضغ، وأصل الخضد القطع. والعرة: الجنون. والطائف: من طائف
الشیطان، «غير معقب» أي هو ملازم له؛ ليس يأخذه مرة ويدعه أخرى؛ يصفه بالنشاط
وكثرة الحركة.
«فيوماً على سرب» أي يطارد هذا الفرس يوماً بقرة وحشية. ويوماً على بيدانة، أي
أثاباً في البيد لا تقرب الناس، فهو أذعر لها، وأسرع لجريها. والتولب: الولد الصغير، «نقى
جلوده» أي أبيض الجلود؛ وكلنا بقر الوحش، إلا سواداً في قوائمها وخطودها.
النعاج: إناث بقر الوحش. والخميلة: رملة فيها شجر قد صار لها كالحمل. والملاء: الملاحف
البيض؛ شبه النعاج في بياضهن وسكون مشيتهن بالعذارى المشيات في الملاحف البيض.
والمهدب: ذو الهدب، شبه شعر أذنانهم به.
«فكان تنادينا» أي كان تداً، بعضنا بالخروج إلى مطاردة الوحش وعقد عذار الفرس من
العجلة، ومعنى: «شأونك» سبقتك.

فلايا بلاي ما حملنا وليدنا على ظهر محبوبك السراة منحنب
 وولى كشويوب العشى بوابل ويخرجن من جعد ثراه منصب
 فللساق ألهورب وللوسط درة وللزجرمنه وقع أهوج منعب
 فأدرك لم يجهد ولم يشن شأوه يمر كخندروف الوليد المثقب
 ترى الفأرقى مستنقع القاع لاحقاً

على جدد الصحراء من شد ملهيب (١)

(١) «فلايا بلاي» أي جهداً بعد جهداً حمل غلامنا على ظهر هذا الفرس لنشاطه وامتناعه. والمحبوب: القوي المجدول. والسراة: الظهر. والمنحب: الذي في يديه وصلبه انحنا. ويستحب ذلك؛ وهو من خلقه الجياد. «وولى كشويوب العشى» شبه شدة دفعه في الجري، وخص شويوب العشى لأنه أغرز من غيره وأشد. والجعد: الشديد الندوة. والمنصب: المرتفع المنصب؛ وصفه بذلك لشدة وقع حوافره فيبشرن ما لا يكاد يشور. وقيل: الجعد المتراكب بعضه على بعض؛ وهو من صفة الغبار؛ والتقدير يخرجن من غبار جعد ثراه، والمعنى: ويخرجن من مكان مخصب قد تجعد ثراه لندوته، وريت أرضه وتتصبت لريها وثراها. والمعنى أن هذه التعاج كانت في خصب، فهو أسرع لها وأقوى على العدو. والفرس مع ذلك لاحق بهن.

يقول: إذا حركه يساقه ألهورب الجري؛ أي أتى بجري شديد كالتهاب النار؛ وإذا ضربه بالسوط در بالجري، وإذا زجره وقع منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل معه؛ أي كأن هذا الفرس مجنون أهوج لما يبلو من شدة حركته ونشاطه عند الزجر. والمنعيب: الذي يستعين بعنقه في الجري ويمده.

«فأدرك لم يجهد»، أي أدرك لم يجهد، أي أدرك الفرس الوحش دون مشقة وتعيب. لم يشن شأوه، أي أدركها في طلق واحد دون أن تشبه لسرعته؛ وشبهه لخطته وسرعته بالخندروف المثقب إذا أداره الوليد.

خفاهن من أنفاقهن كأنما خفاهن ودق من عشي مجلب
فعادى عداً بين ثور ونعجة وبين شوب كالقضية قرهب
وظل لثيران الصريم غماغم يداعسها بالسهمري المقلب
فكاب على حر الجبين ومتق بمدربة كأنها ذلق مشعب
نمش بأعراف الجياد أكفتنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب^(١)

(١) مر الفرس له حفيف لشدة جريه، فخرجت الفثرة من جحرتهن ظنته مطراً؛ فخشين
أن يسيل الأرض فيفرقهن، فيبرزن من القاع - وهو بطن الأرض - إلى الجدد؛ وما استوى
من الأرض وصلب، والمذهب: الشديد العدو الملتهب في الجري.
«خفاهن»، أي أظهرهن، أي استخرجهن. والأنفاق: أسراب تحت الأرض، والودق: المطر؛
وخص مطر العشي لأنه أغزر. والمجلب: الذي تسمع له جلبة لشدة وقعته. ويروي: «مقلب»
بالحاء؛ وهو الذي يتقلب بالمطر. وصف العشي به على معنى النسب. أي ودق من عشي فيه
جلبة للمطر أو تحلب.

تابع هذا الفرس ووالى صيد الوحش؛ من بين ثور ونعجة، وثور مسن وهو الشوب؛ وإنما
خصه بالذكر بعد أن قال: «بين ثور ونعجة» لفضله على الثيران والنعاج لسنة وقوته؛ وأنه
تحلبها الذاب عنها؛ وشبهه لبياضه بالقضية، وهي الصحية البيضاء. والقرب: المسن أيضاً.
الصريم: المنقطع من معظم الرمل. والغماغم: الأصوات. ومعنى: يداعسها، يطاعنها.
والمقلب: المشدود بالعليا؛ وهي عصابة في القفا؛ وكانوا يشدون بها الرماح وهي رطبة طرية؛
ثم تيبس عليها؛ فيؤمن تعطفها عند المطاعنة. والسهمري: الرمح الشديد؛ يقال: أسهر الأمر
إذا اشتد؛ يقول: جعل الغلام يطاعن الثيران فيسمع لها غماغم؛ أي أصوات مرودة.
الكابي: الساقط على وجهه. والمدربة: القرن. وذلق كل شيء: حده. والمشعب: مشرذ
يشعب به؛ فيقول: من الثيران ما قد صرع، ومنها ما يتقي بقرن حديد كحد الإشفى.
«نمش بأعراف الجياد أكفتنا» نصح؛ ومنه سى المنديل مشوشاً. والمضهب: الذي لم يدرك
نضجه. يصف أنهم شوا من صيدهم ولم يبلغوا به النضج لما كانوا فيه من العجفة. وقيل: إن
ذلك مستحب عندهم في لحم الصيد.

ورحنا كأننا من جؤاثنى عشية نعالى النعاج بين عدل ومحقب
وراح كتيس الريل ينفض رأسه أذاة به مسن صائك متحلب
كان دماء الهاديات بنحره عصاراة حناء بشيسب مخضب
وأنت إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأصهب^(١)

* * *

وقال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

فظلت وظل الجون عندي بلبده كأنى أعدى عن جناح مهيب^(١)

(١) «ورحنا كأننا من جؤاثنى» أي كأننا - لما معنا من الصيد الكثير - رحنا من جؤاثنى؛
وكأننا قد اشترينا قرأ، فمنه ما جعلناه بين عدلين ثم ركبنا عليه؛ ومنه ما قد احتقنا، أي
جعلناه في الحقيبة. وجؤاثنى: قرية بالبحرين يثار منها التمر.
الريل: نبت ينبت في آخر الصيف واستقبال الشتاء في أصول البببس؛ وإنما ينبت ببرد
الهواء لا بالمطر. والتيس: الذكر من الطياء؛ ويسمى بذلك كما تسمى الطيبة ماعزة. والصائك:
العرق الثقيل الريح، وأصله بالعبرانية؛ يقول: هذا الفرس راح عشياً كتيس الريل في قوته
وتشاطه ينفض رأسه من العرق وهو يتأذى بريح عرقه؛ وإنما خص تيس الريل، لأنه قد أكل
الربيع والبببس، ثم صار إلى رعي الريل؛ فهو مخضب أبداً، نشيط قوي.
هذا الفرس معتاد للصيد، فهو يزاحم الوحش ويلصق بها، فإذا طعنتم صار الدم إلى
نحره؛ ويقال: إنه أراد أن الفرس يقطع بدم الصيد ليعرف ذلك منه، وإنما خص الشيب لأن
الشيب لياضه أثبت أثراً وأشد حمرة من غيره.
«ليس بأصهب»، أي هو أسود لا تشويه حمرة؛ وذلك أتم لوصفه.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٧٤ - ٧٦.

فظلت وظل الجون عندي؛ يعنى أنه لم يحط عنه سرجه؛ لأنه متأهب لركوبه، كأنى أعدى
أي أنكى عليه كما يتكئ ذو الجناح الكسير على جناحه؛ وإنما قال هذا لفرط حدة الفرس»

فلما أجن الشمس عنى غيارها نزلت إليه قائما بالحضيض
بياري شبة الرمح خد مذلق كصفح السنان الصلبي النحيض
أخفضه بالنقر لما علوته ويرفع طرفاً غير جاف غضيض
وقد أغتدى والطير في وكراتها بمنجرد عبل البيدين قبيض
له قصريا غير وساقا نعامة كفحل الهجان ينتحي للمضيض^(١)

عن نشاطه؛ وكأنه يناديه ويسكنه، والجمون هنا: الفرس الأدهم، ويكون الأبيض، وهو من الأضداد، أعدى: أصرف وأمتع.

(١) كنت فوق المرقية أرتب لأصحابي نهاري كله؛ فلما غابت الشمس، وسرتها عنى غيوبها نزلت إلى فرسي، وهو قائم بالحضيض، فركبته ورجعت إلى أهلي، والحضيض: المستوى من الأرض، وأسفل الجبل.

بياري شبة الرمح: أي يعارض هذا الفرس في رفته وطوله وقلة لحمه شبة الرمح، أي حدته وبريقه، والمذلق: المرقق الطويل، وصفح السنان: أحد جانبيه، والسنان: سنان الرمح؛ وقيل: هو المسن هنا، والصلبي: الذي جلى وحقل بحجارة الصلب، وهو الصلب من الحجارة، والنحيض: الرقيق، وأصله الذي أذهب نحضه، والنحض: اللحم، واستماره للشبة. لما نزلت إليه فركبته أبدى شدة الحركة والنشاط؛ فجعلت أخفضه بالنقر، أي أسكته، والنقر: صوت يسكن به الفرس، ويرفع طرفاً غير جاف غضيض، أي لا يجفر نظره عن شخص ولا يقضه عنه.

بمنجرد عبل البيدين، أي أغتدى بفرس قصير الشعر، وذلك من نعمت العناق، والعبل: الضخم في صلاية، والقبيض: الشديد؛ وقيل: هو سريع.

القصريان: وأحدهما قصري، وهي آخر الضلوع مما يلي الخصر؛ شبه كشح الفرس بكشح العير في الطي والاستواء؛ وشبه ساقيه في قصرهما مع طول فخذه بساقي النعامة، كفحل الهجان، هي البيض الكرام من الإبل، ولا يكون فحلها إلا كريماً مثلها، ينتحي للمضيض، أي يعترض ويعتمد للمعض، نشاطاً وغيره؛ شبه الفرس به في نشاطه وقوته.

يجم على الساقين بعد كلاله جموم عيون الحسى بعد المخيض
ذعرت به سرباً نقياً جلوده كما ذعر السرحان جنب الربيض
ووالى ثلاثاً واثنتين وأربعاً وغادر أخسرى في قنائة رفيض
قآب إياباً غير نكد مواكل وأخلف ماء بعد ماء فضيض
وسن كسنيق سناء وسنماً ذعرت بمدلاج الهجير نهوض^(١)

(١) يجم على الساقين: أي إذا حرك بالساقين واستحث بهما كثر جريه. والجم: الكثير من كل شيء. بعد كلاله، أي يكثر جريه بعد إعيائه، فكيف به قبل ذلك، جموم عيون الحسى، إذا استخرج ماؤه، والحسى: موضع قريب الماء يدرك باليد، وكلما استخرج ماؤه جم، والمخيض: أي يخض ويستخرج ماؤه، فضربه مثلاً للفرس.

ذعرت بهذا الفرس قطيع بقر بيض الجلود، كما ذعر الذئب ناحية الربيض، وهي ضرب من الغنم، وإنما سماها ربيضاً لأنها تبيض.

«ووالى ثلاثاً»، أي تابع هذا الفرس وصاد من السرب ثلاثاً واثنتين وأربعاً، وغادر أخسرى والرمح متكسر فيها، والرفيض: المكسورة، ويجعل الفعل للفرس في اللفظ وهو يريد راكمه، وجاز ذلك لأنه السبب والوصلة إلى عقر الوحش والإحاطة به.

المواكل: الذي ليس بجاد في أمره ويتكل على غيره، وأخلف ماء أي عرقاً بعد عرق، أي جهد مرة بعد مرة، والفضيض: المصوب.

وسن كسنيق أراد: ورب سن ذعرت، والسن: الثور الوحشي، والسنيق: الصخرة الصلبة؛ وقيل: هو جبل، شبه الثور به لصلابته وشدته وأرتفاعه، والسنا: الارتفاع، وكذلك السنم، «مدلاج الهجير»، أي بفرس يسير في الهجير وينهض فيه لنشاطه وقوته، على أنه وقت تسكن فيه الدواب وتستقر؛ وجعله مدلاجاً في الهجرة على الاستعارة؛ والدليج: سير الليل كله، والإدلاج: السير من آخره.

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء - ووصف الفرس وكلب الصيد:
وقد أغتدى ومعى القانصان وكسل بمرأة مقتفر
فيدركنا فغم داجن سميع بصير طلب نكر
ألس الضروس جنى الضلوع تبوع طلبوش نشيط أشر
وأركب في السروع خيفانة كسا وجهها سعف منتشر
لها حافر مثل قعب الوليس سد ركسب قيسه وظيف عجر
لها ثن كخوافي العقا ب سود يفتن إذا تزشر
وساقان كعباهما أصمعا ن لحم حماتيهما منبتر^(١)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ١٦٠ - ١٦٧.

القانصان: الصائدان، والمرأة: مكان يربأ فيه، وهو شئ شبيه بالجبل أو نحو ذلك، وإنما أشرف لينظر إلى الوحش، ومقتفر: أي يتبع آثار الوحش، والغم: المولع بالشئ الحريص عليه، يريد ها هنا كلباً، وداجن: ألف قد عاود الصيد غير مرة، ونكر، أي منكر، سميع: إذا سمع حساً لا يكذب سمعه، ويصير، إذا أبصر لم يرتب بهصره، وطلوب: إذا هو طلب أدرك، ونكر، أي منكسر عالم بصيده.

ألس الضروس: أي ملتصقة بعضها إلى بعض، يريد ضروس الكلب، جنى الضلوع: أي ضلوعه محنية معطوفة، وحسى: متشقق بالعرض، والضروس: الأضراس، والحسى: المأطود المعوج الضلوع، المحنيتها.

السروع: الفزع، والخيفانة ها هنا: الفرس السريعة الخفيفة، والخيفانة الجرادة، شبهها بها =

لها عجز كصفة المسيب بل أبرز عنها جحاف مضر
لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبسر
لها متنتان خطاتا كما أكب على ساعديه النمر
لها عذر كقرون النسا «ركبن في يوم ربح وصر»^(١)

عني خلتها، «كما وجهها سعف منتشر»؛ أراد الناصية، شبهها بسعف النخلة، والمتشر: المتفرق.

القعب: القدح الصغير، الوليد: الصبي، فيقول: حافرها في صخر قدح الصبي، ويستحبه ذلك في الفرس؛ لأنه أثبت له، ولأن الكبير ثقيل مضطرب؛ وإنما يكون ذلك في البراذين، والوظيف في اليد، والوظيف في الرجل؛ ما بين الرسغ إلى الركبة، أو ما بين الرسغ إلى المرقوب، والعجز: الذي كان فيه عقداً، وذلك لصلابته.

الشعرات التي خلف الرسغ يقال لها الشنق، والراحدة ثنق، والخواقي من ريش الجناح: ما بعد القوادم؛ يلين أصل الجناح، وإنما شبهها بها لرققتها، يفثن بالهمز، يعني يرجعن بعد ازئرارها إلى مواضعهن، وازئرارها، أي اقتشرارها.

جمع الكعب كعروب وكعاب، وهي المفاصل، أصعان: يعني صغيرين، وإنما أورد لصوقهما، ويريد أنها ليست برحلة، وكذلك الخيل العناق، والحمانان: اللحمانان الفليطتان اللتان فوق الكعبين، منبر: يقول هو لصلابته كأنه بائن متفرق.

(١) الصفاة: الصفرة، المسيل: أراد أن السيل جرى عليها وأذهب عنها ما كان عليها من القبار، والجحاف: السيل الذي يجرف ويجحف كل شيء، أي بجمعه، «مضر» أي يضر بكل شيء يمر به، أي يقلعه.

إنما قال مثل ذيل العروس؛ لأنه طويل سابغ، خطاتان، يعني مكنترتين قليلاً، وذنب إلى الصلابة في وصفه لا إلى كثرة اللحم، كما أكب على ساعديه النمر، أراد كساعديه النمر البارك في غلظهما.

العذر: الشعرات قدام القربوس، وهو آخر العرف. وقرون النسا: ذوائبها، «ركبن في يوم ربح وصر»، ضربه مثلاً، وإنما أراد انتشار الشعر وكثرته، فلذلك قال: «في يوم ربح»، والصر: شدة البرد.

وسالفة كسحوق اللبان ن أضرم فيه الغوى السعير
لها جبهة كسراة المجن حذقه الصانع المقتدر
لها منخر كوجار السباع فمنه تريح إذا تنبهر
وعين لها حدرة بسدرة شقت مآقيها من آخر
إذا أقبلت قلت دباسة من الخضر مغموسة في الغدر
وإن أدبرت قلت أثفية ململمة ليس فيها أثر
وإن أعرضت قلت سر عوفة لها ذنب خلفها مسبطر^(١)

(١) السالفة ها هنا، يريد بها العتق، كسحوق اللبان، يعني كالشجرة في الطول. واللبان: شجرة اللبان، وهو الكندر، والسحوق: الطويلة أضرم، يعني أشعل وألهب وأوقد، والغوى: الغاوي، والسعير: جمع سعير، وهو شدة الوقود، وإنما أراد أنها شقراء فلذلك ذكر الوقود. كسراة المجن، يعني كظهر الترس، والصانع: العامل، والمقتدر: الحاذق، وإنما أراد اتساع الجبهة.

الوجار: جحر الضب، وإنما أراد سعة المنخر، فسنه تريح، أي تننفس فتخرج الريح، وقال بعضهم تريح: أي تستريح، وإذا سهل مخرج النفس لم يضق في جوف الفرس، ولم يشق عليه. حدرة بدرة، يعني مكتنزة صلبة ضخمة، بدرة يعني تيدر بالنظر، والمآقي: جمع مآق ومؤق، شقت مآقيها، أي تفتحت فكأنها انشقت، من آخر، أي من مآخير العين. مغموسة في الغدر، أراد أنها ناعمة وطية، والدباسة: القرعة؛ وإنما شبهها بها للطفافة مقدمها ورقته، ولأنها ملساء لينة مستديرة المؤخرة. الأثفية: الصخرة المدورة المجتمعمة، شبه استدارة مؤخرها بالأثفية الملساء التي ليس فيها أثر، والململمة: المجتمعمة، وقالوا: المدورة الصلبة. وإن أعرضت، أي إن أمكنتك من النظر إليها، والسرعوفة: الجراة. والجمع السراعيف، ولم يرد ها هنا الخفة، وإنما أراد الاستواء في الخلق، والمسبطر: المتمد الطويل، والسرعوفة: القليلة اللحم، وبذلك توصف الخيل العتاق.

وللسوط فيها مجال كما تنزل ذو بسرد منهمسر
لها وثبات كوثب الظباء فواد خطباء وواد مطسر
وتعدو كعدو نجاة الظبا ، أخطأها الحاذق المقتدر^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في الاغتداء ووصف الفرس:

وقد أعتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
بعثنا ريناً قبل ذلك مخملاً كذئب الغضى يمشي الضراء ويتقي
فقال ألا هذا صوار وعانة وخيط نعام يرتعي متفرق^(١)

(١) مجال، أي جولان، وإنما يريد أن السوط إذا وقع بها حالت، وذلك من حدة نفسها،
ذو برد منهمسر، أي من الاتهام وهو الصب الواسع الكثير، وقالوا: أراد شدة جريها كشدة وقع
هذا السحاب ذي البرد في سرعة وقعه، الخطاء: جمع خطوة، وأراد وادياً تخطر، ووادياً تخطر
فيه العدو، فيقول: مرة تخطر فتكف عن العدو، ومرة تعدو عدواً يشبه المطر، كعدو نجاة
الظبا، يقال: فرس لجماعة وناقة نجاة، إذا كانت ناجية سريعة العدو.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ١٧٢ - ١٧٦.

قبل العطاس: يعني قبل أن يقوم الناس فيسمع صوت أو عطاس، والهيكل: الفرس الضخم
المرتفع، شبهه بهيكل النصارى، وهو أكبر بيت لهم، ويروى: «يسابح» أي كأنه يسبح في
عدوه، شديد مشك الجنب: يعني شديد معزز الجنب في الصلب، فعم المنطق، ممتلئ الجوف.
الرين والرينة: الذي يربأ للقوم، أي ينظر الصيد من مكان مرتفع، مخملاً: يعني يخمل
نفسه، أي يسترها ويخفيها، كذئب الغضى، والغضى شجر، وأخيت الذئاب ما كان منشؤه
وماواه الغضى، يمشي الضراء: هي مشية فيها اختيال وتبحثر، وإنما قال ذلك استتاراً من
الصيد، ويتقي أن يراه.

الصوار: القطيع من البقر، والعانة من الحمر: الجماعة، وكذلك الخيط من النعام.

فقمنا بأشلاء اللجام ولم نقد إلى غصن بان ناضر لم يحرق
نزاوله حتى حملنا غلامنا على ظهر ساط كالصليف المعرق
كأن غلامي إذ علا حال متنه على ظهر باز في السماء محلوق
رأي أرنباً فانقض بهوى أمامه إليها ، وجلاها بطرف منقلق
فقلت له صوب ولا تجهده فيذكرك من أعلى القطة فتزلق
وأدبرن كالجزع المفصل بينه بجيد الغلام ذي القميص المطوق^(١)

(١) أشلاء اللجام: حدائده؛ وإثما يريد: قمنا إليه فألجمناه ولم نرده إلى اللجام قوداً، إلى غصن بان، يعني إلى فرس كأنه في حسنه وصفاً لونه غصن بان، ويروي: ولم نكد، يعني ولم نكد نطيق إجمامه من كثرة مرجه ونشاطه.
نزاوله، يعني تحاول منه ركوب الغلام، ولم يكد الغلام بركبه إلا بعد معالجة، والساطي: الذي يسطو بنفسه فلا يتوقى ما ركب وما ضرب بحافره، والصليف ها هنا: عود من أعواد الرحل؛ وهما صليفتان فيه من جانبيه، «المعرق» يعني أنه قد برى برياً؛ وإنما وصف ضمور الفرس؛ وبه توصف الخيل العتاق.
حال متنه، حال الفرس؛ موضع الراكب؛ يقول: كأن غلامي إذا ركب فرسي لمر مسرعاً جاداً في عدوه مثل باز قد حلق في السماء يطير طيراناً شديداً.
رأي أرنباً، يعني البازي، فانقض إليها، إلى الأرنب، أي انحط، ويهوي؛ يدنو إليها، وجلاها، يعني نظر إليها. والطرف: طرف العين، والمقلق: المبادر بالنظر، الذي لا يفتر.
يعني فقلت للغلام: صوب الفرس ولا تجهده، أي خذ عفوه ولا تحمله على العدو فيصرعه، يقال: أذراه عن فرسه يذريه إذراً، إذا صرعه وألقاه، والقطة من الفرس؛ موضع الردف.
الجزع: الخرز، وأدبرن: يعني يقر الوحش، شبههن في صفاتهن ويريقهن واختلاف ألوانهن بالخرز، بجيد الغلام: أي عليه طوق.

وأدركهـن ثانياً من عنانه كغيث العشي الأتهب المتودق
فصاد لنا ثوراً وعبيراً وخاضباً عداءً ، ولم ينضح بماء فيعرق
وظل غلامي يضجع الرمح حوله لكل مهاة أو لأحقب سهوق
وقام طوال الشخص إذ يخضبونه قيام العزيز الفارسي المنطق
فقلنا ألا قد كان صيد لقانص فخبوا علينا كل ثوب مروق
وظل صحابي يشتوون بنعمة يصفون غاراً باللكيك الموشق^(١)

(١) وأدركهـن: يعني القلام أدرك الحمير، ثانياً من عنانه، يقول: لم يخرج ما عنده من
الجرى، ولكنه أدركهـن قبل أن يجهد، والغيث: السحاب، والغيث: المطر، والغيث أيضاً:
النتب والعشب، والأتهب: ما كان لونه إلى الكدرة من البياض، المتودق من الودق، وهو
الشديد من المطر.

الثور من بقر الوحش، والعبير: الحمار، والخاضب: الظليم، عداءً: يعني موالاة واحداً بعد
واحد، يقول: فصاد لنا هنا كله قبل أن يعرق، وإنما قيل للظليم: خاضب، لأنه إذا أكل الريح
خضب قوائمه وأطراف ريشه من الزهر.

يضجع الرمح حوله، يعني قد لحقه؛ فهو يطعنه كيف شاء، مهاة، أي بقرة وحشية،
والأحقب: حمار الوحش، وإنما سمي الذكر أحقب والأنثى حقاء، لأن في موضع الحقيبة منها
بياضاً، والسهوق: الطويل.

وقام، يعني الفرس، إذ يخضبونه، يعني بالدم، وذلك إذا صادوا عليه جعلوا على شعر
ناصيته وعلى عنقه من ذلك الدم ليعلم أن قد صادوا به، قيام العزيز الفارسي، شبهه بالرئيس
من الفرس المعظم عندهم، والمنطق: ذر المنطقة، وقال بعضهم: إذا صاد القوم على الفرس ثم
أصابه من دم الصيد شيء فهو خضابه.

القانص: الصائد، فخبوا علينا، أي ضربوا لنا خبائء، «مروق» يعني له رواق.
بشتوون: يعني يصلحون من ذلك الصيد سواء، والمشتوي الرجل الذي يشويه، يصفون
غاراً، يعني أنهم قد ملثوا الغار من اللحم الذي يصفونه، والمصفوف والصفيف من اللحم:
المشرح المرقق، والغار والغارة واحدة، واللكيك: اللحم الكثير الشخين، والموشق: الذي يطبخ
بماء وملح، ثم يجفف ويحمله القوم معهم، وهي الوشائق والواحدة وشيقة.

ورحنا كأننا من جزائى عشية نعالى النعاج بين عدك ومشنق
ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا تصوب فيه العين طوراً وترتقي
وأصبح زهلولا يزل غلامنا كقدح التضى باليدىن المفق
كان دملء الهاديات بنحره عصارة حساء بشيب مفرق^(١)

وقال امرؤ القيس في الاغتداء ووصف الفرس:

ولقد أغدو على عيرانة ويطسرف ذي سبيب منتخب
شنج الأنساء محوص الشوى أخلف القارح عاماً أو كرب^(٢)

(١) كأننا من جزائى: يعنى كأننا من ملوك جزائى، وهى قرية بالبحرين، وإنما قال ذلك لكثرة ما معهم من الصيد المعدول في الأعدال. والمشنق: المعلق الذي لم يجعل في الأعدال. رحنا بفرس كأنه ابن الماء في خفته وسرعة عدوه. وابن الماء طائر، وسطنا: بيننا. تصوب فيه العين طوراً وترتقي: تنظر العين إلى أعلاه وأسفله من إعجابها به، يعنى أصبح الفرس زهلولا، والزهلول: الخفيف، والجمع الزهاليل. ويزل الغلام الذي قد ركبته عن ظهره من نشاطه ومرحه أي يلقيه عنه، والقدح: السهم، والتضى: الذي لا تصل فيه، والمفق: السهم الذي جعل له فوق، الهاديات: أوائل الوحش المتقدّمات؛ والواحدة هادية، يدرك هذا الفرس أوائل هذه الحمير، فكيف أواخرها!

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٢٩٥.

المنتخب: المختار، وهو من نعت الطرف، العيرانة: الناقة، شبهها بالعبير وهو الحمار الوحشى لثقتها؛ والطرف: الكريم من الخيل، والسبيب: الذئب. النساء: عرق في الفخذين، فإذا تشنج كان أقوى له، محوص الشوى، وهى القوائم. يقول: منجرد الشعر منها، والقارح في سنه، «أو كرب» يريد أو قارب ذلك، الشنج: المتقبض، وهو مدح له، المحوص: الشديد القوى، القارح من الخيل: ما أمضى خمس سنين.

يأخذ الأرض بفعم صلب في وظيف غير مسترخي العصب
وقطاة لم يخنها متنه مجففر الجنين في غير حصب
فهو سباق إلى غاياته يبهض الملجم إلا ما انتصب^(١)

وقال امرؤ القيس في وصف الفرس:

وإني زعيم إن رجعت ملكاً بسير ترى منه الفراتق أزورا
على لاحب لا يهتدي بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا
على كل مقصوص الذنابي معاود

بريد السرى بالليل من خيل بريرا^(١)

الوظيف: عظم في أسفل الساق، والفعم: الممتلئ، وصلب، أي صلب، القطاة: موضع
الردف من الدابة، والمجففر: الضخم الجنين، يبهض، أي يشق عليه.
(١) ديوان امرؤ القيس ص ٦٦ - ٦٧.

الزعيم: الكفيل الضامن، والأزور: المائل الذي يسير في جانب من شدة السير؛ يقول
لصاحبه مطيباً لنفسه: أنا كفيل بأن أسير سيراً شديداً ترى منه الفراتق مائلا إلى جهة من
شدته، إن رجعت من عند قيصر ملكا على قومي.

لا يهتدي بمناره، أي ليس فيه علم ولا منار فيهتدي به؛ يصف أنه طريق غير مسلك فلم
يجعل فيه علم، إذا سافه العود، أي إذا شمه المسن من الإبل صوت وورغا لبعده وما يلقى من
مشقته، والنباطي: منسوب إلى النبط، أشد الإبل وأصبرها، وقيل: هو الضخم، واللاحب:
الطريق البين الذي تحبسه الحوافر، أي أثرت فيه، جرجر: صوت.

أقطع هذا الطريق على كل فرس مقصوص الذناب، وكذلك خيل البريد، معاود بريد=

أقب كسرحان الغضى متمطر ترى الماء من أعطافه قد تحدر
إذا زعته من جانبيه كليهما مشى الهيدبي في دفه ثم فرقا
إذا قلت روحنا أرن فراتق على جلعد واهي الأباجل أبترا^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف القرس:

وإن أمس مكروبا فيارب غارة شهدت على أقب رخو اللبان^(٢)

السري: أي قد استعمل في سير البريد مراراً وعاوده، من خيل بربر، وخص خيل بربر، لأنها كانت أصلب الخيل عندهم وأجودها. وأراد: «معاود سير بريد السري».

(١) أقب كسرحان الغضى، أي هو خميص البطن كالذئب، وخص ذئب الغضى لأنه أخص الذئاب وأنكرها، والغضى: شجر، والمتمطر: السابق الماضي على وجهه، ترى الماء من أعطافه، يعني أن العرق يسيل منه ويتحدر من جوانبه لشدة السير ومشقته.

إذا عطفته وأملته بالركض وبالزجر من جانبيه كليهما تبحتر في مشيه، ومال في أحد جانبيه، ثم حرك فمه باللجام عبثاً ونشاطاً، والهيدبي، بالذال: مشية فيها تبحتر؛ واشتقاقها من الثوب ذي الهدب، لأنه مما يتبحتر فيه، ويروي: الهيدبي، بالذال المعجمة، وهو من أهدب في سيره إذا أسرع، فرفر: حرك اللجام في فمه، ويروي: فرقرا بالقاف، أي صوت، وليس بالجيد، لأن الخيل لا توصف بهذا.

إذا قلت روحنا أرن فراتق: أي إذا شق علينا السير أرن الفراتق بالغناء والتطريب لروحنا ويسلينا عن بعض ما نجد من المشقة والعناء. أرن: رجع صوته بالغناء، والجلعد: الغليظ الشديد، واهي الأباجل أبترا، يريد أنه لين العروق والمفاصل فيتسع لذلك في العدو، والأباجل: عروق في الرجل، واحدها أبجل، والأبترا: المقطوع الذئب.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٨٦ - ٨٧.

الأقب: الظامر البطن من الخيل، رخو اللبان، أي واسع جلده، لين العطف: وهو المستحب من الخيل.

على ريد يزداد عفوا إذا جرى مسح حثيث الركض والذألان
ويخدى على صم صلاب ملاطس شدايدات عقد لينات متان
وغيث من الوسمى حو تلاعه تبطنته بشيظم صلتان
مكر مفر مقبل مذبر معا كتييس ظباء الحلب العدوان
إذا ما جنبناه تأود متته كعرق الرخامى اهتز في الهطلان
تقع من الدنيا فإنك فان من النشوات والنساء الحسنان^(١)

(١) على زيد، هو السريع رفع القوائم ووضعها؛ وهو الخفيف، والعفوة: الجري على غير مشقة وتكلف، ويروى: «يزداد عدواً» أي جرياً. مسح: أي سريع العدو كأنه يسحه سحاً، حثيث الركض والذألان: أي سريع الجري والسير، والركض: الجري، والذألان: سرعة السير؛ ومنه قيل للذئب: ذؤالقة.

ويخدى: أي يسير سيراً سريعاً، والصم: حوافره؛ يريد أنها مصمتة صلبة، ملاطس، أي مكسرات للحجارة لشدة وقعهن وصلابتهن، شدايدات عقد، يعني عقد الأرساغ مع لين المفاصل ورطوبتها، والمتان: الصلاب الشداد، ويروى: «لينات مشان» وهي ما اتشنى من المفاصل.

وغيث من الوسمى حو تلاعه، الخوة: لون يضرب إلى السواد؛ يصف أن نبات التلاع حو ناعم ريان، فخضرته تضرب إلى السواد، تبطنته: أي سلكت بطنه وسرت فيه، والشيظم: الطويل، والصلتان: القصير الشعر؛ وقيل: هو من الانصالات؛ وهو شدة الذهاب.

كتييس ظباء الحلب، شبه الفرس بفحل الظباء في ضربه ونشاطه وسرعته، والحلب: نبتا ترعاه الظباء، فتضمحل عليه بطونها، والعدوان: الشديد العدو؛ وهو في وصف التيس، ويروى: العدوان: وهو الشيط المرع.

تأود متته: أي تشنى لبيته وسياطته، والرخامى: نبت له عروق ناعمة تثبت على وجه الأرض؛ شبه تشنى متته بتشنى عروق هذا النبت، اهتز في الهطلان، أي تشنى واهتز لنعته وليته بكثرة المطر المغذي له.

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف القرس:

وغيث كألوان الفنا قد هبطته تعاور فيه كل أوطف حنان
على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جرى غير كز ولا وان
كتيس الأطباء الأجر انضرجت له عقاب تدلت من شماريخ ئهلان
وخرق كجوف العير قفر مضلة قطعت بسام ساهم الوجه حسان
يدافع أعطاف المطايا بركنه كما مال غصن ناعم بين أغصان^(١)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٩١ - ٩٢.

وغيث كألوان الفنا، شبه الكلا بالفنا في ربه وجدته، والفنا: عنب الثعلب، أو نيت يشبهه، هبطته: نزلت إليه، وأنخت إبلى فيه، تعاور: تناول وتعاقب، الأوطف: سحاب دان من الأرض، كأن له خلا لكشائته، الحنان: الشديد الصوت الذي يسمع لصوته ولرعده حين كحنين الإبل.

بعتي هبطت هنا الغيث على فرس ضخم كهيكل النصرى، يعطيك ما عنده من الجرى، قيل أن تكلفه ذلك، وتسأله إياه، الكز: الضنين، الواني: الغائر المبطي.
انضرجت له، يعني انقضت للتيس هذه العقاب فذعرت؛ وذلك أسرع له وأنشط، من شماريخ ئهلان، أي انقضت العقاب من أعالي هنا الجبل، وئهلان: اسم جبل، شماريخه: أعاليه.
كجوف العير، قال بعضهم: هو الحمار الذي ليس في جوفه شيء ينتفع به؛ لأنه صيد لا يؤكل من بطنه شيء. وقيل: العير رجل من بقايا عاد الآخرة؛ وكان يقال له حمار بن مويبع. وكان له جوف من الأرض فيه ماء معين، وكان يزرع في نواحي ذلك الجوف، وكان يقري الضيفان؛ فمكث على الإسلام زماناً، وكان له عشرة بنين، فأصابتهم صاعقة فماتوا كلهم، فغضب وكفر ورجع إلى عبادة الأوثان ومنع الضيافة، فأقيلت نار من أسفل ذلك الجوف بريح عاصف فأحرقت الجوف وما فيه، وأحرقت من دخل معه في عبادة الأصنام فأصيح الجوف =

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الخيل:

الخير ما طلعت شمس وما غربت مطلب بنواصي الخيل معصوب
قدأ شهد الغارة الشعواء تحملني جرءاء معروقة اللحيين سرحوب
كأن هاديبها إذ قام ملجمها قعو على بكرة زوراء منصوب
إذا تبصرها الرءاءون مقبلت لاحت لهم غرة منها وتجبب
رقاتها ضرم ، وجريها خذم ولحمها زيم والبطن مقبوب^(١)

=كأنه الليل المظلم وصار خراباً ، قضيت العرب به المثل فقالوا: وادي الحمارة، وجوف العير،
قفر مضلة، أي لا يهتدي للسير فيه، والسامى: الفرس المشرف المرتفع، والساهم هنا: القليل
لحم الوجه؛ وهو أيضاً المتغير اللون الضامر، ويستحب سهوم وجه الفرس، والحسان: الحسن؛
وهو المبالغة في الوصف بالحسن.

الأعطاف: الجوانب، وركنه: منكب؛ وكانوا إذا صاروا في غزو يركبون المطايا من الإبل
ويقودون الخيل ليوفروا قوتها وتشاطها إلى أن يحتاجوا إلى استعمالها، توصف أن الفرس
كان يذاق المطي كلما قربت منه ودنت إليه، وشبهه لتثنيه بين الإبل، وميله يمينا وشمالا
بعض ناعم يتثنى بين أعصاب.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

الغارة الشعواء: المتفرقة، والجرءاء: الفرس القصيرة الشعر، والمعروقة اللحيين: القليلة
لحم اللحين، وسرحوب: طريئة مشرفة.

هاديبها، يعني أزلها؛ وها هنا يريد العنق، زوراء، يريد منحرفة على غير استواء؛ وإنما
جعلها كذلك لإشراف عنقها، والقعر: فلكة البكرة.

التجبب: التحجيل إذا بلغ إلى أوظفة اليدين والرجلين.

الرقاق: ما رق من الأرض، والركض فيه صعب، يقال: الرقاق من الأرض المستوي، =

والعين قاذحة واليد سابحة والرجل طامحة واللون غريب
 والماء منهمر والشد منحدر والقصب مضطمر والمتن ملحوب
 كأنها حين فاض الماء واحتفلت صقعا لاج لها بالسرحة الذيب
 فأبصرت شخصه من رأس مرقبة ودون موقعها منه شناخيبي
 صبت عليه وما تنصب من أمم إن الشقاء على الأشقين مصبوب
 كالدلو يتت عراها وهي مثقلة وخانها وذم منها وتكريب^(١)

والضرم: المتوقد، يقول: هي تحرق فيه بالجرى لا تباليه؛ وتسب الرقاق إليها وأضافه لأنها
 تعدو فيه والحزم السريع المنقطع، والزم: القطع، والمقبوب: الضامر، وبه توصف الخيل المتاق.
 (١) قاذحة: يريد غائرة، واليد سابحة: إذا مدت يديها فكأنها تسبح، كما يسبح السابح
 في الماء يريد السرعة، طامحة: أي سريعة الدفع، غريب: يريد السواد، يعني أنها دهماء.
 والماء منهمر، يريد السائل المتصل، ليس بالقطر، وإنما يريد ها هنا بالماء العرق، وهذا
 خطأ، والقصب: واحد الأقباب؛ وهي الأمعاء. ومضطمر: ضامر، ملحوب، يعني قليل
 اللحم؛ يقال: قد لحب متته إذا ذهب؛ وإنما أراد موضع القصب.
 احتفلت يعني اجتهدت في العدو، والصقعا: العقاب، وإنما سميت صقعا لبياض في
 أعلى رأسها، والسرحة: الشجرة الضخمة، قاض الماء: يريد العرق، ويقال: السرحة ها هنا:
 اسم موضع معروف قالوا: وأصل قوله: احتفلت من امتلاء النضج من اللبن؛ ويقال: هذه إبل
 وغنم حفل إذا امتلأت ضروعها لبناً.
 مرقبة: موضع مشرف، يعني أن العقاب أبصرت خيال الذئب. والشناخيبي: رموس في
 أعالي الجبال لا يعلو عليها إلا ما طار، والواحد شناخوب.
 يقول: صبت العقاب على الذئب، صبت معناه كما تقول: بعث عليه بعذاب. والأمم:
 القرب، ويقال: القصد.

كالدلو: يقول: انقضاض هذه العقاب إلى هذا الذئب كالدلو، بتمت، أي قطعت، وأراد
 انقضاض العقاب في السرعة كسرعة انحطاط الدلو المنقطعة أو ذامها، والأوذام: سيور تعلق
 بعرا الدلو، والواحد وذم، والواحدة وذمة. والتكريب: أن يشد خيط من قنب أو شعر مع الدلو
 إلى الرشاء - وهو الخبل - ليكون عوناً واستظهاراً متى انقطعت عروة أو انحلت عقدة
 أمسكها فلا تقع في البئر؛ وإنما يفعل ذلك بالدلو الضخمة.

ويلمها من هواء الجو طالبة

ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

كالبرق والريح شدا منهما عجبا

ما في اجتهاد عن الإسراع تغيب^(١)

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف الفرس:

ولقد شهدت الخيل وهي كأنها بالدارعين نقائق تعدو

تغشى الإكام سنابكاً مسنونة مثل المعاول حصدها الحصد

تذر العجاج وراءها متنصبا ريعانها وكأنها السيد^(٢)

(١) قول العرب: ويلمها، اللفظ به ذم؛ وهي في الظاهر عندهم مدح. والويل في التفسير: راد في جهنم. والجو: جو السماء، وهو الفضاء، والهواء: ما مددت فيه بصرك من أعلى. والطالبة: العقاب. وقوله: ولا كهذا: يريد الذئب؛ يقول: ولم أر كنجائه وهربه منها نجاء وهو المطلوب، شبه سرعتها بالبرق والريح، تغيب: ليست فيهما بقية من السرعة والعدو.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٢٢٣ - ٢٢٥.

النقائق: النعام، والواحد نقاق، وإنما سمي بذلك لصوته، وهي الناقة.

تغشى، أي تغطي، والإكام: التلال المرتفعة، والواحدة أكمة، والسنايك: أطراف حوافر الخيل؛ والواحد سنيك، والمسنونة: المحددة، والمعارك: المناكير، حصدها الحصد؛ يقول: قطعها القطع الذي ليس وراءه غاية.

متنصبا، يريد عالياً، وريعانها: أوائلها، والسيد: العقبان في ألوانها إلى السواد؛ يذهب به إلى السيد وهو الشعر، وتروي: كأنها السيد، أي رجال السيد.

تجري بفرسان لها ومغاور كالطير غادية إذا تغدو
جرد عتاق لاكوابي بالقنا يخشى لها صدف ولا جرد
تحتى أقب ملمم عبل الشوى ويزل عن صهواته اللبد
ضافي السبيب من الذبول كأنه يوماً على حصواته البرد
حر المعذر أشرفت حجاته يغشى الروابي راهن فرد^(١)

(١) المغاور والمغاوير: الذين يغيرون في القتال والمهروب، واحدهم مغور ومغوار، كالطير، يريد الخيل في سرعتها كالطير.
الكابي: واحد الكوابي؛ وهو الفرس الذي إذا عدا انههر؛ ويكون ذلك في خيق مخرج النفس من داء يحدث به، والجرد: الخيل القصيرة الشعر والعتاق: الكرام منها، وقالوا: الكابي: الذي يسقط على وجهه لضعف يكون في يديه، ويروى: لا كوابي بالقنا» يقول: لا تنكفي، أي لا ترجع، كما تقول: انكفاً فلان على أهله، أي رجع. والصدف: ميل في الخافز، «ولا جرد» جمع أجرد، وهو الذي يضرب بيديه.
الأقب: الضامر البطن، والملمم: المجتمع؛ شبه بالحجر الصلب، والعيل: الضخم، والشوى ها هنا: القوائم، والصهوات: جمع صهرة؛ وهو موضع اللبد من الفرس؛ أي ملتقى فروع الكتفين.
الضافي: السايغ الذنب التام في طوله؛ والسبيب شعر الناصية والذنب، وهو ها هنا الذنب، والذبول: الضمر؛ ويروى: «من الذبول». أراد جمع ذيل؛ شبه الذنب في طوله بالذيل الطويل. والحصوات: جمع حماة؛ قال: وهي عضلته التي في ساقه؛ وشبه الذنب بالبرد في سوغه.
حر المعذر، أي كريم الوجه، والمعذر: مكان العذار، والحجيات: واحدتها حجة؛ وهي رأس البوك، ويقشس، أي يعلو، والراهن: المتقدم اللاحق، وفرد، أي منفرد، وتروى: ينضو السوابق زاهق، وينضو، أي يسبق، والزاهق: السمين.

وقال امرؤ القيس أيضاً في وصف القريس:

وخيل كأسراب القطاقد وزعتها بذى ميعة ثبت الفؤاد إذا جرى
طويل القرانهد التليل مشذب

سليم الشظاعبل الشوى شنج النسا

أشق شخيص طامح الطرف سابح جواد إذا هيجته عاند الهوى
شديد اعتزام الشد يعطيك عفوه

إذا ابتل بعد الجهد من مائه طغى

إذا تاب بعد الكبو مر كأنه

حفيف قطاً من رابئ الصيد قد ضفا (١)

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

السرب: سرب القطا، وزعتها، أي كلفتها، والميعة: النشاط.

القرا: الظهر، والنهد: المرتفع، والتليل: العنق، والمشذب: القصير الشعر، والشظا: عظيم في يد القريس، إذا تحرك ضعف عنه. والهيل: الضخم، والشوى: القوائم، والنسا: عرق في باطن الفخذ ينزل إلى الساقين إذا استرخى ضعف رجلاه.

الأشق الطريل، والشخيص: الضامر، والسابح: الذي يمد يديه في الجري، والجواد: السابق.

الشد: العدو، وعفوه: سيره من غير أن يفرح بسوط ولا غيره، ومازه: عرقه.

تاب: أي رجح، والكبو: السقوط، والحفيف: الصوت، والراني: الديدبان، وهو الذي يرقب، أي يحرس، وضفا: ارتفع.

الفصل الثالث
النايعة الذبياني

أما النابغة فهو زياد بن معاوية، ويكنى أبا أمامة، ويقال: أبا ثمامة.
عاش في النصف الأخير من القرن السابق على ظهور الإسلام،
ونادم ملوك الحيرة، المنذرين الثالث والرابع، والتعمان بن المنذر أبا
قابوس، واستوجب سخط الأخير عليه، لما يروى من أنه وصف يوماً
حسن زوجة التعمان في شعر أثار غيرته، وغضبه، ولكن حقيقة الأمر
- فيما يبدو - وهي أن النابغة كان قد واصل بنى نعمان في دمشق،
وهم أعداء اللخميين، فظن التعمان به الغدر، وعدم الوفاء له، وهرب
النابغة منه، فوجد ملجأ في بلاط عمرو بن الحارث، وأكرمه عمرو،
وابنه التعمان، فلما مات التعمان بن عمرو بن الحارث رجع النابغة إلى
الحيرة ونال عفو أبي قابوس، وحظوته من جديد، ولكنه لم يتمتع
طويلاً بذلك، فقد وقع أبو قابوس بعد ذلك بقليل في أسر خسرو
الثاني، الملك الساساني في فارس، ولم يلبث أن مات، وحينئذ رجع
النابغة إلى قبيلته بنى ذبيان، الذين كان يرعى مصالحهم دائماً عند
أولى حظوته من الأمراء، وبقي هناك إلى أن مات^(١).

وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيراً.

أنشد عيسى بن عمر عامر بن عبد الملك السمعى شعر النابغة،

(١) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان / ١ - ٨٨ - ٨٩.

فقلت: يا أبا عبد الله، هذا والله الشعر، لا قول الأعشى:

لسنا نقاتل بالعصا سي ولا نراصي بالحجارة

ويقال: كان النابغة أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بيتاً، كان شعره ليس فيه تكلف، ونبغ بالشعر بعد ما احتنك، وهلك قبل أن يهتر.

ويقال: وكان يقوى في شعره، فعيب ذلك عليه وأسمعه في غناء^(١):

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زادٍ وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغداف الأسود

ففظن فلم يعد.

قال الشعبي: ^(٢) دخلت على عبد الملك وعنده رجل لا أعرفه، فالتفت إليه عبد الملك فقال: من أشعر الناس؟ فقال: أنا، فأظلم ما بيئى وبينه، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتعجب عبد الملك من عجلتى فقال: هذا الأخطل، فقلت: أشعر منه الذى يقول:

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٧، الأغاني ١٥٦/٩-١٥٧، الشعر والشعراء ١٥٧/١.

(٢) الأغاني ١٦١ / ٩ - ١٦٥، خزنة الأدب ١ / ٢٨٨، الشعر والشعراء ١ / ١٥٨.

هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام^(١)
للحارث الأكبر والحارث ال أصغر والأعرج خير الأنام
ثم لهندٍ ولهندٍ وقد ينجع في الروضات ماء الغمام
ستة آياتهم ما هم هم خير من يشرب صفو المدام
فقال الأخطل: صدق يا أمير المؤمنين، النابغة أشعر مني، فقال لى
عبد الملك: ما تقول في النابغة؟ قلت: قد فضله عمر بن الخطاب على
الشعراء غير مرة، خرج ويبابه وقد غطفان فقال: أى شعرائكم الذى
يقول:

أتيتك عارياً خلقاً ثيابى على خوف تظن بى الظنون
فألقيت الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة، قال: فأى شعرائكم الذى يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ربة وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا: النابغة. قال: فأى شعرائكم الذى يقول:

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسع

(١) خزنة الأدب ١ / ٢٧١.

ويروى «وازع»، قالوا: النابغة، قال: هذا أشعر شعرائكم.

قال حسان^(١): وفدت على النعمان بن المنذر فمدحتة، فأجازني وأكرمتني، فإني لجالس عنده ذات يوم إذا صوت من خلف قبتة يقول:

أنام أم يسمع رب القبه يا أوهب الناس لعنس صلبه

ضرابة بالمشفر الأذبه ذات نجاء في يديها جذبه^(٢)

قال: أبو ثمامة! فدخل، فأنشده قصيدته التي على الباء والتي على العين، وكان يوم ترد فيه النعم السود، ولم يكن بأرض العرب يعير أسود إلا له، فأمر له منها بمائة يعير معها رعاؤها ومظالها وكلابها، فلم أدر على ما أحسده؟ على جودة شعره، أم على جزيل عطيته؟!

ومكث النابغة زماناً لا يقول الشعر، فأمر يوماً بغسل ثيابه وعصب حاجبيه على عينيه، فلما نظر إلى الناس قال:

المرء يأمل أن يعيب ش، وطول عيش ما يضره

(١) الأغاني ٩ / ١٩، الشعر والشعراء ١ / ١٥٩.

(٢) الأذبة: جمع قلة لذباب، النجاء: السرعة في السير، اللسان ١ / ٤٦٨.

تفنى بشاشته ، ويبقى بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئاً يسره
كم شامت بي إن هلك . وقائل : لله دره

ومما يتمثل به من شعره:

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زار من الأسد
تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان^(١).
وقوله:

قلو كفى اليمين بعتك خوفاً لأفردت اليمين من الشمال
أخذه المثقب العبدى فقال:
ولو أنى تخالفنى شمالى بنصر لم تصاحبها يمينى
وقوله:

فحملتنى ذنب امرئ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو رابع^(٢)

(١) الخزانة ١ / ٢٨٨ ، الشعر والشعراء ١ / ١٦٠ .
(٢) العر: قروح مثل القرباء ، تصيب الإبل فتكوى ، أو الجرب .

أخذه الكميث فقال:

ولا أكرى الصحاح براتعات بهن العر قبلى ما كوننا^(١)

وقوله:

واستبق ودك للصديق ولا تكن قتباً يعرض بغاربٍ ملحاحا

أخذه ابن ميادة فقال:

ما إن ألح على الإخوان أسألهم كما يلح بعض الغارب القتب^(٢)

ويقال إن النابغة هجا النعمان بقوله:

قيح الله ثم ثنى بلعن وأرث الصائغ الجبان الجهولا

والصائغ هو عطية، أبو سلمى، أم النعمان.

وكانت العرب تضرب أمثالاً على أسنة الهوام.

قال المفضل الضبي: يقال امتنعت بلدة على أهلها بسبب حية غليت

(١) خزائن الأدب ١ / ٤٣٣، الشعر والشعراء، ١ / ١٦٠.

(٢) الأغاني ١١ / ١٣، الشعر والشعراء، ١ / ١٦١.

القتب: إكاف البعير، الغارب: الكاهل من ذي الخف ما بين السنان والمعنق.

عليها ، فخرج أخوان يريدانها ، فوثبت على أحدهما فقتلته ، فتمكن لها أخوه في السلاح ، فقالت: هل لك أن تؤمنني فأعطيك كل يوم ديناراً؟ فأجابها إلى ذلك حتى أثرى ، ثم ذكر أخاه ، فقال: كيف يهنئني العيش بعد أخي؟ فأخذ فأساً وصار إلى جحرها ، فتمكن لها ، فلما خرجت ضربها على رأسها ، فأثر فيه ولم يعن ، ثم طلب الدينار حين فاته قتلها! فقالت: إنه ما دام هذا القبر بفنائى وهذه الضربة برأسى فلست آمنك على نفسى! فقال النابغة في ذلك: (١)

تذكر أنى يجعل الله فرصة فيصبح ذا مال ويقتل واتره
فلما وقاها الله ضربة فأسه وللبر عين لا تغمض ناظره
فقالت: معاذ الله أعطيك إننى رأيتك غداراً يمينك فاجسه
أبى لى قبر لا يزال مقابلى وضربة فأس فوق رأسى فاقره
وبما أخذ منه قوله:

لو أنها عرضت لأشمط راهبٍ عبد الإله ضرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وإن لم يرشد

أخذه ربيعة بن مقروم الضبي فقال (٢):

(١) أمثال العرب ٨٤ - ٨٥ .

(٢) الأغاني ١٩ / ٩٢ - ٩٣ .

لو أنها عرضت لأشمط راهبٍ في رأس مشرفة الذرى يتبتل
لرنا ليهجتها وحسن حديثها ولهم من ناموسه يتنزل
ومما يتمثل به أيضاً من شعره:
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
وهو الذل والهوان. قال أوس بن حارثة: والمتيه، ولا الدنيه، والنار،
ولا العار.

وقال النابغة في العتة، وهو أحسن ما قيل فيه:

رقاق النعال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباب^(١)
أخذه عدى بن زيد فقال:

أجل أن الله قد فضلكم فوق من أحكى بصلبٍ وإزار
فالصلب: الحسب، والإزار: العفاف.

وفى أمثالهم «أصدق من قطة»^(٢) قال النابغة:

تدعو القطا وبها تدعى إذا نسبت يا حسنها حين تدعوها فتنتسب

(١) خزنة الأدب ٤ / ١٤٧، الشعر والشعراء، ١ / ١٦٣.

(٢) مجمع الأمثال ١ / ٣٦١

وذلك لأنها تلفظ باسمها ، أخذه أبو نواس فقال:

* أصدق من قول قطة قطا *

وسمى النابغة بقوله:

* فقد نبغت لنا منهم شؤون *

وكان شريفاً ففض منه الشعر. وكان مع النعمان بن المنذر ومع أبيه
وجده، وكانوا له مكرمين.

قال حسان بن ثابت^(١): رحلت إلى النعمان، فلتقيت رجلاً فقال:
أين تريد؟ فقلت: هذا الملك، قال: فيأنيك إذا جئته متروك شهراً، ثم
يسأل عنك رأس الشهر، ثم أنت متروك شهراً آخر، ثم عسى أن يأذن
لك، فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه، وإن رأيت أبا
أمامة النابغة فاطعن، فإنه لا شيء لك. قال: فقدمت عليه، ففعل بي
ما قال، ثم خلوت به وأصبت منه مالاً كثيراً وتادمته، فبينما أنا معه
في قبة إذ جاء رجل يرجز حول القبة:

(١) الأغاني ٩ / ١٦٩، الشعر والشعراء، ١٦٤.

أثمت أم تسمع رب القبه يا أوهب الناس لعنن صلبه

ضرابة بالمشقر الأذبه ذات هباب في يديها جلبه

فقال النعمان: أبو أمامة! فأذتوا له، فدخل فحياه وشرب معه،
ووردت النعم السود، ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود يعلم
مكانه، ولا يفتحل أحد فحلاً أسود، فاستأذنه أن ينشده، فأنشده
كلمته التي يقول فيها:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فدفع إليه مائة ناقة من الإبل السود، فيها رعاؤها، فما حسدت
أحداً حسدى النابغة . لما رأيت من جزيل عطيته ، وسمعت من فضل
شعره .

ثم إن النعمان بلغ عنه شيئاً، فنذر دمه، فسار النابغة إلى ملوك
غسان. وقد اختلفوا في السبب الذي بلغه عنه، فقال قوم: ذكروا أنه
هجاه فقال:

ملك يلاعب أمه وقطينه رخو المفاصل..... (١)

وهجاه أيضاً فقال قصيدة فيها:

قبح الله ثم ثنى بلعسن وارث الصائغ الجبان الجهولا

(٢) الأغانى ٩ / ١٥٨ ، ٢١ / ١٣١ .

من يضر الأذى ويعجز عن ضر الأفاصى ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألف ويفزو ثم لا يرزأ العدو فتبلا
ووارث الصائغ هو النعمان بن المنذر، وكان الصائغ جد النعمان بن
المنذر، وأمه سلمى بنته، واسمه عطية، ومنزله فذك.
ويقال إن هذا الشعر والذي قبله لم يقله النابغة، وإنما قاله على
لسان قوم حسدوه.

ويقال: كان السبب فى مفارقتة إياه ومصيره إلى غسان أن النعمان
قال له وعنده المتجردة امرأته: صفها لى فى شعرك يا أبا أمامة! فقال
قصيدته التى أولها: * أمن آل مية راتح أو مغتد *

وكان للنعمان نديم يقال له المنخل اليكشرى يتهم بالمتجردة، فلما
سمع المنخل هذا الشعر قال للنعمان: ما أوغر صدره من النابغة، وبلغ
النابغة ذلك، فخافه فهرب إلى غسان، فصار فيهم. وانقطع إلى عمرو
بن الحرث الأصغر الغسانى، وإلى أخيه النعمان بن الحرث، فأقام النابغة
فيهم فامتدحهم، فعم ذلك النعمان، وبلغه أن الذى قذف به عنده باطل،
فبعث إليه: إنك صرت إلى قوم قتلوا جدى فأقمت فيهم تمدهم، ولو
كنت صرت إلى قومك لقد كان لك فيهم ممتنع وحصن، إن كنا أردنا
بك ما ظننت، وسأله أن يعود إليه. فقال شعره الذى يعتذر فيه، وقدم
عليه مع زيان بن سيار ومنظور بن سيار الفزاريين، وكان بينهما وبين

النعمان دخلل، فضرب لهما قبة، ولا يشعر أن النابغة معهما، ودس
النابغة أبياتاً من قصيدته:

* يا دار مية بالعليا، فالسند *

وهي:

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد
مهلا فداء لك الأقوام كلهم وما أئصر من مال ومن ولد
فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما أريق على الأنصاب من جسد
ما إن بدأت بشئ أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطى إلى يدي
فلما سمع النعمان الشعر أقسم بالله إنه لشعر النابغة، وسأل عنه،
فأخبر أنه مع الفزاريين، وكلماه فيه فأمنه^(١).

وكان النابغة يضرب له قبة حمراء من آدم بسوق عكاظ، فتأتبه
الشعراء فتعرض عليه أشعارها.

وقال أبو عبيدة: يقول من فضل النابغة على جميع الشعراء: هو

(١) الشعر والشعراء، ١ / ١٦٧.

أوضحهم كلاماً، وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع، وأحسنهم
مطالع، ولشعره ديباجة، إن شئت قلت: ليس بشعر مولف، من تأنسه
ولينده، وإن شئت قلت: صخرة لو رويت بها الجبال لأزالتها. قال:
وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: كان الأخطل يشبهه بالنايغة. وكان
يقوى في شعره، فدخل يشرب ففتني بشعره، ففطن فلم يعد للإقواء.

ومما سبق إليه النايغة فأخذ منه قوله في المرأة: * لو أنها عرضت *
البيتين. أخذه بعض شعراء ضبة، وأحسبه ربيعة بن مقروم فقال:
* لو أنها * البيتين. وقال النايغة: * فاستبق ودك * البيت. أخذه
ابن ميادة فقال * ما إن ألح * البيت

ومما أخذه العلماء عليه قوله في صفة الثور:

تجيد عن أسبق سود أسافله مشى الإمام الفوادي تحمل الحزما^(١)

قال الأصمعي: وإنما توصف الإمام في مثل هذا الموضع بالروح لا
بالغدو، لأنهن يجتن بالحطب إذا رحن، ومثله قول الأختس التقلبي^(٢):

(١) الشعر والشعراء ١ / ١٦٨، اللسان ١٧ / ٦٤. الأسبق: شجر يكثر في منابته.

(٢) شاعر جاهلي قديم، قبل الإسلام بدهر.

يظل بها ريد النعام كأنها إماء تزجى بالعشى حواطب^(١)
وقال بعض من طلب له التخرج: إنما أراد أن الإمام تغدو لحمل
الحزم رواحاً.

وأخذوا عليه قوله:

تخب إلى التعمان حتى تناله فدى لك من رب طرفى وتالدى
وكنت امرأ لا أمدح الدهر سوقة فلست على خير أتاك بحاسد
فأمتن عليه بمدحه، وجعله خيراً سيق إليه لا يحسده عليه^(٢).

وأخذوا عليه قوله:

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أوله غالب
جعل الطير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين، والطير قد
تتبع العساكر للقتلي، ولكنها لا تعلم أيها يغلب.

وأخذوا عليه قوله في وصف السيوف^(٣):

(١) تزجى: تساق. وقيل «تزجى» بفتح التاء بالبناء للفاعل، أى تتزجى، وهو غير
جيد. الموشح ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) الموشح ص ٤٤.

(٣) الديوان ٧٠٥ .٧.

يطير ففاضاً حولها كل قونس ويتبعها منهم فراش الحواجب^(١)
تقد السلوقى المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباجب^(٢)
وذكر أنها تقد الدروع التى ضوعف نسجها والفارس والفرس، حتى
تبلغ الأرض فتندح النار بها من الحجارة.

وقال صالح بن حسان لمجلسائه: أعلمتم أن النابغة كان مخنثاً؟
قالوا: وكيف علمت بذلك؟ قال: بقوله^(٣):

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
لا والله ما عرف تلك الإشارة إلا مخنث^(٤)!

وقد سبق فى صفة الشور إلى معنى لم يحسن فيه، وأحسن فيه
غيره، قال يذكره^(٥):

مسن وحش وجسرة موشى أكارعه

طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد^(٦)

(١) الفضاخ: ما انفض وتكسر. القونس: أعلى البيضة من الحديد. الفراش: العظم
الرقيق فى الرأس أو غيره. اللسان ٩: ٧١، ٨: ٢١٩.

(٢) السلوقى: الدرع، منسوب إلى «سلوق» قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب.
الصفاح: حجارة عراض. نار الحباجب: ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة.
اللسان ١: ٢٨٨ و ١٢: ٢٩، والبلدان ٥: ١٥، اللسان ٣: ٣٤٥.

(٣) الديوان ٣٠. (٤) الموشع ٤٢ - ٤٣، الشعر والشعراء ١ / ١٧٠.
(٥) الديوان ١٨.

(٦) وجرة: موضع بين مكة والبصرة كثير الوحش. موشى أكارعه: هو أبيض وفى
قوائمه نقط سود. المصير: المعى، جمعه مصران، وجمع الجمع مصارين. الفرد، بفتح
ويعنيتين ويفتح فضم أو فكسر: المفرد. وفسر الفرد، بفتح فكسر، بأنه المسلول من غمده.

أراد بالفرد: أنه مسلول من غمده، وأخذه الطرماح فأحسن، قال
بذكر الثور:

يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيف على شرف يسلى ويغمد

وكان الأصمعى يستحسن قول الطرماح.

وأقرط فى وصف العتق بالطول، فقال يذكر امرأة:

إذا ارتعشت خاف الجبان رعائها ومن يتعلق حيث علق يفرق

والرعاش: القرط. وقال غيره فأحسن:

على أن حجليها وإن قلت أوسعا صموتان من ملء وقلة منطلق^(١)

ومما سبق إليه ولم ينازعه قوله:^(٢)

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ثم قال:

خطاطيف حجن فى جبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

قال أبو محمد: رأيت قوماً يستجيدونه. وهو عندى غير جيد فى

المعنى ولا التشبيه.

(٢) الديوان ٥٥.

(١) الحجل، بكسر الحاء وفتحها: الخلل.

وكان الأصمعي يكثر التعجب من قوله: (١)

وعبرتني بنو ذبيان خشيته وهل على بأن أخشاك من عار

قال: وما سبق إليه ولم يجاذبه قوله في أول شعره:

* كليني لهم يا أميمة ناصب *

قالوا: وقايس في شعره فأحسن، قال النعمان حين فارقه:

ولكنني كنت امرأ لى جانب من الأرض فيه مستماز ومذهب

ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ولم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

يقول: اجعلني كقوم صاروا إليك وكانوا مع غيرك، فاصطنعتهم

وأحسنت إليهم، ولم ترهم مذنبين إذ فارقوا من كانوا معه، يقول: فأنا

مثلهم، صرت عنك إلى غيرك، فاصطنع إلي، فلا تراني مذنباً إذ لم

تر أولئك مذنبين.

(١) الديوان ٤٤، الشعر والشعراء ١ / ١٧١.

ومن جيد شعره قوله:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب؟

يقول: من لم تصلحه وتقومه من الناس فليست بمستبقيه ولا راغب فيه^(١).

ويستجاد له قوله في صفة المرأة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود

يقول: نظرت إليك ولم تقدر أن تكلمك، كما ينظر المريض إلى وجوه عواده، ولا يقدر أن يكلمهم.

ويستجاد له قوله:

تكلفني أن يفعل الدهر همها وهل وجدت قبلي على الدهر قادراً^(٢)

ومما أكفاً فيه قوله في قصيدة مجرورة، أولها:

قالت بنو عامر: خالوا بنى أسد يا بؤس للجهل ضراراً لأقوام

(١) لسان العرب ٢ / ٤٦٦، الشعر والشعراء، ١ / ١٧٢.

(٢) الشعر والشعراء، ١ / ١٧٢.

وقال فيها:

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام

وقال في قصيدته التي أولها: * أمن آل مية رائح أو مفتد *

* وبذاك خبرنا الغراب الأسود *

وحكى الأصمعي عن أبي طرفة: كفاك من الشعر أربعة: زهير إذا
رغب، والنايغة إذ رهب، والأعشى إذا طرب، وعترة إذا كلب، وجرير
إذا غضب^(١).

وقال يونس بن حبيب: امرؤ القيس إذ ركب^(٢).

وروى أن عمرو بن العلاء كان يقدم النايغة بعد امرئ القيس^(٣).

ويرى الدكتور طه حسين أن المنحول كثير في ديوان النايغة، لأن
طابع الدرس، والاختيار الواعي يبرز فيه بقوة^(٤).

(١) العمدة ١ / ٧٨.

(٢) معالم النقد الأدبي ص ١٣٢.

(٣) محاضرات الأدباء ص ٤٠، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١ / ٩٠.

(٤) في الأدب الجاهلي ص ٣٣٦ وما بعدها، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١ / ٩٠.

أما الأمثلة التي تؤكد قول الهمذاني على لسان البطل عن النابغة
فهي كثيرة، نذكر منها ما يلي:

قال النابغة يمدح النعمان بن المنذر، ويعتذر إليه مما بلغه فيما وشى
به بنو قريع في أمر المتجردة:

فتلك تبلغني النعمان ، إن له

فضلاً على الناس في الأدنى وفي البعد

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه

ولا أحاشى من الأقوام من أحد

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فأحددها على الفند^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٢ - ٢٧.

«فتلك تبلغني النعمان»، أي تلك الناقة التي تشبه هذا الثور في قوته ونشاطه تبلغني
النعمان، وهو اسم الملك، «في الأدنى وفي البعد»، أي في القريب والبعيد، «إن له فضلاً»:
يُحتمل أن يريد التفضل على القريب والبعيد، ويحتمل أن يريد الرقعة؛ إذ هو يفضل جميع
الناس.

«ولا أرى فاعلاً»، أي لا أرى أحداً يفعل فعلاً كرمياً يشبهه في فعله، «ولا أحاشى»، أي
لا أستثنى فأقول: حاشاً فلاتاً فهو يشبهه في فعل الخير.

«إلا سليمان» استثناء من القوم المنقضى عنهم شبه النعمان، «أحددها»، أي أدنعها.
و«الفند»: الخطأ في القول والفعل وغير ذلك؛ مما يفند صاحبه عليه يلام. ومعنى قوله: «قم
في البرية»، أي انظر في مصالحها واجتهد في إرشادها.

وخيس الجن؛ إني قد أذنت لهم بينون تدمر بالصفاح والعمد
فمن أطاعك فأنفعه بطاعته كما أطاعك ، وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد
إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد
أعطى لفارهة حلواً توابعها من المواهب لا تعطى على نكد
الواهب المائة المعكاء زينها سعدان توضع في أوبارها اللبد^(١)

(١) «وخيس الجن؛ إني قد أذنت لهم بينون»، أي ذلهم، ومنه سمي السبن مخيساً،
و«الصفاح»: حجارة كالصفائح عراض. و«تدمر»: مدينة بالشام، فيها بناء لسليمان بن داود،
عليهما السلام. و«العمد»: أساطين الرخام، وهي السواري.
و«الرشد»: الرشاد؛ يقال: رشد ورشد.
الضمد: الذل والغيب والخقد، وقيل: هو الظلم، وقيل: هو شدة الغضب والحكم، أي لا
تنطوي على حقد وغضب إلا لمن هو مثلك في الناس، أو قريب منك.
حكى عن الأصمعي: «إلا لمثلك»، أي إلا لرجل في مثل حالك أو من فضلك عليك؛
كفضل السابق على المصلي، أي ليس بينك وبينه في الفضل إلا يسير، بمقدار ما بينك وبين
والمصلي من الخيل. ومعنى استولى عليه: غلبه. والأمد: الغاية التي يجري إليها. وقال ابن
الأعرابي: زعم النابغة أن الله تبارك وتعالى قال هذا لسليمان، وقال: لا أدري ما معناه، وإنما
أراد حض النعمان على أن يقعد عنه، ولا يضم له حقداً؛ لأنه ليس له مثله ولا قريباً منه.
«أعطى لفارهة» مرود على قوله: «ولا أرى فاعلاً أعطى لفارهة منه»، والفارهة: الناقة
الكريمة، أو العطية الحسنة، و«توابعها»: ما تبعها من المطايا. وقوله: «حلوا توابعها»، أي
متيسرة هينة، لم يدها مظل ولا امتنان. والنكد: الضيق والعسر، ويروى: «لا تعطى على
حسد»، أي لا تعطى ونفسك تتبع العطية وترغب فيها.
«الواهب المائة المعكاء»، يعني أنه يهب المائة من الإبل، والمعكاء: الغلاظ السمان الشداد،
وهو اسم لا يثنى ولا يجمع، وأظنه من عكوة الإزار وهو جفا «بعد شدة». والسعدان: نبت

والأدم قد خيست فتلاً مراقفها

مشدودةً برحال الحيرة الجدد

والراكضات ذبول الربط فانقها

برد الهواجر كالغزلان بالمجرد

والخيل تمزع غرباً فى أعتفها

كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البرد

« من أنجع ما ترعاه الإبل، ومنه قيل: «مرعى ولا كالسعدان». وتوضح: موضع بالحسى، وكانت إبل الملوك ترعاه؛ فلذلك ذكره، «فى أوبارها اللبد»، يريد أنها إبل سائمة مهملة فى المرعى، لا تستعمل ظهورها؛ فأوبارها مثلبة لذلك. واللبد: جمع لبد، التقدير يريد أوبارها ذات اللبد.

(١) الأدم من الإبل: البيض، ومن النساء: السمى. ومعنى «خيست» ذلت بالركوب، والفتل: التى باتت مراقفها عن أباطها، فلا يصيبها ضاغط ولا حاز ولا ناكث، وهو جرح يصيب كراكرها، إذا صكتها مراقفها؛ فرمما امتنعت من السير لذلك. والحيرة: مدينة التعمان، وإليها تنسب الرحال.

«والراكضات ذبول الربط»، يعنى الجوارى يركضن بأرجلهن مآخر الربط؛ لسبوغه عليهن، وتبخترهن فيه. والربط: الملاحف البيض. ومعنى «فانقها» نعم عيشها. وقوله: «برد الهواجر»، أى هى فى الهواجر فى موضع بارد؛ فلا يؤذها وهج الشمس. ثم شبههن بالغزلان فى طول الأعناق، وضمر الحصور، وحسن العيون. والجرد: أرض جرداء، لا شجر فيها ولا نبات؛ وإنما خصه لأن الغزلان إذا كانت به بدت محاسنها للناظر، ولم يحجبها عنه شىء. هو يهب المائة المعكاء، ويهب الراكضات، ويهب الخيل، «تمزع»، أى تسرع فى سيرها. والغرب: الحدة والنشاط. وشبه الخيل به فى سرعتها بطير أصابها مطر شديد فيه برد؛ فهى تنجو وتسرع إلى مواضع تقبها من المطر والبرد. والشؤبوب: دفعة المطر وشدته.

احكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شرع وارد الشمد
يحفه جانباً نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمذ
قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألقوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد (١)

(١) «احكم»، أى كن حكيماً فى أمرك، مصيباً فى رأى، ولا تقبل بمن سعى إليك
كفتاة الحى إذ أصابت ووضع الأمر موضعها، ولم يرد الحكم فى القضاء. وحكى عن
الأصمعى أنه سمع قرماً من أهل البادية يحدثون أن بنت الحسى كانت قاعدة فى جوار، فمر بها
قطاً واردة فى مضيق من الجبل، فقالت:

يا ليت ذا القط لنا ومثل نصفه معه

إلى قطة أهلنا إذأنا قطاً ميه

(وحكى عن أبى عبيدة) أن هذه زرقاء اليمامة، كانت من بقية طسم وجديس، وكانت
ترى من مسيرة ثلاثة أيام، وكانت لها قطة، ومر بها سرب من قطا بين جبلين، فقالت: ليت هذا
الحمام لنا ونصفه إلى حمامتنا، فيتم لنا مائة، فنظر فإذا هى كما قالت. وأرادت بالحمام القطا،
وكان ستاً وستين؛ يقال: إنها وقعت فى شبكة صائد، فأخذها فعرف عددها.
وذكر أبو حاتم أيضاً أنها زرقاء اليمامة، وأنها قالت:

ليت الحمام ليد إلى حمامته

ونصفه قديه تم الحمام ميه

والشمذ: الماء القليل. والشرع: القاصدة إلى الماء.

«يحفه جانباً نيق»، أى يحيط به من جانبيه. والنيق: الجبل. وإذا كان الحمام بين حافظى
الجبل ضاق عليه الموضع، وركب بعضه بعضاً، فكان أشد وأبعد، ولو كان فى سعة كان أهون
عليها فى العدد وأيسر، ثم أخير أنها أسرع حساباً فى عدده مع شدته وتعذره، فقال:

* وأسرت حسبة فى ذلك العدد *

«وتتبعه مثل الزجاجة»، أى عينها صافية كصفاء الزجاجة. ومعنى قوله: «لم تكحل من
الرمذ»، أى لم يصيبها رمذ فتكحل، ويحتمل أن يريد أنها كحلت بغير رمذ؛ لزينة أو نحوه.
«فقد»، أى حسى. حسبوا القطا وضموا إليه نصفه، فألقوه تسعاً وتسعين، كما حسبت،
«وأسرعت حسبه»، أى أسرع فى حساب القطا مع طيرانه وتراكيه، فكان ذلك كحكم هذه؛
إذ صدقت فى عدده على هذه الحال.

فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسيبة في ذلك العدد
 فلا لعمر الذي مسحت كعبته وما هريق على الأنصاب من جسد
 والمؤمن العائذات الطير يمسخها ركبان مكة بين الغيل والسعد
 ما قلت من سيبي مما أتيت به إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي
 إلا مقالة أقوام شقيت بها كانت مقاتلهم قرعاً على الكبد
 أتيت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زار من الأسد^(١)

(١) الحسيبة بالكسر هيئة الفعل، وبالفتح المرة الواحدة، «مسحت كعبته»، أي أتيت
 بيته وطلت به، والكعبة: كل بيت مربع؛ وبه سميت الكعبة. والأنصاب: حجارة كانوا يذبحون
 عليها العائذات لألهتهم. والجسد: الدم اللائق.

«والمؤمن العائذات»، يعنى الله تبارك وتعالى أمنها أن تهاج أو تصاد في الحرم
 والعائذات: التي عاذت بالحرم. و«الغيل»: الشجر الملتف، وكذلك «السعد». وقال الأصمعي:
 لا يقال: الغيل هنا إنما هو عين الغيل والسعد، والغيل: ماء يجرى في أصل أبي قبيس،
 فيفسل فيه القصارون. وقوله: «مسخها»، أي يرون عليها، لا يهيجها أحد ولا يتفرها.

«ما قلت من سيبي» جواب قوله: «فلا لعمر الذي مسحت كعبته» وقوله: «فلا رفعت
 سوطي إلى يدي»، يقول: إذا فسلت يدي حتى لا أطبق رقع السوط، وإنما خص السوط؛ لأنه
 خفيف المحمل مع كثرة احتياجه إليه، لحت المطى في السفر، والنهوض إلى الغارة، ونحو
 ذلك.

«إلا مقالة أقوام» المعنى: ما قلت شيئاً مما أتوك به عنى، لكنهم قالوا مقالة شقيت بها
 عندك. وقوله: «قرعاً على الكبد»، أي اشتدت على مقاتلهم، وهتكت من أجلها، فكأنها
 قرعت كبدى بذلك.

أبو قابوس هو النعمان بن المنذر. ومعنى «أوعدني» هددني وزأر الأسد وزئيره: صوته
 ووعيده. يقول: وعيد النعمان لا تستقر معه نفسي ولا نظمن؛ هيبة له، كما لا تطيق ولا
 تسكن على زئير الأسد.

مهلاً فداء لك الأقوام كلهم وما أثمر من مال ومن ولد
لا تقذفتي بركن لا كفاء له وإن تأثفك الأعداء بالرقد
لما الفرات إذا هب الرياح له ترمى غواربه العبرين بالزبد
يمده كل واد مترع لجنب فيه ركام من الينبوت والخصد
يظل من خوفه الملاح معتصماً بالخبيزانة بعد الأين والنجد
يوماً بأجود منه سيب نافلةٍ ولا يحول عطاء اليوم دون غد^(١)

(١) «مهلاً فداء لك»، أي تثبت في أمري ولا تعجل علي. «وما أثمر من مال»، أي أكثر وأصلح، «لا تقذفتي بركن لا كفاء له»، أي لا ترميني بنفسك؛ فإنه لا مثل لك، وإنما ذكر الركن كناية عن الشدة والقوة؛ لأنه موضعها، «تأثفك»، أي اجتمعوا حولك واحتشوك، مثل الأثافي، متعاونين علي. و«الرفد»: أن يترافد عليه أعداؤه الذين وشوا به، أي يتعاونون عليه؛ فالأعداء على هذا أعداء النابغة. وفيه معنى آخر، وهو أنه يريد: لا ترميني بما لا أطيق منك، ولا يقوم إليه أحد، ولا يكافئك فيه أعداؤك، ولو أحاطوا بك متعاونين عليك.

«لما الفرات»، يقول: ليس هذا النهر في أكمل أحواله بأجود منك، والغوارب: الأمواج، وعبر الوادي: جانيه، مسمياً بذلك لأنه يسير إليهما. والزبد: ما يطرحه الوادي، إذا جاش مازة، واضطربت أمواجه.

(٢) «يمده كل واد»، أي يزيد فيه ويقويه. والمترع: المملوء، واللجب: المصوت؛ لشدة جريه وقوة سيله. والركام: ما تراكم بعضه على بعض، أي تراكب. والينبوت والخصد: نبتان، وقيل: الينبوت شجر الخروب، وقيل: الخضد: كل ما تكسر من الشجر وغيره. «يظل من خوفه»، أي من خوف الفرات؛ لاضطراب أمواجه، وشدة هولته. والمعتصم: المستمسك. والخبيزانة ها هنا: سكان السفينة، وقيل: هي المردى، وهو أيضاً من أعواد المركب. وكل خشبة ناعمة لينة فهي خبيزانة. والأين: الفترة والإعياء. والنجد: العرق والكرب. «يوماً بأجود منه» متصل بقوله: «لما الفرات»، والسيب: العطاء. والنافلة: الفضل، وكل شيء ليس بواجب وتطوع به فهو نافلة؛ وإنما خص النافلة ليبالغ في المدح؛ لأنه إذا أكثر

هذا الشاء فإن تسمع به حسناً

فلم أعرض - أبيت اللعن - بالصفد

ها إن ذي عذرة إلا تكن نفعت

فإن صاحبها مشارك الذكر^(١)

وقال النابغة يمدح النعمان ويعتذر إليه، ويهجو:

وقد حال هم دون ذلك شاغل مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

وعيد أبي قابوس في غير كتبه أتاني ودوني راكس فالضواجع^(١)

« من غير الواجب فهو أجدر أن يكثر من الواجب. «دون غد»، أي إذا أعطاك اليوم لم يمنع ذلك من إعطائك غداً عطية أخرى. والتقدير: لا يحول عطاؤه في اليوم دون عطائه في غد. «فإن تسمع به حسناً» أي تسمع بسماعه إياك قولاً حسناً، «أبيت اللعن»، هي تحية كانوا يحيون بها الملوك، ومعناه: أبيت أن تأتي من الأمور ما تدم به، وتلعن عليه. والصفد: العطاء جزاءً، ومثله الشكم، فعله: أصفدته إصفاداً. والصفد الاسم، ويقال: صفده يصفده، إذا أوثقه. وقوله: «فلم أعرض»، أي لم أمدحك، تعرضاً لعروفك، لكن اعتذاراً إليك، وإقراراً بفضلك. ها إن ذي عذرة: أي هذه معذرة إليك، وتبرؤ مما وشيت به عندك.

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٢ - ٣٩.

الشغاف: حجاب القلب ووعاؤه الذي يكون فيه، وهو أيضاً داء يأخذ تحت شراسيف الضلوع، في الشق الأيمن. يقول: لقد حال دون ما أنا عليه من الصباية والبكاء على الديار هم داخل فزادى ولايسه، وحل منه محل الشغاف الذي هو حجابيه، أو حل مني مكان هذا الداء. «تبتغيه الأصابع» أي أصابع الأطباء المعالجين.

«وعيد أبي قابوس» بين به سبب الهم الذي داخله، «في غير كتبه»، أي جاءني وعيده»

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها لخلي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه طوراً وطوراً تراجع
أتاني - أبيت اللعن - أنك لتني

وتلك التي تستك منها المسامع^(١)

= بي غير قدر الوعيد، وفي غير حقيقته، أي لم أكن بلغت ما يفضب علي فيه، ويوعدني من أجله. و«راكس»: واد. و«الضواجع»: جمع ضاجعة، وهي منحني الوادي ومنعطفه. يقول: أتاني وعيده على غير ذنب أذنته، فبت كالملدغ خوفاً منه ووهية، على أني ناء عنه، ويبي وبينهم راكس والضواجع، وكأنها نائية عن بلاد النعمان.

(١) «ساورتني»، أي وأثبني - والضئيلة: حبة دقيقة قد أتت عليها سنون كثيرة، فقل لحمها، واشتد سمها، والعرب تقول: رماه الله بأفعى جارية، أي راجعة من غلظ إلى دقة، والرقش: التي فيها نقط، سواد وبياض، «ناقع» ثابت.

«يسهد من ليل التمام»، أي يمنع النوم، وليل التمام: أطول ليالي الشتاء، وليل التمام أيضاً: الذي يطول على من قاساه، وإن قصر. والسليم: الملدغ؛ سمى بذلك على التفاؤل له بالسلامة والنجاة. وقوله: «لخلي النساء في يديه قعاقع» قال أبو عمرو: كان يفعل به ذلك لئلا ينام قيدب السم فيه. وقال الصقيل الأعرابي: إذا لدغ الرجل علقنا عليه الخلى سبعة أيام لتنفز عنه الحية وكان الخلى في الزمان الأول له جلاجل، يسمع صوته من المرأة إذا مرت به في الطريق، «من ليل التمام» كما يقال: صليت من الليل في الليل. وقيل: إنما سمس سليماً؛ لأنه أسلم لما به، والقعاقع: الحركة والصوت.

«تناذرها الراقون من سوء سمها»، أنذر نذر بعضهم بعضاً؛ لأنها لا تجيب راقياً، لنكارتها وشدتها، «تطلقه طوراً»، أي تخفف عنه مرة، ومرة تشتد عليه، وكذلك حال اللدغ، اللسان ١٢: ١٠١.

«وتلك التي تستك منها المسامع»، أي تلك الملامة التي أتتني عنك أصمت مسامعي؛ كراهة لسامعها. ومعنى «تستك»، أي تشتد وتضيق، فلا تسمع، وواحدنا نسمع، وهو الأذن. والسكك: ضيق الصاخ.

مقالة أن قد قلت سوف أتاله وذلك من تلقاء مثلك رافع
 لعمرى وما عمرى على بهين لقد نطقت بطلاً على الأقارع
 أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قرود تبتغي من تجادع
 أتاك امرؤ مستيطان لي بغضة له من عدو مثل ذلك شافع
 أتاك بقول هلهل النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصع
 أتاك بقول لم أكن لأقوله ولو كبلت في ساعدي الجوامع^(١)

(١) «مقالة» تبيين لقوله: «إنك لتني»، و«ذلك» إشارة إلى معنى الجملة؛ كأنه قال: وذلك القول رافع من تلقاء مثلك، أي يفزع من قبلك، ولم يرد أنه يروع من مثله خاصة، وإنما أراد أنه رافع عنه، ومن هو مثله من أهل السلطان والقوة.

«لعمرى»، قال بعضهم: لديني، والمعروف أن معناه البقاء، وإنما حُف بها لأنها بين كثرت في الاستعمال؛ فحلفت بها، ولم يكن قصده أن يقسم ببقائه. والبطل والباطل بمعنى واحد. وأراد بالأقارع بني قريع بن عوف، وهم من بني قيس، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان، وذكروا أنه يصف في شعره المتجردة.

ولا أحاول غيرها» أي لا أريد هجاء غيرها. والمحاولة المعالجة والمزاولة. ومعنى: «تجادع» تشاتم، وإنما استعاره من جدع الأنف، ونصب: «وجوه قرود» على الظم، ويجوز رفعها على القطع.

«مستيطان لي بغضة» أي مضمراً ساتراً، «مثل ذلك»، أي مثل ذلك الرجل المستيطان. والشافع: المعين، وأصله من الشافع، وهو الثاني؛ وإنما يريد أن هذا الرجل الذي وشى به من بني قريع له من أعداء، مثله ثان معين له على النابغة.

«هلهل النسج»، أي أتاك بقول ضعيف باطل، لم أكن لأقوله، بمنزلة الشوب المهلهل، وهو الذي نسج وخفف ولم يحكم، «كاذب»، أي مكذوب فيه. والناصع: الواضح البين، وأصل الناصع: الخالص البياض.

«ولو كبلت في ساعدي الجوامع»، أي لو كنت مجنوناً حتى أشد بالحديد ما قلت ما يفتك عني، «كبلت» أي جمعت وشدت؛ أخذته من الكبل وهو القيد. والجوامع الأغلال، والواحدة جامعة.

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثم ذو إمة وهو طانع
 بمصطحيات من لصاص وثيرة يزرن إلا سيرهن التدافع
 سما ما تباري الريح خوصا عيونها لهن رذايا بالطريق ودائع
 عليهن شعث عامدون لحجهم فهن كأطراف الحنى خواضع
 لكلفتني ذنب امرئ وتركته كذي العريكوي غيره وهو راع^(١)

(١) الريبة: الشك. والأمة والإمة: الدين والطريقة المستقيمة. يقول: حلفت فلم أترك
 لنفسك شكاً في صدقي، وحلفت وأنا لك طانع ذو دين واستقامة، فتخرجت من أن أكذب في
 يميني فأكون آتماً. وقيل: المعنى هل آثم وأنا أدين لك في طاعتك - يعني الملك.
 «مصطحيات»، يعنى الإبل؛ وإنما أقسم بها لأنها تصطحب في السير إلى الحج، فعظمها
 لذلك وأقسم بها. ولصاص وثيرة: مرضعان في بلاد بني تميم، والإل: جبل على بين الحاج، إذا
 وقفت بعرفة، «سيرهن التدافع»، أي هن معيبات فيسماصلن محاملاً من الجهد والإعيا،
 ويحتمل أن يريد أنهن يتراجعن في السير ويتدافعن لسرعتن وشدة سيرهن.
 السماء: طيور تشبه السماني، شديدة الطيران، شبه الإبل بها في سرعتها، والتفسير:
 يزرن إلا مسرعات مثل السماء في السرعة، تباري الريح، أي تعارضها لسرعتها، «خوصا
 عيونها» أي غائرة العيون من الجهد والعناء، والمعنى أنها تباري الريح في حال جهدها وغور
 عينيها، فكيف بها قبل ذلك؛ ويقال: إن غشور عين الناقة من صفات الكرم، والرذايا:
 الساقطة المعيبة التي لا تنبعث، فأخذت رجالها عنها وتركت. «ودائع»: قد استودعت
 الطريق، أي تركت فيه لإعبائها.

«عليهن شعث»، أي متغيرون من السفر، «كأطراف الحنى»، الحنى: القسي، يريد أنها
 ضامرة دقيقة من شدة السير والجهد معوجة، والحنى: القسي، وأحدثها حنية؛ سميت بذلك
 لأنها معطوفة الطرفين، فلذلك أوقع النايغة التشبيه بالأطراف مع أنها أرق ما في القسي.
 وقوله: «خواضع»، أي خواضع ذليلة من الجهد.
 «لكلفتني» جواب لقوله: «حلفت». والعري: ذاء بصيب الإبل، وقيل: هو قرح بشعر
 البعير، فإذا أرادوا أن يعالجوه كروا بعيراً آخر صحيحاً؛ فيبرأ ذلك البعير.

فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذب ولا حلفي على البراءة نافع
 ولا أنا مأمون بشئ أقوله وأنت بأمر لا محالة واقع
 فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
 خطاطيف حجن في حبال متينة قد بها أيد إليك نسوازع
 أتوعد عبداً لم يخنك أمانة وتترك عبداً ظالماً وهو ضالع!
 وأنت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف أعبيرته المتية قاطع^(١)

(١) «فإن كنت لا ذو الضغن عني مكذوب». الضغن: الحقد والعدواة. «ولا أنا مأمون»
 متعلق بقوله: «فإن كنت لا ذو الضغن». وليس بمستأنف.
 «فإنك كالليل». أي أنا في قبضتك حيث كنت وإن بعدت عنك، فأنت كذلك كالليل الذي
 يدركني ويشملي بظلامه أينما وجهت، وإنما خص الليل لأنه يلبس كل شيء، وكل شيء يسكن
 فيه، والنهار أيضاً يشمل كل شيء، ولكن بعض الناس ينتشر فيه ولا يسكن كسكونه في
 الليل. والمنتأى: الموضع الذي يتناهى فيه، أي يتقاعد. والنأى: البعد.
 الخطاطيف: جمع خطاف البئر، وهو مثل القعو الذي فيه البكرة، إلا أنه من حديد والقعو
 من خشب. والحجن: جمع أحجن وهو المعرج. والمتينة: القوية. «نسوازع». أي جوازب، يقوله:
 ضاقت الدنيا علي فكأنني في بئر، فأنا أجز بالخطاطيف إليك وأجذب، وهذا مثل، ضربه لقوة
 سلطانه، وإدراكه لظلمته؛ فيقول: كما أن ماء البئر يمكن لمن رامه أن يصل دلوا في حبال
 متينة على خطاطيف حجن، ثم جذبها إلى نفسه، كذلك يمكنك إدراكي وإن بعدت عنك؛
 لقوة سلطانتك وتمكن قدرتك من مطلوبك.
 «أتوعد عبداً» من الوعيد وهو التهديد. «ضالع». أي مائل عن الحق جانح.
 «وأنت ربيع»، أي أنت بمنزلة الربيع، وهو الغيث. ومعنى «ينعش» يجير ويرقع، ومنه
 سمي النعش.
 والسيب: العطاء. يقول: أنت سيب لأولياتك تنعشهم وترفعهم، وسيف على أعدائك تهلكهم
 وتستأصلهم، «أعبيرته المتية». يريد أنه يهلك أعداءه. فكأنه سيف استعارته المتية، تهلك به
 من بلغ أجله.

أبى الله إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع
وتسقى إذا ما شئت غير مصدر بزوراء في حافاتها المسك كاتع^(١)

وقال النابغة يعتذر للنعمان:

رأيتك ترعاني بعين بصيرة وتبعث حراسا علي وناظرا
وذلك من قول أذاك أقوله ومن دس أعدائي إليك المأبرا^(٢)

(١) «أبى الله إلا عدله ووفاءه»، يحتمل أن تكون الهمزة من قوله: «عدله ووفاءه» عائدة على اسم الله عز وجل، أي أبى الله إلا أن يعدل بين عباده، ويفي لهم بما وعدهم به، وأوعدهم به لمن الخير والشر والهما الثواب والعقاب، ويحتمل أن تكون الهمزة عائدة على النعمان، أي أبى الله إلا أن يعدل ويفي أي قد جعله كذلك، وخلفه للعدل والوفاء، «فلا النكر معروف»، أي ليس النكر كالمعروف في الجزاء والحكم عند الله عز وجل، وعند النعمان، «ولا العرف ضائع»، أي لا يضيع جزاؤه. والنكر: النكر، والعرف: المعروف.

«وتسقى إذا ما شئت غير مصدر»، هو في مذهب الدعاء وليس بخير، «غير مصدر»، أي غير مقلل، وقيل: غير ممنوع ولا مقطوع عليك. والتصريد: شرب دون الري. وبروي: «غير مصدر»، أي مقلل للشرب ولا قاطع له، والتقدير: وتسقى شرايا غير مصدر، وتسقى وأنت غير مقلل للشرب، والزوراء: كأس مستطيلة من فضة. وقيل: هي كأس مزورة على الشرب، أي مائلة عليهم. وقيل: هي دار بالخيرة للنعمان. «وحافاتها»: نواحيها، والكاتع: الداني بعضه من بعض، ويقال: أعوذ بالله من الكنوع، وهو الخضوع والدنو من المذلة.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٦٨ - ٧١.

ترعاني: تحفظني وتحوطني، لاهتمامك بأمرى، وحرصك على عقابي. «بعين بصيرة»، أي حديدة النظر إلى. والحراس: جمع حارس، وهو الرقيب.
«وذلك من قول أذاك أنني أقوله»، ولم يجب أنه قاله، ولو أوجب ذلك لم يكن لاعتقاره معنى، وإنما يريد الثمائم. والمأبرا: واحدا مشبرا ومأبورة ومؤبرة، أي قيمة.

فأليت لا آتيك إن جئت مجرماً ولا أتغني جاراً سواك مجاوراً
 فأهلى فداء لامرئ إن أتيتته تقبل معروفني وسد المفاقر
 سأكرم كلبي أن يربك نبهه وإن كنت أرعى مسحلان فحامراً
 وحلت بيوتي في يفاع ممنع تخال به راعي الحمولة طائراً
 تزل الوعول العصم عن قذفاته وتضحى ذراه بالسحاب كوافراً (١)

(١) «فأليت»، أي أقسمت لا آتيك وأنا مجرم حتى أعتبك وأرضيك، ويروي: «مجرماً»
 بالخاء المهملة، أي لا آتيك ومعنى حرمة من أنني أنا وائق بك. وقيل: معناه لا آتيك في شهود
 الحرم من خوفك، ولكني آتيك في شهود الحل وأنا آمن بأمانك، ويكون قوله أيضاً: «لا آتيك
 إن جئت مجرماً»، أي لا أجرم أصلاً ولم أذنب، فإن جئتك فلا آتيك مجرماً.
 «تقبل معروفني» أي قبل مدحي واعتذاري، والمفاقر من الفقر، والواحد مفقر على
 القياس، وقيل: هو جمع لا واحد له.

«سأكرم كلبي أن يربك»، أي سأكف عنك لساني وهجوي، وضرب الكلب مثلاً، وقوله:
 «وإن كنت أرعى مسحلان»، أي سأكف أذاي عنك وإن كنت مقبماً بهذا الموضع الممتنع. قال
 الأصمعي: وكان أهل هذا الموضع ليس للسلطان عليهم سبيل، وكان يقال لهم: لقاح،
 ومسحلان وحامر، واديان.

«وحلت بيوتي»، أي وإن حلت بيوتي في أمتع الموضع وأبعدها عنك بحيث أنا آمن،
 فأنا لا أهجوك ولا أشق عليك، واليفاع: ما أشرف من الأرض وأرتفع، والحمولة: الإبل التي
 يحمل عليها. وقوله: «طائراً»، أي من طوله وإشراقه يخال به الإنسان طائراً. يقول: ولو
 صرت في الموضع الشامخ الذي ترعاه الإبل فيراه الناظر من أسفله، فيحسبه طائراً من ارتفاعه
 وإشراقه. والشئ إذا كان فوق شرف رفيع رأيتته وأنت دونه صغيراً، وإذا كان في مستو من
 الأرض رأيتته عظيماً.

«تزل الوعول العصم عن قذفاته»، يعني أنه طويل في السماء ومشرف، فالوعول لا
 تثبت في نواحيه، والعصم: التي في أيديها وأرجلها بياض مع سواد، وقيل: سميت عصماً؛
 لأنها اعتصمت بالجبال وأمتنعت فيها. وقذفاته: نواحيه. وذراه: أعاليه. وكوافر: ملبسة
 مغطاة قد بلغت السحاب وتكثل عليها؛ وإنما يصف أنها مشرفة، فكأنها كفرت أنفسها
 بالسحاب، وتكثل عليها؛ لاشتماله عليها.

حذاراً على ألا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمئن حرائرا
أقول وإن شطت بي الدار عنكم إذا ما لقينا من معد مسافرا
ألكني إلى النعمان حيث لقيته فأهدى له الله الغيوث البواكرا
وصبحه فلج ولا زال كعبه

على كل من عادى من الناس ظاهرا
ورب عليه الله أحسن صنعه وكان له على البرية ناصرا
فألقيته يوماً ببير عدوه وبحر عطاء يستخف المعابرا^(١)

(١) «حذاراً»، أي لو حذلت في هذه المواضع المستنعة من أجل المحاذرة على أن تنال مقادتي وطاعتي. ويقال: أعطى فلان المقادة، إذا ألقى بيده واستسلم.
«شطت»، أي بعدت ونأت، «إذا ما لقينا من معد مسافراً»، أي مسافراً إلى بلادتي، يعني أنه يحمل من لقي من معد مسافراً، أي مسافراً إلى بلادك شكر النعمان والدعاء له على بعد دأره منه وتثأبه عنه.
«ألكني»، أي بلغ عني، واشتقاقه من الألوكة والمالكة، وهي الرسالة، «صبحه فلج»، أي أتاه صباحاً، والفليج: الظفر والغلبة على العدو. وكعبه: جده وذكروه وشرفه. «ورب عليه الله»، أي أتم وأصلح.
«ببير عدوه»، أي بهلكه. والمعابر: السفن التي يعبر فيها، «وبحر عطاء»، أي جواد كثير العطاء، «يستخف المعابرا»، أي يرمي بها بقوته واضطراب أمواجه.

وقال أيضاً يمدح النعمان ويعتذر إليه:

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب
فبت كأن العائدات فرشنتني هراساً به يعلى فراشي ويقشب
حلقت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولكنني كنت امرأ لي جانب من الأرض فيه مستراد ومذهب^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٧٢ - ٧٤.

«أبيت اللعن»، أي أبيت أن تأتي امرأ تلعن عليه، «وتلك التي أهتم منها وأنصب»، أي تلك العلامة جعلتني ذا هم وذا نصب، أي عناء ومشقة.
«فبت كأن العائدات»، أي كأنني لما اتصل بي عنك مضطجع على فراش قد عولس بالشوك؛ فأنا أقلمل عليه وأتقلب. والهراس: الشوك، وأحدثها هراسة. ومعنى «يقشب» يجدد ويتعاهد بالشوك، ويكون معناه أيضاً يخالط، وإنما ذكر العائدات، وهن الزائرات في المرض؛ لأنه جعل نفسه كالسقيم لشدة ما به من قبل النعمان.
الريبية: الشك. وقوله: «وراء الله»، أي ليس بعد اليمين بالله - عز وجل - للمرء مذهب، فينبغي لك أن تصدقه وتقبل اعتذاره.
«لئن كنت قد بلغت عني خيانة»، أي لئن بلغت عني أختان ودك وأكثر نعمتك؛ فالذي بلغك ذلك، ووشى به إليك أغش وأكذب، أي ذو غش وذو كذب. والواشي: النمام الذي يزين كذبه عندك.
«لي جانب من الأرض»، أي متسع وتمكن؛ وإنما يصف نهوضه إلى الغسانيين وتمكنه فيهم. والمستراد: الإقبال والإدبار. والمذهب: موضع الذهاب وإنما يصف بهذا سعة حاله وتمكنها.

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا
فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب؟
فإن أك مظلوماً فعبد ظلمته وإن تك ذا عتبي فمثلك يعتب^(١)

(١) «ملوك وإخوان»، يعني الغسانيين، وكان قد حل بهم حين فر من النعمان فأكرموه وقرّبوا منزلته.
«كفعلك في قوم»، أي فعل بي الغسانيون ما أوجب لهم مدحي وثباتي، كما فعلت أنت في قوم اصطنعتهم إلي، كما لا ترى من اصطنعته فيشكرك مذنباً في شكره لك.
«فلا تتركني بالوعيد»، أي لا تدعني كأنني بعير أجرب قد طلى بالقار، وهو القطران، يتحاماه الناس ويطرهونه عن إبلهم، لئلا يعديها بجريه، وإنما يريد أنه إن لم يعف عنه تحامته العرب، ولم يجرهك خوفاً من النعمان، فكان كالبعير الجرب الذي يتحاماه الناس، «كأنني إلى الناس»، أي كأنني في الناس، «مطلي به القار»، أي مطلي أجرب فيه القار أو عليه القار. السورة: المنزلة الرفيعة. وقوله: «يتذبذب»، أي يتعلق ويضطرب، وهنا مثل؛ وإنما يريد أن منازل الملوك دون منزلته، فكأنهم متعلقون دونه.
«فإنك شمس والملوك كواكب»، يعني أن منزلته من الملوك كمنزلة الشمس من الكواكب، فإذا ذكر ونشرت مآثره لم يذكر غيره معه؛ كما أن الشمس إذا طلعت لم ير معها كوكب.
«لا تلمه»، أي لا تصلح من أمره وتجميعه. والشعث: الفساد والتفريق. والمهذب: المنقى من العيوب المخلص، يقول للنعمان: إن لم تصبر للأخ والصديق على فساد يكون منه لم تبق لنفسك أخاً؛ إذ لا يخلو الإنسان من أن تكون فيه خصلة غير مرضية وضرب قوله: «أي الرجال المهذب؟» مثلاً لذلك، وإنما ألزمه أن يحق عنه ويفقر له ما وشي به عنده، «وإن تك ذا عتبي»، أي ذا رضاء ورجوع إلى ما أحب من عفوك فمثلك يعتب، أي أنت ومن كان مثلك آخذ بذلك لما فيه من الكرم، «فعبد ظلمته»، أي إن ظلمتني وأنا محتمل لذلك، كما يحتمل العبد ظلم سيده.

وقال النابغة أيضاً في الاعتذار:

فداء لامرئ سارت إليه بعذرة ربها عمي وخالي
ومن يغرف من النعمان سجلا فليس كمن يتبه في الضلال
فإن كنت امرأ قد سؤت ظنا بعبدك والخطوب إلى تبال
فأرسل في بني ذبيان فاسأل ولا تعجل إلى عن السؤال
فلا العمر الذي أثنى عليه وما رفع الحجيج إلى إلال
لما أغفلت شكرك فانتصحتني وكيف ومن عطائك جل مالي!
ولو كفى اليمين بفتاك خوفاً لأقردت اليمين من الشمال
ولكن لا تخان الدهر عندي وعند الله تجزية الرجال^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٥١.

«فداء لامرئ»: يعني النعمان. والعذرة: المذرة، ربها؛ يعني نفسه، ويحتمل أن يعني النعمان، السجل: الدلو المملوء، ضربها مثلاً للعطاء. يقول: من أعطاه النعمان عطية فقد حظي وفاز، وليس كمن ضل في طلبه وتحير، بعبدك؛ يعني نفسه. ومعنى قوله: والخطوب إلى تبال، أي إلى ابتلاء واختبار؛ يريد تبالو وتختبر ما بلغت عني فتعلم حقه من باطله، إن سؤت بهي ظناً فاسأل بني ذبيان عن ذلك لتبلو الأمر، وتقف على حقيقته، ولا تعجل إلى بالموجدة والسخط عن أن تسأل وتختبر، فلا عمر الذي؛ أراد فلا يعمر الذي يثنى عليه وهو الله عز وجل. والعمر: البقاء. وقوله: «وما رفع الحجيج»: يعني الإبل، حلف بها تعظيماً لها؛ لأنها تعين على الحج، وتقرب منه. والحجيج: جمع الحاج، والإلال: جيل عن يمين الإمام بعرفة، لأقردت اليمين من الشمال؛ أي لقطعت يميني فأقردتها عن أختها. «وعند الله تجزية الرجال»: أراد أن يقول: تجزية الناس فلم يمكنه.

وقال النابغة في الاعتذار: (١)

فكنت وما حاذرت من شر مدلج كأن لم أقل شيئاً ولم أتكلم
فمهلاً أبيت اللعن لا تأخذنتي بقليل امرئ يوماً من الحلم مصرم
ولا تنسين فينا نصيبك واذكرن تصلينا في العارض المتضرم
فلا العبد بالعبد الذي ليس معتباً ولا أنت بالرب الألد المصمم

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٨٦.

وقال النابغة في الاعتذار والمدح: (١)

تأويني بيملمة اللواتي تمنع النوم إذ هدأت عيون
كان الهم ليس يريد غيري ولو أمسى بها شتى هدون
وقال الشامتون هوى زياد لكل منية سبب مبین
حلفت بما تساق له الهدايا على التأويب يعصمها الدرین
ورب الراقصات بكل سهب بشعث القوم موعدها الحجون
لو اختانتك مني ذات خمس يميني لم تصاحبني اليمين
أتاني أن داهية نأدى على شحط أتاك بها ميون
فبت كأنتي حرج لعين نفاء الناس أودنف طعين

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٢١ - ٢٢٢.

زياد: اسم النابغة، هوى: هلك، مبین: ظاهر.

بما تساق له، يعني البيت. ويروي: «مين» يعني الله سبحانه وتعالى وقد تكون ما بمعنى من. يعصمها: يمسكها ويشدها ويقربها. والدرين: يس البهمي.

السهب: الواسع من الأرض، وجمعه سهوب، والراقصات هي الإبل السراع، يعني التي يجمع عليها، يقسم بها، ثم يخاطب النعمان بن المنذر بقوله لو اختانتك.

نأدى: شديدة. وميون: كذوب، والمين: الكذب.

وغرب يعني حدة ونشاطاً، «حطوط»: سريعة. ولجون: حرون، وهي البطيئة، واللجان في الإبل كالحران في الخيل.

أقلب أظهرأ أمرى بطونا	وهل تغني من الخوف الفنون
أغيرك معقلا أبيغي وحصناً	فأعيتني المعامل والحصون
فجنتك عارياً خلقاً ثيابي	على خوف تظن بي الظنون
ينخب بي الكميت قليل وفر	أذكر بالأمر واستعين
فألفيت الأمانة لم تخنها	كذلك كان نوح لا يخون
فداء ما تقل النعل مني	وما أحوى ولورغم الظنون
فما وخذت بمثلك ذات غرب	حطوط في الزمام ولا لجون
أبر بذمة وأعز جاراً	إذا جعلت عرى ملك تلين
بعثت على البرية خير راع	فأنت إمامها والناس دين
نكون رعية مادمت حياً	ونهباً بعد موتك ما تكون
وأنت الغيث ينفع ما يليه	وأنت السم خالطه البيرون ^(١)

(١) قال الأصمعي: الناس دين، أي الناس كلهم طائعون لك والدين ها هنا: الطاعة بالملك.

البيرون: هو سم قاتل، أو مزمع لا محالة، ينفع: أي ييل، الغيث: المطر.

وقال النابغة في الهجاء:

وكان يزيد بن سنان بن أبي حارثة يحش المحاش، على بني يربوع
بن غبظ بن مرة رهط النابغة، فتحالفوا على بني يربوع على النار،
فسموا المحاش؛ لتحالفهم على النار، ثم أخرجهم يزيد إلى بني عذرة
بن سعد، وكلهم يقول: إن النابغة وأهل بيته من عذرة، ثم من ضيبة،
فقال يزيد في ذلك يعير النابغة، ويعرض به:

إني امرؤ من صلب قيس ماجد لا مدع نسباً ولا مستنكر

وهي أبيات، فرد عليه النابغة فقال:

جمع محاشك يا يزيد فإنني أعددت يربوعاً لكم وقيما
ولحقت بالنسب الذي غيرتني وتركك أصلك يا يزيد ذميما
غيرتني نسب الكرام وإنما فخر المفاخر أن يعد كريما
حدثت على بطون ضنة كلها إن ظالماً فيهم وإن مظلوما
لولا بني عوف بن بهشة أصبحت بالنعف أم بني أبيك عقيما^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٠٢ - ١٠٣.

قال الأصمعي: المحاش أربعة أحياء من فزارة ومرة، يجتمعون فيقال لهم: المحاش. وقال
ابن الأعرابي: المحاش: الذين لا خير فيهم ولا غناء عندهم. «ولحقت بالنسب الذي غيرتني»،
يريد النسب الذي نفاه إليه، وعيره به، وذلك أن ابنة النابغة كانت تحت يزيد فطلقها، فقيل
لها: لم طلقتها؟ فقال: لأنه رجل من عذرة، فنفى النابغة انتسابه إليهم، وزعم أنه نسب يزيد،
إلا أنه تركه، وانتفى منه، وهو معنى قوله: «وتركت أصلك يا يزيد ذميما»، أي مذموماً.
وقوله «حدثت علي»، أي عطفت وضنة من قضاة، ثم من عذرة، «لولا بنو عوف»، يقول:
لولا هؤلاء لقتلت أنت وإخوتك، فتبقى أمك كأنها عقيم لم تلد قط. والنعف: أسفل الجبل.

وقال النابغة في الهجاء:

[قال أبو عبيدة]: لم أسمع كتعنيف النابغة في هذه القصيدة، وقد خرج من كلامه في الحسن والاستواء حتى كأنه يصف بعيراً، أو يذكر دياراً.

وكان سبب هذه القصيدة أن زرعة بن عمرو بن خويلد لقيه بعكاظ، فأشار إليه أن يشير على قومه بأكل بني أسد وترك حلقهم، فأبى النابغة الغدر، وبلغه أن زرعة يتوعدده، فقال يهجو:

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها يهدي إلى غرائب الأشعار
فحلفت يا زرع بن عمرو إنني ما يشق على العدو ضراري
أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني تحت العجاج فما شقت غباري
إنا اقتسمنا خطبتينا بيننا فحملت برة واحتملت فجار
فلتأتينك قصائد وليدفعن جيشاً إليك قوادم الأكوار^(١)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٥٤ - ٥٥.

«والسفاهة كاسمها»، أي معناها قبيح كقبح اسمها، «يهدي إلى غرائب الأشعار»، يعني أنه غير مشهور بالشعر ولا منسوب إليه، فالشعر غريب من قبله؛ إذ ليس من أهله.
«ما يشق على العدو ضراري»، أي ربما يشق. والضرار: الدنو من الشيء واللصوق به.

وقال النابغة في الهجاء:

فما أنا في سهم ولا نصر مالك ومولاهم عبد بن سعد بطامع
إذا نزلوا ذا ضرغد فعتائدا يغنيهم فيها نقيق الضفادع
قعودا لدى أبياتهم يشمدونها رمى الله في تلك الأنوف الكوانع^(١)

= يقول: أنا قري عزيز؛ فالعدو يكره مجاورتي له. وإنما يفخر بهذا على زرة بن عمرو.
«فما شقت غباري»، أي سبقتك في المفاخرة، وبعد ما بيني وبينك فلم تلحقني، ولا شقت غباري، وأصل هذا المثل في الفرس الجواد الذي يسبق الخيل، ويسلخ منها، فلا يلحق ولا يشق غباره. وعكاظ: أحد مواسم العرب. والمعجاج: القبار. وقال أبو عبيدة: معناه لم تشق غباري. بحملتك علي، ولكنك جئت عني، ولم تدخل في غباري.
«إنا اقتسنا خطتين»، هذا مثل، أي كانت لي ولك خطتان فأخذت أنا البرة، وأخذت أنت الفاجرة. والخطبة: القصة والحصلة. وإنما قال هذا لأن زرة دعاه إلى القدر بيني أسد ونقض حلفهم، فأبى ذلك، ولزم الوفاء والبر، ونسب زرة إلى الغدر والقجور.
«فلتأتينك قصائد»، توعد بالهجو والغزو إليه، «وليدفن جيشاً إليك قوادم الأكوار»، يريد أنهم يركبون الإبل، ويقودون الخيل، فيقول: هؤلاء الرجال الراكبون على قوادم الأكوار هم الذين يدفعون الجيش ويتعضونه تحرك، وواحد القوادم قادم، وهو من الرجل بمنزلة القربوس من السرج. والأكوار: الرجال.
(١) سهم ومالك: حيان من غطفان. ومولاهم» يريد ابن عمهم، وهو عبد بن سعد ابن ذبيان. وسهم ومالك هما ابنا مرة. يقول: لا أطمع في خير من قبل هؤلاء، ولا أرجو نصرهم، فكيف أترك حلف بني أسد وأحالفهم!
«إذا نزلوا ذا ضرغد»، أي لا أطمع في نصر هؤلاء إذا نزلوا هذا الموضع. وضرغد: حرة وعتائد: عقبة، «يغنيهم فيها نقيق الضفادع»، يعني أنهم نازلون بالحرار لذلهم وقتلهم؛ فالضفادع تغنيهم فيها، ومياه الحرة فيها الضفادع، النقيق: الصوت.
«قعودا لدى أبياتهم»، أي لا يكادون يفارقون البيوت ولا يخرجون لغارة، لضعفهم»

قال عامر بن الطفيل للتابعفة في قصة:

ألا من مبلغ عني زياداً غداة القاع، إذ أرف الضراب

وهي أبيات، فلما بلغ هذا الشعر شعراء بني ذبيان أردوا هجاءه،
وانتمروا له، فقال لهم التابعفة: إن عامرا له نجدة وشعر، ولسنا بقادرين
على الانتصار منه، ولكن دعوني أجبه، وأصغر إليه نفسه، وأفضل
إليه أباه وعمه، فإنه يرى أنه أفضل منهما، وأعمير، بالجهل، فقال:

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مظنة الجهل الشباب

فكن كأبيك، أو كأبي براء توافقك الحكومة والصواب^(١)

«وقلتهم. يتمدونها: أي يلحون في مسألتها، أي يقيمون بها ولا يخرجون في طلب الرزق،
فكانهم يسألون السيوت ويستترزقونها، «رسم الله في تلك الأثوف»، أي قطعها الله
واستأصلها؛ والكوانح: المتطامنة الذليلة؛ ونسب الذل إلى أتوقهم، وهو يعنيهم بذلك، كما
تنسب العزة إلى الأثف، والمقصود صاحبه، ديوان التابعفة الذبياني، ص ٨٧ - ٨٨.

(١) ديوان التابعفة الذبياني ص ١٠٩ - ١١٠.

(عامر هذا هو عامر بن الطفيل العامري)، «فإن مظنة الجهل الشباب»، يريد أن الشباب
مقرون به الجهل، ملازم له. ومظنة الشيء: الأمر الذي لا يكاد يطلب فيه إلا وجد به؛ وهو
مشتق من الظن، أي حيث يظن أنه لا يفارقه. ويروي: «السباب»، يريد إنما يعلم الجاهل
ويتبين جهله عند سب غيره.

«أو كأبي براء» هو عامر بن مالك ملاعب الأستة، وهو عم عامر بن الطفيل ابن مالك.
والحكومة: الحكم.

ولا تذهب بحلمك طاميات من الخيلاء ليس لهن باب
فإنك سوف تحلم أو تناهى إذا ما شبت أو شاب الغراب
فإن تكن الفوارس يوم حسى أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من نسب بعيد ولكن أدركوك وهم غضاب
فوارس من منولة غير ميل ومرة، فوق جمعهم العقاب^(١)

* * *

(١) المرتفعات، يقال: طما الماء، إذا علا وارتفع. والخيلاء: التكبر والبطر. وقوله:
«ليس لهن باب»، أي لا آخر لهن ولا منتهى.
«إذا ما شبت أو شاب الغراب»، أي لا تكون حليماً، ولا تنتهي إلى ما أنت عليه من
الجهل، حتى يشيب الغراب، أي لا تحلم أبداً كما أن الغراب لا يشيب، وإنما هذا هزؤ منه به،
وذم.
«فإن تكن الفوارس يوم حسى»، يعني يوماً كان لبني ذبيان على عامر، قتل فيه أخوه
حنظلة بن الطفيل.
«فما إن كان من نسب»، يقول: لم يكن ما نعتت منهم أنهم لم يكونوا من عشيرتك،
لكنهم كلهم من قبس عيلان؛ ولكنك أغضبتهم فعاقبك.
«من منولة»، قال ابن الأعرابي: منولة امرأة من تغلب، وهي أم مازن وشمخ، ابني قزارة
بن ذبيان. ومرة: هو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان. وميل: جمع أميل، وهو الذي لا
يستوي على السرج إذا ركب. والعقاب: الراية.

وقال أيضاً بهجو يزيد بن عمرو بن الصعق، وكان قد استاق غنماً لهم، وعصافير كانت للنعمان بن المنذر ترعى بذي أبان، فقال النابغة بهجوه: (١)

لعمرك ما خشيت على يزيد من الفخر المضلل ما أتاني
كأن التاج معصوباً عليه لأذواد أصبن بذي أبان
فحسبك أن تهاض بمحكمات يمر بها الروى على لساني
فقبلك ما شتمت وقاذعوني فما نزر الكلام ولا شجاني
يصد الشاعر الشبان عني صدود البكر عن قرم هجان
أثرت الغي، ثم نزعته عنه كما حاد الأزب عن الظعان
فإن يقدر عليك أبو قبيس تمط بك المعيشة في هوان (٢)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١١١ - ١١٢.

(٢) «كأن التاج معصوباً عليه»، يقول: كأنها عقد التاج عليه، وعصب برأسه، وأبان: جبل، والذود: ما بين الثلاث إلى العشرة، تهاض: تغزى وتذل، الروى: حرف القافية، قاذعوني: هاجرتني وشاقوني.

الشبان والشبان: الذي دون البداء، والبيداء: السيد القرم: الفحل الكريم من الإبل، والهجان: الإبل البيض؛ جعل نفسه كالفحل الكريم، وجعل يزيد بن عمرو العامري كالبكر من الإبل، لأنه لا يقاومه في الهجاء، كما لا يقاوم البكر القرم، ولا يطيقه.

والأزب: الكثير شعر الحاجبين والأشفار، والظعان: جبل اليهودج.

أبو قبيس: هو النعمان بن المنذر، وكنيته أبو قاهوس، ولجميع الجوف: حالصه، وقيل: طريه؛ يعني الدم، والآتى: الشديد الحرارة، ويقال: هو الذي بلغ إناه، أي وقته.

وتخضب لحية غدردت وخانت بأحمر من نجيع الجوف أنى
وكنت أمينه لو لم تخفه ولكن لا أمانة لليمانى (١)

وقال النابغة يهجو النعمان بن المنذر: (٢)

حدثوني بني الشقيقة ما يد نع فقعا بقرقر أن يزولا
لا أرى الفارس المدجج فيكم آل نصر ولا الفتى البهلولا
جمعوا من نوافل الناس سيباً وحميراً موسومة وخيولا
وبراذيسن كابييات وأتناً وخناذيد خصية وفحولا
لا أرى حاجزاً عن الفحش فيهم وحصاراً عن أمه مشكولا

(١) «ولكن لا أمانة لليمانى»: إنما قال ذلك لأن بعض بني عامر مما يلي اليمن، وكل من كان يلي اليمن فهو يمان عند العرب.
(٢) الشقيقة بنت أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، وهي جدة النعمان. الفقع: الكفاة البيضاء الرخوة التي تنبت على وجه الأرض، وهي توطأ وتقطعها الغنم بأطلاقها، يقال في مثل يضرب للذل: «إنه لأذل من فقع بقرقر»، والقرقر المستوى من الأرض.
المدجج: الشاك في السلاح. ونصر: جد النعمان الأكبر. والبهلول: هو الظريف الشمانل.
نوافل الناس: عطاياهم وغانائمهم، «موسومة» عليها سمات.
كابييات: تكيو وتمشر، الواحد كاب، والأنثى كابية. والخناذيد: الكرائم من الخيل؛ يقال: خناذ وخناذد. وخصية: جمع خصي.
الريذة: الحرقلة التي يمسح بها الصانع ويبلو بها الحلى. والريذة: التي يطفى بها البعير وكل شيء يشبه بها، يقال للرجل إذا لم يكن عنده خير: ما أنت إلا ريذة من الريذ.

قد رأينا مكان أمك إذ تم - نع من درة اللقوح الفصيلا
لعن الله ثم ثنى بلعن - ريدة الصائغ الجبان الجهولا
من يضر الأذنَى ويعجز عن - ضرا الأفاصي ومن يخون الخليلا
يجمع الجيش ذا الألو ف يغزو - ثم لا يرزأ العدو فتिला

الفصل الرابع
زهيو بن أبي سلمى

أما زهير بن أبي سلمى^(١) فالناس ينسبونه إلى مزينة، وإنما نسبه
في غطفان، وليس لهم بيت شعر ينتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب
بن زهير، وهو قوله:

وهم الأصل منى حيث كنت وإنتى من المزينين المصفين بالكرم

وقيل: هو مزني ولد في بنى غطفان، وانضم إليهم.

ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحد من القحول في الجاهلية ما
اتصل في ولد زهير، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير.

وكان زهير راوية أوس بن حجر.

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال^(٢) أنشد ربي لأشعر شعرائكم،
قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاقل

(١) «سلمى» بضم السين، وليس في العرب «سلمى» بالضم والقصر غيره، الشعر
والشعراء. ١٣٧/١ - ١٥٣، طبقات الشعراء، ص ٢٥ الأغاني ٩ / ١٣٩ - ١٥١، خزنة
الأدب ١ / ٣٧٥ - ٣٧٧.

(٢) الأغاني ٩ / ١٤٠، الشعر والشعراء. ١ / ١٣٧.

بين القول، ولا يتبع حوشى الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه. وهو القائل (١):

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية من المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كل طلق مبرز سبوق إلى الغايات غير مخلد
فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد المرء ليس بمخلد

وكان قدامة بن موسى عالماً بالشعر، وكان يقدم زهيراً ويستجيد قوله:

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقاً
من يلق يوماً على علته هرماً يلق السماحة فيه والندى خلقاً (٢)
قال عكرمة بن جرير: قلت لأبي: من أشعر الناس؟ قال: أجاهلية أم
إسلامية؟ قلت: جاهلية: قال: زهير، قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق،
قلت: فالأخطل؟ قال: الأخطل يجيد نعت الملوك ويصيب صفة الخمر،
قلت له: فأنت؟ قال أنا نعت الشعر نحرأ.

(١) ديوان زهير ص ٢٣٤ - ٢٣٦، الشعر والشعراء، ١/١٣٨.
(٢) ديوان زهير ص ٤٩ - ٥٣، الأغاني، ٩/١٤٤، خزنة الأدب، ١/٣٧٦.

قال عبد الملك لقوم من الشعراء: أي بيت أمدح؟ فاتفقوا على بيت
زهير:

تراه إذا ما جنته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

قيل لخلف الأحمر: زهير أشعر أم ابنه كعب؟ قال: لولا أبيات زهير
أكبرها الناس لقلت إن كعباً أشعر منه، يريد قوله:

لمن الديار بقنسة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

ولأنت أشجع من أسامة إذ دعى النزال ولج في الذعر

ولأنت تفرى من خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر^(١)

وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره. وبدل شعره على إيمانه بالبعث.
وذلك قوله:

يؤخر قيودع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وشبه زهير امرأة في الشعر بثلاثة أوصاف في بيت واحد فقال:

تنازعت ألها ودر الـ بحور وشاكت فيها الطباء

(١) ديوان زهير ٨٦، ٦٩، ٩٤، ٩٥، الأغانى ١٦٤/٥، الشعر والشعراء ١٣٩/١.

ثم قال ففسر:

فأما ما فوق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء

وأما المقلتان فمن مهاة وللدن الملاحاة والصفاء

وقال بعض الرواة: لو أن زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلى

أبي موسى الأشعري ما زاد على ما قال:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء^(١)

يعنى يميناً أو مناقرة إلى حاكم يقطع بالبينات أو جلاء، وهو بيان

ويرهان يجلو به الحق وتتضح الدعوى.

ومما يتمثل به من شعره:

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى معادنها النخل

ويستحسن قوله:

يطعنهم ما ارتقوا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

(١) لسان العرب ١٨ / ١٦٣، ٧ / ٨٤، ١٠ / ١٥٥، ديوان زهير ص ٧٥، الشعر

والشعر، ١ / ١٤٠.

ويستحسن أيضاً قوله:

هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فينظلم^(١)

قد سبق زهير إلى هذا المعنى، لا يتازعه فيه أحد غير كثير، فإنه
قال يمدح عبد العزيز بن مروان:

رأيت ابن ليلى بمتري صلب ماله مسائل شتى من غنى ومصرم

مسائل إن تويت لديه تميد بها يداه، وإن يظلم بهما يتظلم

المصرم: القليل المال.

أدرك ابننا زهير كعب ويحجى الإسلام، وأتى بحجى النبى صلى الله
عليه وسلم فأسلم، فكتب إليه كعب: (٢)

ألا أبلغا عنى بحجيرا رسالة فهل لك فيما قلت يا خفيف هل أنا

سقيت بكأس عند آل محمد فأتهلك المأمون منها وعلكا

فخالفت أسباب الهدى وتبعته على أى شئ ويب غمرك دلكا

(١) لسان العرب ١٥ / ٢٧٠، ١٧ / ١٤٤.

(٢) سيرة ابن هشام ص ٨٨٧ - ٨٩٣، الأغاني ١٥ / ١٤٢ - ١٤٣، الشعر والشعراء،

١ / ١٤١.

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره هذا ، فتوعده ونذر دمه .
فكتب بجير إلى كعب يخبره بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل
رجلاً ممن كان يهجوّه ، وأنه لم يبق من الشعراء الذين كانوا يؤذونه إلا
ابن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وقد هربا منه ،
فإن كانت لك في نفسك حاجة فاقدم عليه ، فإنه لا يقتل أحداً أتاه
تائباً ، وإن أتت لم تفعل فأنج بنفسك . فلما ورد عليه الكتاب ضاقت
عليه الأرض برحبها ، وأرجف به من كان بحضرته من عدوه . فقال
قصيدته التي أولها :

* بانث سعاد فقلبي اليوم متبول *

وفيها قال :

نبئت أن رسول الله أوعدني والعقو عند رسول الله مأمول

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وأنشده
شعره ، فقبل تويته وعفا عنه ، وكساه برداً ، فاشتراه منه معاوية
بـعشرين ألف درهم ، فهو عند الخلفاء إلى اليوم .

وكان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب، شاعر، ولقبه «المضرب»^(١) وذلك أنه شبيب بامرأة من بنى أسد. فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فسمى «المضرب». وولد لعقبة العوام، وهو شاعر.

فهؤلاء خمسة شعراء فى نسق: العوام بن عقبة بن كعب بن زهير بن أبى سلمى، وكان أبو سلمى أيضاً شاعراً. وهو القائل فى خاله أسعد المرى وابنه كعب بن أسعد، وكان حمل أمه وفارقها: ^(٢)

لتصرفن إبل محببة من عند أسعد وابنه كعب

الأكلين صريح قومهما أكل الحبارى برعم الرطب

وقال عمر لابن عباس: أتشدنى لشاعر الشعراء، الذى لم يعاظم بين القوافى، ولم يتبع وحشى الكلام، قال: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير. فلم يزل يتشده إلى أن برق الصبح.

وكان زهير أستاذ الحطيثة. وسئل عن الحطيثة فقال: ما رأيت مثله

(١) تاج العروس ١/ ٣٥٠، الشعر والشعراء ١/ ١٤٢، الأغاني ٩/ ١٥١، خزائن الأدب ٤/ ١١.

(٢) الأغاني ٩/ ١٤٠، الشعر والشعراء ١/ ١٤٣.

فى تكفيه على أكشاف القوافى، وأخذه بأعنتها حيث شاء، من
اختلاف معانيها، امتداحاً وذمماً. قيل له: ثم من؟ قال: ما أدري، إلا
أن ترانى مسلنطحاً واضعاً إحدى رجلى على الأخرى راقعاً عقيرتى
أعوى فى أثر القوافى.

قال أبو عبيدة: يقول من فضل زهيراً على جميع الشعراء: إنه أمدح
القوم وأشدهم أسر شعراً. قال: وسمعت أبا عمرو بن العلاء يقول
الفرزدق يشبه بزهير وكان الأصمعى يقول: زهير والحطيئة وأشباههما
عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا به مذهب المطبوعين.

قال وكان زهير يسمى كبر قصائده «الحوليات»^(١).

وكان جيد شعره فى هرم بن سنان المرى. وقال عمر رضى الله عنه
لبعض ولد هرم: أنشدنى بعض ما قال فيكم زهير، فأشده، فقال: لقد
كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل!
فقال عمر رضى الله عنه: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

(١) الخزانة ١ / ٣٧٦، الشعر والشعراء ١ / ١٤٤.

ومما سبق إليه زهير فأخذ منه قوله يمدح هرماً:

هو الجواد الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيظلم

أى يسأل ما لا يقدر عليه فيتحمله. أخذه كثير، فقال:

رأيت ابن ليلى تعترى صلب ماله مسائل شتى من غنى ومعدم

مسائل إن توجد لديك تجديها يداك، وإن تظلم بها تتظلم

وقال زهير: (١)

كما استغاث بسئ فز غيطة خاف العيون فلم ينظر به الحشك

السئ: اللبن فى الضرع. والفز: ولد البقرة. والغيطة: البقرة.
والحشك: الدرة. أخذه الطرماح فقال:

بادر السئ ولم ينتظر تبه فيقات العيون التيام

تبه: تحرك العروق. الفيقة: مثل الفواق.

(١) ديوان زهير ص ١٧٧، لسان العرب ١٢ / ١٩٣.

وقال زهير يصف ظبية أكل ولدها السبع^(١):

أضاعت قلم تغفر لها غفلاتها فلاقته بياناً عند آخر معهد^(٢)

دماً عند شلو تحجل الطير حوله ويضع لحام في إهاب مقدد^(٣)

وقال الجعدي^(٤):

ولاقته بياناً عند أول معهد إهاباً ومعبوطاً من الجوف أحمر

* * *

ومما سبق إليه زهير فلم ينازع فيه قوله:

فإن الحق مقطعه * البيت. يريد أن الحقوق إنما تصح بواحدة من هذه
الثلاث: يمين أو محاكمة أو حجة بيينة واضحة. وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه إذا أنشد هذا تعجب من معرفته بمقاطع الحقوق.

ومن ذلك قوله:

(١) الديوان ٢٢٧، الشعر والشعراء ١ / ١٤٦.

(٢) ثعلب: «فلاقته بياناً: استبانته. الجلد والدم هو الذي بين لها، عند آخر موضع
هدهده فيه».

(٣) ثعلب: «دماً: رد على بيان. شلو: بقية الجسد. ويضع: جمع بضعة. لحام: جمع
لحم. إهاب: جلد، والجمع أهاب. ومدد: مخرق ومشقوق. تحجل الطير حوله: أكله الذئب ما أكل
رأسه شئ تحجل الطير حوله».

(٤) الجعدي: هو النابغة الجعدي. المعبوط: من العبط، وهو النحر أو الشق.

يطعنهم ما ارموا حتى إذا اطعنوا

ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فجمع في بيت واحد صنوف القتال.

ومن ذلك قوله: (١)

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخبير من ستر

ومما يستجد له: (٢)

وذي نعمة تممتها وشكرتها وخصم يكاد يغلب الحق باطله
دفعت بمعروف من القول صائب إذا ما أضل الناطقين مفاصله
وذي خطل في القول يحسب أنه مصيب فما يلصم به فهو قائله
عبأت له حليماً وأكرمت غيره وأعرضت عنه وهو ياد مقاتله
وذي نسب ناءٍ بعيد وصلته بمالٍ، وما يدري بأنك وأصله (٣)

(١) الديوان ٩٥.

(٢) الديوان ١٣٨ - ١٤٣.

(٣) قال الأعلام: «يعنى أنه وصل قوماً فوصلوا غيرهم من صلته، فكان هو سبب ذلك الوصل وهم لا يعرفون ذلك. وإنما قال هذا إشارة إلى كثرة معرفته وسعة إفضاله».

وأبيض فياض يدها غمامة على صعتفيه ما تغب نوافله^(١)
غدوت عليه غدوة فوجدته قعوداً لديه بالصريم عواذله^(٢)
يفدينه طوراً وطوراً يلمنه وأعبيا فما يدرين أين مخاتله
وأعرضن منه عن كريم مرزا جموع على الأمر الذي هو فاعله^(٣)
أخى ثقة ما تذهب الخمر ماله ولكنه قد يذهب المال نائله^(٤)
تراه إذا ما جنته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومن ذلك قوله، ويقال إنه لولده كعب^(٥):

وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لرحل حظه الله حاصل^(٦)
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل

(١) الشعر والشعراء ١ / ١٥٠.

(٢) الصريم: الصبح، أو جمع صريمة، وهي القطعة من الرمل تنقطع من معظمه. والأول أجود، قالوا: لأنه يسكر بالليل وإذا صحا من سكره لامته العواذل على إنفاق ماله.

(٣) مرزا: يصاب منه الخير ويرزأ ماله. جموع على الأمر: ماض عليه مجمع الرأي.

(٤) الشعر والشعراء ١ / ١٥٠.

(٥) هما ثابتان لزهير في ديوانه، ختام قصيدة قالها في شأن سنان بن أبي حارثة المري

٢٩٢ - ٣٠٠.

(٦) نعلب: يقول: من لم يركب الهول في مودة أخيه لم يدرك بغيته، وليس لمن وضعه

الله ارتفاعاً.

ومن ذلك قوله: (١)

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأتدية ينتابها القول والفعل (٢)
على مكثريهم رزق من يعثريهم وعند المقلين السباحة والبذل (٣)
سعى بعدهم قوم لكبي يدركوهم فلم يبلغوا ولم يليموا ولم يألوا (٤)

وأخذ العلماء عليه قوله يذكر الضفادع:

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع يخفن الغم والفرقا (٥)
وقالوا: ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغم والفرق، وإنما
ذلك لأنهن يبضن في الشطوط.

(١) الديوان ١١٣ - ١١٤.

(٢) المقامات: المجالس، وأراد أهلها. ينتابها القول والفعل: يقال فيها الجميل ويفعل

عن ثعلب.

(٣) يعثريهم: يطلب منهم.

(٤) يليموا: لم يأتوا ما يلامون عليه.

(٥) الديوان ٤٠. الشربات: حياض تحفر في أصول النخل من شق واحد فتملأ ماء،

وأحدتها شربة بفتححتين. الطحل: الكدر.

وأخذ عليه قوله:

ثم استمروا وقالوا: إن مشربكم ماء بشرقي سلمى فيد أوركك^(١)
وقال الأصمعي: سألت بجنبات فيد عن الركك؟ فقالوا لي: ما هنا
«ركك» ولكن «رك» فعلمت أن زهيراً احتاج فضعف.

* * *

وكعب القائل: (٢)

ومن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما توى كعب وفوز جرول
يقول فلا يعبا بشئ يقوله ومن قائلها من يسئ ويعمل
يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنها كل ما يتمثل
كفيتك لا تلقى من الناس شاعراً تنخل منها مثل ما أتنخل^(٣)
وسمعه الكمييت فقال في قصيدة له:

وما ضرها أن كعباً توى وفوز من بعده جرول^(٤)

(١) ديوان زهير ص ١٦٧، لسان العرب ١٢ / ٣١٨، معجم البلدان ٤ / ٢٧٩، الشعر
والشعر ١ / ١٥٢.

(٢) الأغاني ٣ / ٤٤، ١٥ / ١٤٠، خزائن الأدب ١ / ٤١١، لسان العرب ٧ / ٢٦٠،
الشعر والشعراء ١ / ١٥٣.

(٣) الإصابة ٢ / ٦٣، لسان العرب ١٨ / ١١٤، ١٨ / ١٣٧.

(٤) لسان العرب ٧ / ٢٦٠، ١٣ / ١١٤.

وكان زهير أجزل الشعراء لفظاً، وأوجزهم قولاً، وأصدقهم مدحاً،
وأشرفهم حكمة، وأبعدهم عن سخف الكلام^(١)

وكان زهير يقتفى في شعره أثر أستاذه أوس في الوصف والتشبيه،
كما كان يتأدب بأدب خاله بشامة بن الغدير، وكان بشامة رجلاً مقعداً
حكيماً سديد الرأي وافر المال، وكان - كما يقال - أشعر غطفان في
أيامه.

ولا يذكر زهير في شعراء الجاهلية إلا ذكرت معه الروية والرزانة
والحكمة، فأظهر ما يتصف به زهير عند الرواة أنه كان كتلميذه
الخطيئة من عبيد الشعر، ويعنون بهذا أنه كان بطيئاً في قوله يروي،
وينقع، ويعاود قوله بالصقال والتهذيب، ويعيد النظر بعد النظر، حتى
يظهره للناس، ولذلك نسبوا إليه قصة «الحوليات» ليظهروا رويته
وأناته في تنقيحه، فقالوا إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر،
ويهدبها في أربعة، ويعرضها على أخصائه في أربعة، وكان الأصمعي
يقول: زهير والخطيئة وأشباههما من الشعراء «عبيد الشعر» لأنهم
نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين.

وقد اشتهر زهير بمداثحه لهرم بن سنان لأنه كان شديد الحب له
وكان هرم يبسه ويجزل له العطاء حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه،

(١) نصوص ص ٣٤ - ٣٥.

ولا يسلم عليه إلا أعطاه، فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فكان إذا رآه في ملاء قال: عموا صباحاً غير هرم وخيركم استثنيت.

* * *

ويكاد الرواة يتفقون على أن زهيراً كان أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وهم امرؤ القيس، والنابغة الذبياني، وزهير، وإنما اختلفوا في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه، فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وينضاه كثير من الرواة على صاحبيه، ويقولون: إنه أنكمهم شعراً، وأبعدهم من سخط، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق.

وقد عده ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى، وهم امرؤ القيس، والنابغة، وزهير، والأعشى، وقد كان علماء البصرة يقدمون امرؤ القيس، وأهل الكوفة يقدمون الأعشى، وأهل الحجاز والبادية يقدمون زهيراً والنابغة. ويلاحظ أن زهيراً لم ينفحش في الهجاء، وقد عد قوله في آل حصن على سبيل التشكك والتجاهل.

وما أدري وسوف إخله أدوي أقوم آل حصن أم نساء

من أقوى ما هجا به.

على أن زهيراً قد امتلأ عن غيره من الشعراء بأن أضاف إلى معاني الجاهليين هذه الأمثال والحكم الشعرية التي اشتهر بها، كما

اشتهر النابغة بالاعتذار، وطرفة بالوصف، وابن كلثوم بالفخر، وهؤلاء
لم يقولوا في الحكمة أو بضرب المثل كما قال زهير فيهما.

والرواة يروون أبياتاً لزهير أخذها ممن عاصره، أو سبقه من الشعراء،
كما يروون أبياتاً لغيره من الشعراء أخذوها عنه.

ومن ذلك قول أوس بن حجر:

لعمرك إنا والأحاليف هؤلاء لفي حقة أظفارها لم تقلم
أخذه زهير، فقال:

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم
وقول طرفة:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
أخذه زهير، فقال:

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نوادر معصم
وأخذ عليه قوله:

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم
أي: أعلم ما مضى بالأمس، وما أنا فيه اليوم، لأنه شيء قد رأيت،

فأما المستقبل فلا علم لى به، لأنى لم أراه، وقد قالوا: إن قوله « قبله »
فى البيت لغو، لأنها لم تحصل معنى^(١)

وقيل: إن زهيراً كان راوية أوس بن حجر، وكان أوس راوية الطفيل
الغثوى وتلميذه، وروى عن زهير ابنه كعب، وعن كعب روى الحطيثة
وجميل وكثير^(٢)

* * *

وكان لأستاذيه أوس بن حجر، ويشامة بن الغدير أثر عظيم فى
تنمية جانب الحكمة، لينحوا بها نحواً أسمى وأجل، وهما اللذان عركا
الدهو وحلبا أشطره، وكان أولهما كثير التحدث فى مكارم الأخلاق
كما يقول ابن قتيبة، وكان ثانيهما معروفاً بصدق النظر وطول التجربة،
واستصفاً الرأى المسدد حتى لقد كان موضع مشورة قومه^(٣).

فكان لا بد له من أجل ذلك أن ينحوا بالحكم نحواً أسمى من
سابقه. فلم تكن حكمه حقائق مجردة فحسب، ولكنها حكم عامة قد
صيغت فى قالب من النصح والموعظة الحسنة، إذ يقوله فى المعلقة:

(١) شرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص ٨ - ١٨.

(٢) تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان ١ / ٩٥، فى الأدب الجاهلى، دكتور طه
حسين ص ٢٦٩.

(٣) نصوص ٦٢، ٦٣.

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطى يعمر فيهمم
 ومن لا يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
 ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
 ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
 ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
 ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء يسلم
 ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالى ركبت كل لهزم
 ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مظمتن البر لا يتجمجم
 ومن يغترب بحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
 ومن لا يزل يستحمل الناس أمره ولا يغنها يوماً من الدهر يسأم
 ولعلنا نلاحظ أنها أبرت على حكم الآخرين لأنها فى جملتها
 جمعت إلى الحقائق المجردة والتجربة الموعظة الحسنة والنصائح
 الغالية، فهى أشبه بدستور خلقى يضع للناس قواعد السلوك المثالى.
 وهذه الحكم من أهم ما تمتاز به المعلقة ولقد أحسن زهير اختيار
 الطرف المناسب كما يقول «نيكلسون» فقد انتهز فرصة الحرب

القائمة وأخذ يزجى هذه الحكم البالغة التي استوحاها من الموقف نفسه، ويقول «نيكلسون»: «إنها حكم توائم عصره وبيئته كل الموامة». وأقول: أنها توائم جميع الناس على اختلاف مشاربهم وبيئاتهم وعصورهم.

ولرب قائل يقول: إن زهيراً - على حصافة عقله وثقوب فكره - قد ناقض نفسه لأنه في حكمه يرسم للناس المثل الأعلى للخلق القويم وحسن المعاملة ثم ينقض ذلك بقوله:

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وهذا القائل قد نسي أن زهيراً كان يعيش في جوف هذه الجاهلية المظلمة وأنه لم يستطع - أن يتخلص من بيئته وما تأصل فيها من عادات، وما أصدق دريد بن الصمة حين يقول: (١)

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وإن في قول فريط بن أنسيف العنبري في هجاء قومه ما يجعلنا نوقن بأن عادة الظلم والطفغيان كانت موضع فخرهم وأن الصفا والمغفرة كانا سبة وعاراً وهاك قوله:

لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشرف في شيء وإن هاتا

(١) نصوص ٦٤ - ٦٥

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحساناً
كأن ربك لم يخلق لخشيتهم سواهم من جميع الناس إنساناً
فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا شنوا الإغارة فرساناً وركباناً
وقى هذا القول دليل واضح على أن المناجزة والبده بالعدوان كانا
موضع المفاخرة والتباهى وأن الدعة والمسالمة كانا سمة المهانة والمذلة.
والإسلام فى فجره لم يستل من نفوسهم هذا الحق الشائن، فقد هجا
النجاشى بنى العجلان بقوله:

قبيلته لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حية خردل

فهو يصفهم بالضعف والاستكانة وعجزهم عن ظلم الناس وقد
شعر، المهجورون بذلك وعدوه هجاء - مرأ يزرى بهم فاستعدوا عليه عمر
بن الخطاب ولكن عمر نظر إليه بروحه الإسلامية السمحة التى تمقت
الظلم فقال: « ما أرى ذماً فليت آل الخطاب كذلك » ولم يرفيه ، لذا
الروح المنكر المختفى تحت ألفاظه الذى ينشده الشاعر. والحق أن البيت
يعتبر مدحاً خالصاً وليس فيه هجاء ما . ولكنها الطبيعة الجاهلية.

ويمكن أن يقال فى تفسير هذا التناقض عند زهير: إنه ربما أراد
بهذا البيت التهكم بهم والتنديد بأخلاقهم الذميمة. فقال: إن من يروم
الغلبة والاستعلاء منهم لجأ إلى هذه العادة القبيحة وهى ظلم الناس.

وقد سبق لزهير أن اصطنع السخرية وسيلة للحث على الفضيلة والنهي
عن الرذيلة فقال يصف الحرب متهكماً:

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

ويمكن أن يقال أيضاً: إنه أراد أن يصف الحياة العربية الجاهلية
على حالها وهو منكر لما فيها من قبيح العادات.

ومن ظريف ما يذكر أن أحد شراح المعلقات يذكر أن العرب كانت لا
تعد الشاعر فحلاً حتى يأتي ببعض الحكمة في شعره، فلم يعدوا امرؤ
القيس فحلاً حتى قال: (١)

والله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل

ولم يعدوا التابغة فحلاً حتى قال:

نبئت أن أبا قابوس أوعدنى ولا قرار على زار من الأسد

ولم يعدوا زهيراً فحلاً حتى قال:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ولم يعدوا الأعشى فحلاً حتى قال:

والشعر قلدته سلامة ذافا نش والشئ حيشما جعللا

(١) نصوص ٦٦ - ٦٧.

ولو جاريتناهم في ذلك لوجب أن يسمى زهير « أفحل الفحول » لأن حكمه أغزر من حكمهم وأسمى.

ومن حسنات زهير أنه لا يجنح في مدحه إلى الغلو الممقوت، ولا يأتي بسفساف القول، بل يرغب عن ذلك ويحرص على الاقتصاد في القول والاعتدال في الثناء، فلا يمدح أحداً إلا بما هو فيه، وإذا وقع له شيء من الغلو جعل الشرط مانعاً مثل قوله في هرم:

لو نال حى من الدنيا بمنزلة وسط السماء لثالت كفه الأفقا

فلو الشرطية هنا أبعدت زهيراً عن السخف والكذب وأبقتته في حدود صدقه وورصانته^(١).

قال ابن سلام « من قدم زهيراً احتج بأنه كان أحسنهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من اللفظ وأشدهم مبالغة » فهذه المبالغة التي ذكرها ابن سلام تجعله يتتبع وصف ممدوحه بجميع الخلال الحميدة من كرم وشجاعة وحلم وطيب محنته وبلاغة في المنطق إلى آخر ما هنالك من الفضائل والصفات التي يفاخرون بها ويعدونها من شروط السيادة عندهم، وهو في تقصيه لهذه الصفات يبرأ من الكذب والغلو المذموم.

(١) نصوص ٧٤ - ٧٥.

وصاحب الصناعتين يعرض لنا في شيء من الإيضاح لمحة عن
مذهب زهير في مديحه فيقول: والجيد في المدح قول زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا

وإن يسألوا يعطوا وإن يبسروا يفلو^(١)

وفيهم مقامات حسان وجوههم

وأندية يتتابها القول والفعل^(٢)

فلما استتم وصفهم بحسن المقال وتصديق القول بالفعل وصفهم
بحسن الوجوه ثم قال:

على مكثريهم حق من يعتر بهم وعند المقلين السماحة والبذل^(٣)

قلم يخل مكثراً ولا مقلأ منهم من بر وفضل، ثم قال:

وإن جنتهم ألفت حول بيوتهم

مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل^(٤)

(١) استخبال المال: أن يسألهم شيئاً فيعطوهم إياه، يبسروا: يتقاسروا. يفلو: يختاروا
سمان الإبل.

(٢) المقامات والأندية: المجالس.

(٣) يعتر بهم: ينزل بهم.

(٤) الجهل: الحق.

فوصفهم بالحللم ثم قال:

وإن قام منهم قائم قال قاعد رشدت فلا غرم عليك ولا خذل^(١)
فوصفهم أيضاً بالتضافر والتعاون فلما أتاهم هذه الصفات
النفسية ذكر فضل آبائهم فقال:

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل يتبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل

فهو فى مديحه يأتى الصفات التى يشرف بها العربى والتى تتم
بها السيادة ولقد صدق عبيد الملك بن مروان حين سمع هذا البيت:

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبدل

فقال: ما ضر من مدح بهذا البيت ألا يكون يلى أمور الناس بهى
المخلاقه. وصدق الأحنف بن قيس حين قال فى زهير: إنه ألقى عن
المادحين فضول الكلام بقوله:

وما يك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

وما أشد إعجاب القدماء بهذه الأبيات التى يقول عنها ابن رشيق

(١) قائم: من يقوم بالحملة وهى الدية ويريد أى مغرم.

فى العمدة: (١) ومما قدم به زهير قوله:

لو كان يقعد فوق النجوم من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم «سنان» أبوهم حين تنسيهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنوا جن إذا افزعوا مرزأون بهاليل إذا جهدوا (٢)
محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا
وقد استطاع بحذقه لصناعته أن يودع كثيراً من المعاني فى قليل
من الألفاظ من غير تعقيد ولا التواء وتلك ظاهرة بارزة فى شعر زهير
كله.

وربما أعجبك من زهير تدقيقه فى معانيه واختيار اللفظ الملائم
للمعنى الملائم حتى ينجو من الغمز والظعن وأحب أن تقرأ له هذين
البيتين:

سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم قلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
فمايك من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل
روى صاحب زهر الآداب: أن النقاد قد أعجبوا بقوله: «ولم

(١) نصوص ٧٦ - ٧٩.

(٢) المرزأون: الكرام، البهلول: السيد الجامع لخصال الخير.

يألوا» لأنه لما ذكر السعى بعدهم والتخلف عن بلوغ مساعيهم جاز أن يترهم السامع أن ذلك لتقصير المطالبين في طلبهم فأخبر أنهم لم يألوا وأنهم كانوا غير مقصرين وأنهم مع الاجتهاد في المتأخرين. ثم لم يرض أن يجعل مجدهم طارفا فيهم ولا جديداً لديهم حتى جعله إرثاً عن الآباء وهؤلاء ورثوه عن آبائهم ثم يقول: وهذا لو تكلفه متكلف في المنشور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع الاختصار (١).

على أن أحداً لم يتحدث عن مديح زهير كما يتحدث عميد الأدب العربي حين قال: فإن أمر المدح عند زهير يسير أيسر جداً مما نظن وقد فهمه القدماء على وجهه أحسن فهم وأصدق.

ولعلك تذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحب مدح زهير لأنه كان مدحاً صادقاً لا يضيف إلى الرجل غير ما هو فيه ولأنه كان مدحاً خليقاً أن يبقى وأن يحفظه الناس لصدقه وارتفاعه عن السخف وبعده عن الإحالة وتوخيّه هذه الخصال التي يحبها الناس ويحبها العرب خاصة فالذين يمدحهم زهير قوم كرام أجواد لا ييخلون بالمال ولا يؤثرون به أنفسهم وإنما هم يهينونه ويؤثرون به عشائرتهم يشترون به سلم العشيرة ويشترون به راحة الضمير ويشترون به الحمد والشناء وهم شجعان لا يؤثرون أنفسهم بالعافية ولا ييخلون بحياتهم

(١) نصوص ٧٨ - ٨٠.

عند مواطن البأس لا يفرون مهما تكن الملمات ولا يحجمون مهما
يقدموا على الهول. وهم على ذلك كله ناس لا يخرجون عن طور
الناس. حتى حين يريد زهير أن يغلو ويلح في المدح فهو مهما يغل
يكره الإحالة وينفر من أن يقول غير الحق وانظر إلى هذا البيت فإنه
يلخص مذهب زهير في المدح أحسن تلخيص ويصدق فيه قول عمر
رحمه الله:

ولو أن حمداً يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس يخلد

وإذا لم يكن بد من أن تستعرض بعض هذا المدح فاقراً معنى هذه
الآبيات التي يمدح بها زهير حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري:

وأبيض فياض يدها غمامة على معتفيه ما تغب فواضله
بكرت عليه غدوة فرأيته قعوداً لديه بالصريم عواذله
يفدينه طوراً وطوراً يلمنه وأعيا فما يدرين أين مخاتله
فأقصرن منه عن كريم مرزاً عزوم على الأمر الذي هو فاعله
أخي ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جنته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

الفصل الخامس
طرفة بن العبد

أما طرفة^(١) فهو طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلاً،
وهو القاتل:

لحولة أطلال ببرقة ثمهد، وله بعدها شعر حسن، وليس عند الرواة
من شعره وشعر عبيد إلا القليل.

وكان في حسب من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم.
وكانت أخته عند عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبد عمرو سيد أهل
زمانه، فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير أن له غنى وأن له كشحاً، إذا قام، أهضما

وأن نساء الحى يعكفن حوله يقلن: عسيب من سرارة ملهما^(٢)

فبلغ عمرو بن هند الشعر، فخرج يتصيد ومعه عبد عمرو، فأصاب
حصاراً فعقره، وقال لعبد عمرو: انزل إليه، فنزل إليه فأعياء، فضحك
عمرو بن هند وقال: لقد أبصرك طرفة حين قال «ولا عيب» البيت!
وكان عمرو بن هند شريراً، وكان طرفة قال له قبل ذلك:

ليت لنا مكان الملك عمرو رغوثة حول قبتنا تخور^(٣)

(١) خزنة الأدب ١ / ٤١٢ - ٤١٧، معاهد التنصيص ص ١٦٤ - ١٦٦، الشعر
والشعر، ١ / ١٨٥، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١ / ٩٢.

(٢) سرارة الوادي: أفضل موضع فيه، اللسان ١٦ / ٤٢.

(٣) الرغوثة: الرضعة، ديوان طرفة ص ٦ - ٩، اللسان ٣ / ٤٥٨، الشعر والشعر،

١ / ١٨٦.

فقال عبد عمرو: أبيت اللعن، الذى قاله فيك أشد ما قال فى، قال:
وقد بلغ من أمره هذا؟ قال: نعم، فأرسل إليه، وكتب له إلى عامله
بالبحرين فقتله. ويقال إن الذى قتله المعلى بن حنش العبدى، والذى
تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلى، حى من طسم وجديس.

ومن جيد شعره قوله:

أرى قبر نحام بخيل بماله

كقبر غوى فى البطالة مفسد

أرى الموت يعتام الكريم ويصطفى

عقيلة مال الفاحش المتشدد^(١)

أرى الدهر كنزاً ناقصاً كل ليلة

وما تنقص الأيام والدهر ينفد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لكالطول المرخى وثنياء فى اليد^(٢)

(١) يعتام: يختار، عقيلة المال: أكرمه، الفاحش: البخيل، لسان العرب ٨ / ٢١٦،

١٥ / ٣٢٩.

(٢) الطول: الجبل الطويل، ثنياء: طرفاه، لسان العرب ٣ / ٤٢٨، ١٨ / ١٣٢.

وكان أبو طرفة مات وطرفة صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله،
فقال:

ما تنظرون بما ل وردة فيكم صغر البنون ورهبط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصيب
والظلم فرق بين حبي وائل بكر تساقبها المنايا تغلب
والصدق يألفه الكريم المرتجى والكذب يألفه الدنى الأخيب

ويتمثل من شعره بقوله:

وترد عنك مخيلة الرجل ال عريض موضحة عن العظم
بحسام سيفك أو لسانك، وال كليم الأصيل كأرغب الكلم^(١)
ويقوله:

لنا يوم وللكروان يوم تطير البائسات ولا تطير

الكروان: جمع كروان.

(١) العريض: الذي يتعرض الناس بالشر، الشعر والشعراء ١٨٧ / ٨.

ويقال إن أول شعر قاله طرفة أنه خرج مع عمه في سفر، فنصيب
فخاً، فلما أراد الرحيل قال:

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فبيضى واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري قد رفع الفخ فماذا تحذري
لا بد يوماً أن تصادي فاصبري

وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً، قتل وهو ابن عشرين سنة،
فيقال له «ابن العشرين»^(١). وكان يتادم عمرو بن هند، فأشرفت ذات
يوم أخته، فرأى طرفة ظلها في الجمام الذي في يده؛ فقال:

ألا يا بأبي الطيبى ال لذي يبرق شنفاه
ولولا الملك القاعد يد قد أثنى فاه^(٢)

فحقد ذلك عليه، وكان قال أيضاً:

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوئاً حول قبتنا تدور
لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير

(١) سبط الأكنى: ص ٣١٩، خزنة الأدب / ١، ٤١٤، ٤١٦، الشعر والشعراء، ١ / ١٨٨.
(٢) الشنف بفتح فسكون: الذي يلبس في أعلى الأذن، والقرط: في أسفلها، وقول: هم
سواء، الشعر والشعراء، ١ / ١٨٩.

وقابوس: هو أخو عمرو بن هند، وكان فيه لين، ويسمى قبينة العرس.
فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حوثة عامله على البحرين كتاباً
أوهمه فيه أنه أمر له بجائزة، وكتب للمتلمس بمثل ذلك.

وأما طرفة فمضى بالكتاب، فأخذ الربيع فسقاه الخمر حتى أثمته،
ثم فصد أكحلته، فقبره بالبحرين. وكان لطرفة أخ يقال له معبد بن
العبد، فطلب بديته، فأخذها من الحوثر^(١).

قال أبو عبيدة: مر لبيد بمجلس لنهد بالكوفة، وهو يتوكأ على عصا،
فلما جاوز أمروا فتى منهم أن يلحقه فيسأله: من أشعر العرب؟ ففعل،
فقال له لبيد: الملك الضليل، يعنى امرأ القيس، فرجع فأخبرهم، قالوا:
ألا سألته: ثم من؟ فرجع فسأله، فقال: ابن العشرين، يعنى طرفة، فلما
رجع قالوا: لبتك سألته: ثم من؟ فرجع فسأله، فقال: صاحب المحجن،
يعنى نفسه^(٢).

قال أبو عبيدة: طرفة أجودهم واحدة، ولا يلحق بالبحور^(٣)، يعنى

(١) الأغاني ٢٦ / ١٣٢.

(٢) الأغاني ١٤ : ٩٣، الشعر والشعراء ١ / ١٩٠.

(٣) «طرفة أجودهم، وأجد لا يلحق بالبحور» الجمعي ٣٠ «طرفة أجودهم واحدة، وهى قوله، فأشار إلى المعلقة. وقد قال فى أول الكلام: «الطبيعة الرابعة، وهم أربعة رهط فحول شعراء، مرضعهم مع الأوائل، وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة».

امراً القيس وزهيراً والنايفه، ولكنه يوضع مع أصحابه: الحرث بن حازمة
وعمر بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل.

ومما سبق إليه طرفه فأخذ منه قوله يذكر السقينة:

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد^(١)
أحده ليبيد فقال:

تشق خمائل الدهن يداه كما لعب المقامر الفيايل
وأخذه الطرماع فقال:

وغدا تشق يداه أوساط الربا قسم الفيايل تشق أوسطه اليد

ومن ذلك قوله:

ومكان زعل ظلمانه كالمخاض الجرب في اليوم الخدر^(٢)

(١) من المعلقة. حباب الماء: طرائقه، وقيل معظمه. الحيزوم: الصدر. المفايل، بالياء،
والمفايل، بالهمزة، وكذلك «الفيايل» في البيهقيين. و«الفيايل» يفتح الفاء وكسرهما
وتخفيف الياء: لعبة لفتيان الأعراب بالتراب، يخبؤون الشيء في التراب ثم يقسمونه
بقسمين، ثم يقول الخابئ لصاحبه: في أي القسمين هو؟ فإذا أخطأ قال له: قال رأيك، اللسان
١: ٢٨٦ و ١٤ : ٥٦.

(٢) الزعل: التشيط. الظلمان: جمع ظليم، وهو ذكر النعام. المخاض: الحواصل من
النوق. الخدر: الشديد البرد.

قد تبطننت وتحتى سرح تتقى الأرض بملشوم مصر^(١)
أخذه عدى بن زيد وليبد، فقال عدى:

ومكان زغل ظلمانه كرجال الخيش تمشى بالعمد

قد تبطننت وتحتى جسرة عبر أسفار كمخراق وحد^(٢)

وقال ليبد:

ومكان زغل ظلمانه كحزيق الخيشين الزجل^(٣)

قد تبطننت وتحتى جسرة حرج فى مرفقيها كالقتل^(٤)

ومن ذلك قوله^(٥):

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودى

(١) تبطننت: صرت فى بطنه. سرح: يريد ناقة منسرحة فى مشيها، أى سريعة. وفى الديوان ٦٦ «وتحتى جسرة». بملشوم: أى يخف ملشوم، وهو الذى جرحته الحجارة. المر: الذى ذهب شعره.

(٢) الجسرة: الناقة الطويلة الضخمة. وحد: منفرد.

(٣) الحزيق: الجماعة من الناس. الزجل: جمع زجلة، وهى الجماعة من الناس، اللسان

١١: ٣٣١، ١٣: ٣٢٢.

(٤) الحرج: الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. القتل: تباعد ما بين المرفقين عن

جنى اليعبر، اللسان ١٤: ٢٩.

(٥) من المعلقة، الشعر والشعراء، ١/ ١٩٦.

فمنهن سبقى العاذلات بشرية

كعبت متى ما تعل بالماء تزيد

وكرى ، إذا نادى المضاف ، محبباً

كسيد الغضا ، نبهته ، المتورد^(١)

وتقصير يوم الدجن ، والدجن معجب ،

ببهكنة تحت الحباء المعمد^(٢)

أخذه عبد الملك بن نهيك بن إساف الأنصارى فقال: ^(٣)

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام رامس

فمنهن سبقى العاذلات بشرية كأن أخاها مطلع الشمس ناعس

ومنهن تجريد الكواعب كالدمى إذا ابتز عن أكفالهن الملابس

(١) كرى: عطفى. المضاف: الذى أحيط به، يقال «أضفته إلي كذا» أى ألحاقه، ومنه المضاف فى الحرب، السيد: الذئب، الغضا: شجر المتورد: الذى يطلب أن يرد الماء، اللسان ١٠٣٧٤، ١١: ١١٤.

(٢) الدجن: إلياس القيم الأرض، وقيل: الندى والمطر الخفيف، يريد أنه يقصر يومه باللهر، ويوم اللهر قصير، البهكنة: الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة. المعمد: ذو العمد.

(٣) هو عبد الله بن أبى معقل بن نهيك بن إساف الأنصارى، شاعر مقل حجازى من شعراء الدولة الأموية، ترجم فى الأغاني ٢٠: ١١٦ - ١١٨ والأبيات فيه.

ومنهن تقريظ الجواد عنانه إذا استبق الشخص الخفي الفوارس^(١)

ومما سبق إليه قوله: (٢)

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وبأتيك بالأخبار من لم تزود
وقال غيره:

وبأتيك بالأنباء من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد^(٣)

ومن جيد شعره:

ألا أيها اللاحي أن أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات: هل أنت مخلدى^(٤)

(١) التقريظ: فعل الفارس، وهو حمل الجواد على أشد الحضر، وذلك أنه إذا اشتد حضره امتد العنان على أذنه فصار كالقرط، ونسبته للجواد نفسه توسع.

(٢) من المعلقة، الشعر والشعراء، ١ / ١٩٢.

(٣) وهذا البيت ثابت في المعلقة بعد البيت السابق، في جمهرة أشعار العرب وشرح القصائد العشر وشرح الزوزني على المملقات وشرح ديوان طرفة. وذكر في اللسان ٢: ٣١٢ غير منسوب. البيت: الزاد، وفسر في الجمهرة بالسر، ونسبه ابن قتيبة لغير طرفة، الشعر والشعراء، ١ / ١٩٢.

(٤) من المعلقة، اللاحي: اللاتم والعاذل.

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي

فذرني أبادرها بما ملكت يدي

أرى قبر نحامٍ بخيلٍ بماله... البيت

أرى الدهر كنزاً... البيتين^(١)

ومن جيد شعره:

ولا غرو إلا جارتى وسؤالها: ألا هل لنا أهل؟ سئلت كذلك^(٢)

دعا عليها بأن تغترب حتى تسأل كما سألت.

ومن حسن الدعاء قول النابغة الذبياني:

أغيرك معقلاً أبغى وحصناً فأعيتني المعاقل والحصون

وجنتك عارياً خلقاً ثيابي على خوفٍ تظن بي الظنون^(٣)

العارى: من «عراك يعروك» إذا أتاك يطلب ما عندك، ونحوه العاقى

(١) الشعر والشعراء، ١ / ١٩٣.

(٢) لا غرو: لا عجب. الديوان، ٥٥، اللسان، ١٩: ٣٥٨.

(٣) الشعر والشعراء، ١ / ١٩٤.

ومن جيد شعر طرفة:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وإن لسان المرء، ما لم تكن له حصة، على عوراته لدليل^(١)
وإن امرئاً لم يعف يوماً فكاهة لمن لم يرد سوءاً بها لجهول
وقال وهو صبي:

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحة^(٢)
كلهم أروغ من تغلب ما أشبه الليلة بالبارحة

ومما يعاب من شعره قوله يمدح قوماً:

أسد غيلٍ فإذا ما شربوا وهبوا كسل أمون وطمس^(٣)

(١) الحصة: العقل والرأى، وفي اللسان: «يقول: إذا لم يكن مع اللسان عقل يحجزه عن بسطه فيما لا يجب دل اللسان على عيبه بما لفظ به من عود الكلام». وذكر البيت والذي قبله ونسبهما لكعب بن سعد الغنوي، ثم قال: «ونسبه الأزهري لطرفة». والأبيات الثلاثة في ديوان طرفة ٥٢ في قصيدة.

(٢) الواضحة: الأسنان التي تبدو عند الضحك، صفة غالبية، الديوان ٤٣، اللسان ٤٧٤:٣.

(٣) القصيدة في الفخر بنفسه ويقومه، الغيل: شجر كثير ملتف يستتر فيه كالأجمة.

الطمس: الفرس الجواد المستفز للوثب والعدو. والبيت مطلق من بيتين في الديوان ٦٧، ٦٨.

ثم راحوا عبق المسك بهم يلحفون الأرض هذاب الأزر^(١)
ذكر أنهم يعطون إذا سكروا، ولم بشرط لهم ذلك فى صحورهم كما
قال عنترة:

وإذا شريت فإننى مستهلك مالى، وعرضى وأقر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمى
قالوا: والجيد قول زهير:

أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يتلف المال نائه
وقال بعض المحدثين:

فتى لا تلوك الخمر شحمة ماله ولكن عطايا عود وبوادي

وطرفة أول من طرد الخيال، فقال:

فقل لخيال الخنظلية ينقلب إليها، فإنى وأصل جبل من وصل

(١) عبق: تقرأ اسماً وفعلًا، عبق الطيب، من باب «فرح» علق ولصق. يلحفون الأرض يغطونها ويلسرونها هذاب أزرهم إذا جروها فى الأرض. يقال «لحفه وألحفه» بمعنى، اللسا.
١١ : ٢٢٥ ، ١٢ : ١٠٤ .

وقال جرير:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمي بسلام

قال الأصمعي: قلت لشيخ مسن من المدنيين: رأيت قولك كثير:

قد أروع الخليل بالصرم مني لم يخفه ، وقلة التكليم

أى شئ هذا من السباب؟ فقال: يا ابن أم ، أى شئ يصنع؟

أحرقته! (١)

وكان طرفة قد سمي بذلك بببيت قاله ، كما سمي كل من المتلمس ،
وأفنون التغلبي بببيت من شعرهما ، وكذلك سمي شعراء بأبيات
لهم (٢).

وقال الشعر ، ووقع به فى أعراض الناس ، حتى هجا قومه وأهله ،
وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الخيرة ، مع أنه كان يتطلب
معروفه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجا ، طرفة له ، فاضطغنها عليه ،
وأسرها فى نفسه ، حتى إذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان

(١) الشعر والشعراء ، ١ / ١٩٦ .

(٢) النقااض ، ص ٨٨٦ ، البيان والتبيين ١ / ١٤٩ ، شرح شواهد المغنى ص ١٧ ،
هامش تاريخ الأدب العربى ، برولكمان ١ / ٩٢ .

لفضله - وكان قد بلغه من المتلمس مثل الذي وصل إليه عن طرفه -
أظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما، وأمر لكل منهما بجائزة، وكتب
لهما كتابين، وأحالهما إلى عامله بالبحرين ليستوفياها منه، فبينما
هما في الطريق ارتاب المتلمس في صحيفته، فعرج على غلام يقرأها
له، ومضى طرفه، فإذا في الصحيفة الأمر بقتله، فألقى الصحيفة،
وأراد أن يلحق طرفه فلم يدركه، وفر إلى ملوك غسان، وذهب طرفه
إلى عامل البحرين، وقتل هناك وعمره نحو ست وعشرين سنة.

وقال طرفه الشعر وهو صبي فنبغ فيه حتى عد من الفحول ولم
ينيف على العشرين، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التي وصف فيها
الناقة بخمسة وثلاثين بيتاً وصفاً لم يسبقه إليه أحد، وتعد معلقته من
أجود المعلقات، وأكثرها غريباً، وأغزرها معنى، وروى له غيرها من
الشعر، ولكنه قليل بالنسبة لشهرته، وربما دل هذا على أن الرواة قد
جهلوا أكثره، ويجيد طرفه الوصف في شعره، مقتصرأ فيه على بيان
الحقيقة، بعيداً عن الغلو والإغراق، وكذلك كان هجاؤه على شدة وقعه،
ومطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة نهدم تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ومنها:

رأيت بنى غبراء لا ينكروننى ولا أهل هناك الطرف الممدد

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى أبادرها بما ملكت يدى
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد^(١)
ومن أبياته السائرة قوله:
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند
أرى الموت أعداد النفوس، ولا أرى
بعيداً غدا، ما أقرب اليوم من غدا
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ٢٦٢.

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له

بتاتاً، ولم تضرب له وقت موعد

وقوله:

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه

وقوله:

وأعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى المرء فهو ذليل

وإن لسان المرء - ما لم يكن له حصاة - على عوراته لدليل

وقوله:

قد بيعت الأمر الصغير كبيره حتى تظل له الدماء تصيب

ومن كلامه يفتخر:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتفر

حين قال الناس في مجلسهم: أقتار ذاك أم ربح قطر

بجفان تعترى ناديناً من سديف حين هاج الصنبر

كالجوابى لا تنى مترعة لقرى الأضياف أو للمحتضر
ثم لا يخزن فينا لحمها إنما يحزن لحم المدخر
نمسه الخيل على مكروها حين لا يمسه إلا الصير^(١)
ومن قوله في وصف الناقة:

وانى لأمضى الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كألواح الإران نصأتها على لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردى كأنها سفنجة تبرى لأزعر أريد
تبارى عتاقاً ناجياتٍ وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد
تربعت القفين في الشول ترتعى حدائق مولى الأسرة أغيد
تربع إلى صوت المهيب ، وتتقى بذى حصل روعات أكلف ملبد
كان جناحى مضرحى تكنفاً حفاقيه شكاً في العسيب بمسرد
فطوراً به خلف الزميل ، وتارةً على حشف كالشن ذاوٍ مجدد^(٢)

(١) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص ٢٦٢.
(٢) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، ص ٢٦٢، ٢٦٤.

الفصل السادس

جربير والغزندق

أما جرير فهو جرير بن عطية بن حذيفة، ولقب حذيفة الخيطي لقوله:

* وعنقاً يا قى الرسيم خيطفاً^(١) *

وهو من بنى كليب بن يربوع. وكان عطية أبو جرير مضعوفاً، وأم جرير من بنى كليب بن يربوع. وكان له أخوان. وولدت جريراً أمه لسبعة أشهر، وعمر نيفاً وثمانين سنة، ومات باليمامة. وكان يكنى أبا حزره، وكان له عشرة من الولد، فيهم ثمانية ذكور، منهم بلال بن جرير، وكان أفضلهم وأشعرهم، ويكنى أبا زافر، ورأى في المنام أنه قطعت له أربع أصابع من أصابعه، فقاتل بنى ضبة فقتلوا له أربعة بنين. ولبلال عقب، منهم عمارة بن عقيل بن بلال، وهو القائل في دينار يحيى ابني عبد الله:

ما زال عصياننا لله يسلمنا حتى دفعنا إلى يحيى ودينار
إلى عليجين لم تقطع ثمارهما قد طال ما سجداً للشمس والنار

(١) لسان العرب ١٠ / ٤٢٤، الاشتقاق ص ١٤١ الشعر والشعراء ١ / ٤٦٤، العنق: ضرب من سير الدابة، الرسيم: أثر الناقة في الأرض، الخيطي: سرعة الخيلاب السير.

وكان بلال نزل برجل يقال له مسعود بن طعمة، من بنى بيدة، فلم
يحسن قراه، فقال:

أمسعود أنت اللثيم الأثيم كأنك قنفذة في ضعه
سمعنا له إذ نزلنا به كلاماً كما تنطق الضفدعه
فأى اللثيمين أشبهته أطعمة أم أمك الكوتعه
عددنا عدياً وآباءهم فشر عدى بنو بیدعه
فما أعطش الضيف لما غدا من البیدعات وما أجوعه

وقال (بلال) في قوم من بنى فقيم، يقال لهم بنو ناشرة:

عددنا فقيماً وآباءهم فشر فقيم بنو ناشره
قصار الفعال طوال الخطى مناتين ليست لهم بادره
يعدون غرماً قري ضيفهم فلا عدموا صفقة خاسره
إذا ضفتهم ثم ساءلتهم وجدت بهم علة حاضره
وليسوا، إذا قلت: ماذا هم؟ بأصحاب دنيا ولا آخره

وقال في حماد المنقر:

نزلنا بحماد فخلسى كلابه فكدنا بين بيتيه نؤكل

وقد قال قبلى قائل ظل فيهم: إذا اليوم أو يوم القيامة أطول^(١)

ومن ولد جرير عكرمة بن جرير، وكان شاعراً، ونوح بن جرير، وكان شاعراً.

وكان جرير من فحول شعراء الإسلام، ويشبهه من شعراء الجاهلية بالأعشى. وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: هما بازيان يصيدان ما بين العندليب إلى الكركى.

وكل من أحسن الناس تشبيهاً. عن الأصمعي قال: سمعت الحى يتحدثون أن جريراً قال: لولا ما شغلنى من هذه الكلاب لشببت تشبيهاً تحن منه العجوز إلى شبابها ما تحن الناب إلى سقباها.

وكان من أشد الناس هجاء. قال الأصمعي: أخبرنا شيخ من أهل البصرة قال: مر راعى الإبل فى سفر فسمع إنساناً يتغنى (على قعود له) بشعر جرير، وهو قوله:

(١) الشعر والشعراء، ١ / ٤٦٥.

وعاو عوى من غير شئ رميته بقافية أنفاذها تقطر الدما
خروج بأفواه الرواة كأنها قرى هندوانى إذا هز صمما
(فقال: لمن هذا: قيل: لجريز)، فقال الراعى: لعنة الله على من
يلومنى أن يبلغنى مثل هذا! (١)

وكان مع حسن تشبيهه عفيفاً، وكان الفرزدق فاسقاً، وكان يقول:
ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعرى، وما أحوجنى إلى رقة شعره، لما
تروى.

وحكى أبو عمرو بن العلاء قال: كنت قاعداً عند جريز وهو يلى:

ودع أمانة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل

فمرت به جنازة، فترك الإنشاد وقال: شيبتى هذه الجنازة، قلت:
فلأى شئ تشتم الناس؟ قال: يبدؤوننى ثم لا أعفو، (قال): وكان
يقول: أنا لا أبتدى ولكن أعتدى.

ويبلغه عن بعض شعراء بنى كليب شئ ساء، فدعاه إلى مهاجاته،
فقال الكلبى: إن نسائى يامتهن، ولم تدع الشعراء فى نسانك مترقعا.

(١) الشعر والشعراء، ١ / ٤٦٦، زهر الآداب ١ / ٥٧ - ٥٨

وكان جرير يقول: النصرانى أنعتنا للخمر والحمر وأمدحنا للملوك،
وأنا مدينة الشعر.

وقال أبو عمرو: سئل الأخطل: أيكم أشعر؟ قال: أنا أمدحهم
للملوك وأنعتهم للخمر والحمر، يعنى النساء، وأما جرير فأنسبنا
وأشبهنا، وأما الفرزدق فأفخرنا.

وقال مروان بن أبى حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو القريض ومره لجرير

وكان جرير مقيماً بالمروث من البادية، والفرزدق بالعراق، وهما
يتهاجيان، فأرسلت بنو يربوع إلى جرير: إنك مقيم بالمروث ليس
عندك أحد يروى عنك والفرزدق بالعراق قد ملأها عليك منذ سبع
حجج، فأنحدر إلى العراق فأقام بالبصرة، ولذلك يقول:

وإذا شهدت لشعر قومي مشهداً آثرت ذاك على بنى ومالى

ومدح الحجاج فأكرمه وأدناه، وأوفده إلى عبد الملك بن مروان
فاستنشه، فأنشده فى الحجاج:

صبرت النفس يا بن أبي عقيل مجاهدة، فكيف ترى الشوايا
إذا سحر الخليفة نار حرب رأى الحجاج أثقبها شهاباً
وأنشده مدحته التي يقول فيها:

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب، فقال له جرير يا أمير المؤمنين، نحن
أشياخ، وليس في واحد منا فضل على راحلته، والإبل أباقي، قال: فتجعل
أثمانها لك رقة؟ قال: لا، ولكن الرعاء، فأمر له بشمانية أعبد، فقال
جرير: والمحلب يا أمير المؤمنين! فتبذ إليه إحداهن بالخيزرانة، وقال:
خذها لا نفعتك! ففي ذلك يقول جرير:

أعطوا هنيذة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف^(١)

قال أبو عبيدة: كان الفرزدق بالمرند، فمر به رجل قدم من اليمامة،
فقال له: من أين وجهك؟ قال: من اليمامة، قال: فهل علققت من جرير
شيئاً؟

فأنشده : * هاج الهوى بفؤادك المهتاج *

فقال الفرزدق : * فانظر بتوضيح باكر الأحداج *

(١) هنيذة: اسم للمائة من الإبل، لسان العرب ٤ / ٤٤٩، الشعر والشعراء ١ / ٤٦٨.

فقال * هذا هوى شغف الفؤاد مبرح *

فقال الفرزدق : * ونوى تقاذف غير ذات خلاج *

فقال * ليت الغراب غداة ينعب دائباً *

فقال الفرزدق : * كان الغراب مقطع الأوداج *

فما زال (الرجل) ينشده صدراً (صدراً) من قول جرير، وينشده
الفرزدق عجزاً (عجزاً) ، حتى ظن الرجل أن الفرزدق قالها (وأن جريراً
سرقها) ، ثم قال له: هل ذكر فيها الحجاج؟ قال: نعم، قال: إياه أراد.

ومن خبيث هجائه قوله للفرزدق:

* لقد ولدت أم الفرزدق مقرفاً * الأبيات

ومن جيد شعره قوله:

تعالوا نحاكمكم ، وفي الحى مقنع

إلى الغرمن أهل البطاح الأكارم

فإن قريش الحق لم تتبع الهوى

ولم يرهبوا فى الله لومة لائم

فإني لراضٍ عبد شمس وما قضت
وأرضى بحكم الصيد من آل هاشم
أذكركم بالله : من ينهل القنا
ويضرب كبش الجحفل المتراكم
وكنتم لنا الأتباع في كل موقف
وريش الذنابي تابع للقوادم
إذا عدت الأيام أخزيت دارماً
وتخزيك يا بن القين أيام دارم
وما زادني بعد المدى نقض مرة
ولا رق عظمى للضروس العواجم
ويستجاد له قوله : * فأنت أبي ما لم تكن لي حاجة * الأبيات
وقوله يرثي امرأته : * لولا الحياء لعادني أستعبار * الأبيات^(١)
ومتها :
لولا الحياء لهاجني أستعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

(١) الشعر والشعراء ، ١ / ٤٦٩ .

ولهت قلبي إذ علتني كبرة وذوو التمام من بتيك صغار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

وهو أحد فحول الشعراء الإسلاميين، وبلغاء المداحين الهجائين
وأنسب الثلاثة المفلقين وهو من بنى يربوع أحد أحياء تميم، ولد
باليمامة سنة اثنتين وأربعين من الهجرة، من بيت اشتهر بالشعر،
ونشأ بالبادية، وقبها قال الشعر ونبغ فيه، وكان يختلف إلى البصرة
في طلب الميرة ومدح الكبراء، وينزل على من يسكن البصرة من قومه،
فرأى الفرزدق وما كسبه الشعر من المنزلة عند الأمراء والولاة، وهو
ميمي مثله، وود لو يسبقه إلى ما ناله، وأغراه قومه للتنويه بشأنهم،
إذ كان الشعر في ذلك العصر هو وسيلة الإعلان عن الشرف، ثم
وقعت بينه وبين الفرزدق المهاجاة والملاحاة عشر سنين، وكان أكثر
إقامة جرير أثناءها بالبادية، وكان الفرزدق مقيماً بالبصرة مصر
العرب يملاً عليه الدنيا هجاء وسباً، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه
البصرة، فكان يقيم بها كثيراً، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع
منزلته عنده، فعظم أمره، وشرق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبد
الملك فحسد الحجاج عليه، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة
بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه، فلما دخل عليه الوفد استأذنه جرير
في إنشاده، فأبى، وقال له: إنما أنت للحجاج، فما برح يتوسل إليه
حتى قبل مدحه، وأجازه عليه جائزة سنوية، ومن ذلك الحين عد من

مداح خلفاء بنى أمية، ودخل فى غمار المتزاحمين على أبوابهم، والمتناقسين فى نيل جوائزهم، وجره ذلك إلى معاداة منافسيه ومهاجاتهم، وحرش الفرزدق بينه وبينهم، وأغراهم بالمال، ونصب له منهم ثمانين شاعراً، ولكن جريراً غلبهم كلهم وأخرسهم، وثبت له من دونهم الفرزدق والأخطل، فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجالاً حتى مات الأخطل، وغبر الفرزدق وجرير يتساiban مدة حياتهما، إلا مدة قليلة تنسك فيها الفرزدق وتاب، ثم مات، ولم يطل عمر جرير بعده إلا نحو ستة أشهر، ومات باليمامة سنة مائة وعشر من الهجرة وكان فى جرير - على هجائه للناس وخوضه فى أعراضهم - عفة، ودين، وحسن خلق، ورقة طبع، وقد ظهر أثر هذه الخلال فى شعره.

وقد اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشأوا فى الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل، وإنما اختلفوا فى السابق متهم، والمبرز فى حلبتهم، ومال إلى كل واحد منهم جماعة انتصروا له وفضلوه على أخويه، ولكل هوى وميل فى تقديم صاحبه: فمن كان هواه فى التسيب، وجودة الغزل والتشبيب، وجمال اللفظ ولين الأسلوب، والتصرف فى أعراض شتى فضل جرير وحكم بسبقه، ومن مال إلى جودة الفخر، وفخامة اللفظ، ودقة المسلك، وصلابة الشعر، وقوة أسره، فضل الفرزدق ورأى خيراً من كليهما، ومن نظر - بعد بلاغة اللفظ، وحسن الصوغ - إلى إجادة المدح والإمعان فى الهجاء، واستهواه وصف الخمر، واجتماع الندمان

عليها حكم للأخطل وهناك فريق يدخل في الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب، فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق، وأهل الدين والعفة يقدمون جريراً، وأدباء المسيحيين يقدمون الأخطل، ولا عبرة بذلك في باب صناعة الشعر.

على أن طائفة من أهل النقد المعتد بهم يرون جريراً أشعر الثلاثة؛ لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر في باب، في حين أن الفرزدق امتاز بالفخر، وأن الأخطل تفرد بالمدح والهجاء ووصف الخمر، ويحتجون لهذا الرأي بحجج، الأولى: أنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب إلا بشعر جرير في رثاء امرأته، والثانية: أن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول: «ما أحوج جريراً مع عفاقه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره». والثالثة: أن له في كل باب من الشعر أبياتاً سائرة هي الغاية التي تضرب بها المثل، فيقال: إن أغزل شعر قائته العرب هو قوله:

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحين قتلاتنا
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنساناً

ويقال: إن أمدح بيت قوله:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح؟

ويقال: إن أفخر بيت قوله:

إذا غضبت عليك بنو قميم رأيت الناس كلهم غضاباً

ويقال: إن أهجنى بيت - مع التصون عن الفحش - قوله:

فغض الطرف إنك من غير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

ويقال: إن أصدق بيت قوله:

إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل

ويقال: إن أشد بيت تهكماً قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع

ونحو ذلك كثير فى شعره.. قيل: وقد لعب جرير وجد فى قصيدة يهجو بها الأخطل التغلبى بما لو أراد غير لامتنع عليه، ففى لعيه يقول:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معيننا

غيضن من عبراتهن وقلن لى: ماذا لقيت من الهوى ولقيتنا؟

وفى جده يقول:

إن الذى حرم المكارم تغلباً جعل الخلافة والنسوة فيناً

مضر أبى، وأبو الملوك، فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا؟
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا
قيل: فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال: ما زاد ابن المراغة أن
جعلنى شرطياً! أما إنه لو قال:

* لو شا . ساقكم إلى قطينا *

لستكم إليه كما قال.

ومن بديع شعره قوله:

لا بارك الله فى الدنيا إذا انقطعت

أسياب دنياك من أسياب دنيانا

ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم

للجبل صرماً ، ولا للعهد نسيانا

أبدل الليل لا تسرى كواكبہ

أم طال حتى حسبت النجم حيرانا؟

وقد دام الهجاء بين الفرزدق وجرير أربعين سنة، وسببه أن البيهث الشاعر من مجاشع هجا جريراً، فهجاه جرير فاستعان البيهث على جرير بالفرزدق، فسقط البيهث، وبقي الفرزدق يهاجى جريراً إلى أن وافته منيته.

والعلماء بالشعر مختلفون أى الشعراء من أفضل؟ وقد قال أحد العلماء: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير، والفرزدق، فأجمع أهل ذلك المجلس على أحدهما، على أن الأكثرين يرون أن جريراً أشعر.

وكان جماعة من كبار الرواة والشعراء يفضلون الفرزدق، حتى كان البحتري الشاعر العباسي المشهور يقول: لا أرى أن أكلم من يفضل جريراً على الفرزدق، ولا أعده من العلماء بالشعر، وكان يرى أن الفرزدق أعمق معاني، وأحسن اختراعاً لها من جرير.

وقد أنصف الأصفهاني في الأغاني فقال: أما من كان يميل إلى جودة الشعر، وفخامته، وشدة أسره فيقدم الفرزدق. وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، وإلى الكلام السمج الغزل فيقدم جريراً. وقد قال مروان بن أبي حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلوا الكلام ومره لجرير^(١)

(١) التاريخ الأدبي للعصرين الأموي والعباسي الأول ٢ / ١٠٥ - ١٠٦.

أما سبب التهاجي بين جرير والأخطل فإنه لما وصف للأخطل جرير والفرزدق، وقيل له: إن جريراً يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر، فضل جريراً، فاستاء لذلك أحد أمراء بني أمية، وبعث إلى الأخطل بمال وكسوة وخمر، وطلب إليه أن يفضل الفرزدق على جرير، ويهجو جريراً، ليلته إلى الفرزدق، ففعل، فأجابه جرير، ثم اتصل الشر بينهما^(١).

وقيل: إن الأخطل قال لابنه مالك: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما، وتأتيني بخبرهما، فانحدر مالك حتى لقيهما، وسمع منهما، ثم أتى أباه ففضل جريراً على الفرزدق^(٢).

واشتغل الأخطل بمهاجاة جرير حتى مات، وروى أنه أوصى الفرزدق على لسان ذويه ألا يكف عن هجاء جرير، ولا يدعه في هدوء.

وثمة فريق يرى الجودة والضعف فينقده في شعر جرير والفرزدق.

فقد اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج، فقال لهما: من مدحني منكما بشعر يوجز فيه، ويحسن صفتي، فهذه الخلعة له، فأنشد الفرزدق:

فمن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته إلا ضعيف العزائم

(١) التاريخ الأدبي للعصرين الأموي والعباسي الأول ٢ / ١٤٧.

(٢) الأغاني ١٠ / ٢، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١ / ٢٠٦.

ثم أنشد جرير:

فمن يأمن الحجاج أما عقابه فصر وأما عقده فوثيق
يسر لك البغضاء كل منافق كما كل ذي دين عليك شفيق
فقال الحجاج للفرزدق: ما عملت شيئاً، إن الطير تتقى الصبي
والخشب، ودفع الخلعة إلى جرير^(١).

واجتمع في ضيافة سكينه بنت الحسين جرير، والفرزدق، وكثير،
وجميل، ونصيب، فقال للفرزدق: أنت القائل:

هما دلياني من ثمانين قامه كما انحط باز أقم الریش كاسره
فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا أحي يرجى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا وأقبلت في أعجاز ليل أباده
أبادر بسوابين قد وكلوا بنا وأحمر من ساج تبص مسامره
قال: نعم، قال: فما دعائك إلى إفشاء سرهما وسرك؟ هلا سترت
ر عليك وعليهما.

ثم قالت لجرير: أنت القائل:

(١) معالم النقد الأدبي ص ١١٦ - ١١٧.

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على أغر كأنه برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذي حدثتنا لوصلت ذاك وكان غير لمام
إني أوصل من أردت وصاله بحبال لا صلف ولا لوام
قال: نعم، قال: أولا أخذت بيدها، وقلت ما يقال لمثلها؟ أنت
عفيف وفيك ضعف^(١).

وأراد البعيث الشاعر أن يفضح جلساء الخليفة الوليد بن عبد الملك
من الشعراء، قال:

قال الشيخ الأحمق - يعنى الفرزدق - لعبد بنى كليب:
بأى رشاء يا جرير وماتح تدليت فى حومات تلك القماقم
فجعله يتدلى عليه، وعلى قومه من عل، وإنما يأتيه من تحته، لو
كان يعقل.

وقد قال هذا - جرير:

لقومى أحبى للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع
وأوثق عند المردفات عشية لحاقا إذا ما جرد السيف لامع

(١) معالم النقد الأدبي ص ١١٧ - ١١٨.

فجعل نساءه لا يشقن بلحاظه إلا عشية... .

وقال هذا - الأخطل - ومدح رجلاً يسمى قينا ، فهجاه ، فلم يشعر ،
فقال:

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فالآن طير عن أثوابه الشرر^(١)

وقال الفرزدق في جرير:

يهدى الوعيد ولا يحوط حريمه كالكلب ينبح من وراء الدار
أو يقول في عشيرته كليب:

يستيقظون إلى نهاق حمارهم وتنام أعينهم عن الأوتار
وكان جرير يلقاه بمثل قوله:

زعم الفرزدق أن سيقتل مريماً أبشر بطول سلامة يا مريع
وقوله:

خذوا كحلأ ومجمرة وعطراً فلستم يا فرزدق بالرجال

أورد أبو الفرج في الأغاني أن جريراً وقد على الحجاج فسأله علام
تشتتم الناس وتظلمهم فقال جرير والله إنى ما أظلمهم ولكنهم

(١) العقد الفريد ٤ / ١٩ .

يظلموننى فأنتصر عليهم. مالى ولا بن عثمان، ومالى وللبيعيث،
ومالى وللقرزدق، ومالى وللأخطل حتى عدتهم واحداً واحداً فقال
الحجاج: ما أدري مالك ومالهم. قال: أخبر الأمير أعزه الله، أما
غسان بن ذهيل فإنه من قومي هجاني وهجا عشيرتي، وكان شاعراً
قال الحجاج فما قال؟ قال^(١):

لعمرى لئن كانت بجيلة زانها جرير لقد أخزى كليباً جريرها
رميت نضالاً عن كليب فقصرت مراميك حتى عاد صفراً جفيرها
ولا يذبحون الشاه إلا بميسر طويلاً تناجيها صفاراً قدورها
قال فما قلت؟ قال:

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجد سليط سوى غسان جاراً يجيرها
فقد صمنوا الأحساب صاحب سوية يناجى بها نفساً خبيثاً ضميرها
فما فى سليط فارس ذو حفيظة ومعقلها يوم الهياج جعورها
قال ثم من؟ قال البعيث. قال: فمالك وله؟ قال: اعترض دون ابن
غسان ليفضله على وبعينه، قال: فما قال لك؟ قال:

كليب لثام الناس قد تعلمونه وأنت إذا عدت كليب لثيمها

(١) الأغانى ١٤/٨ وما بعدها.

لقى مقعد الأحساب منقطع به إذا القوم راموا خطة لا يرومها
أترجو كليب أن يجي حديثها بخير وقد أعيا كليباً قديمها
قال: فما قلت له؟ قال:

ألم تر أنى قد رميت ابن فرتنى بصماء لا يرجو الحياة أميمها
له أم سوء بتسما قدمت له إذا فرط الأحساب عد قديمها
قال ثم من؟ قال الفرزدق. قال فعالك وماله؟ قال: أعان البعيث
على قال: فما قلت له قال:

تمنى رجال من تميم لى الردى
وما زاد عن أحسابهم ذائد مثلى
كأنهم لا يعلمون مواطنى
وقد جربوا أنى أنا السابق المجلى
فلو شاء قومى كان حلمى فيهم
وكان على جهال أعدائهم جهلى
وقد زعموا أن الفرزدق حية
وما قتل الحيات من أحد قبلى

قال ثم من؟ قال الأخطل. قال: مالك وماله؟ قال: رشاه محمد بن
عمير بن عطارد زقا من خمر وكساه حلة على أن يفضل على الفرزدق
ويهجوني. قال: فما قال لك؟ قال:

إخسا إليك كليب إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً أخوان
وإذا وردت الماء كان لدارم جماته وسهولة الأعطان
وإذا قذفت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان
قال: فما قلت له؟ قال: قلت:

يا ذا العباة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان
قتلوا كليبتكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان
قال: ثم من؟ قال الراعى. قال مالك وماله؟ قال: قدمت البصرة
وكان بلغنى أنه قال في:

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا
فقلت له:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وهكذا أخذ يسرد له من التحم بهم في الهجاء فكانوا عشرة وما
زال الحجاج يسمر بحديث مهاجاته للشعراء حتى طلع الصبح وقد قال
في شأنه قاتله الله أعرابياً. إنه لجرو هراش.

وكذا هجا الأخطل بقوله:

إن الذى حرم المكارم تغلباً جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا

ولما فضل الراعى الفرزدق على جرير فى قصيدته التى مطلعها:
يا صاحبي دنا الأصيل فسيراً غلب الفرزدق فى الهجاء جريراً
وعاتبه جرير فلم يعتبه، قال جرير قصيدته الفاضحة التى مطلعها:

أقلى اللوم عاذل والعتايا وقولى إن أصبت لقد أصابا

ومنها بعد نسيبه وقفره «فى نمير قبيلة الراعى»:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
فلو وضعت فقاح بنى نمير على خيث الحديد إذا لذابا

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسبب ذلك الجرو الكلابيا
ولو وطئت نساء بنى نمير على توب لأخيشت الترابيا
فلا صلى الإله على نمير ولا سقيت قلوبهم سحابيا
أنا البازي المطل على نمير أتيح لهم من الجو انصبابيا

وكان جرير من أهجى شعراء زمانه، وقد هاجى ثلاثة وأربعين شاعراً، وكان بعض هؤلاء يفتخر بمهاجاته، وإن غلبه، وكان راعى الإبل الشاعر يقضى للفرزدق على جرير ويفضله، فهجا جرير بنى نمير بشمانين بيتاً، وختمها ببيت أخزى الراعى فمات كمداً لذلك، وقد هاجى جرير البعيث أربعين سنة، ودامت مهاجاة جرير والفرزدق إلى آخر عمرهما، وعاون الأخطل الفرزدق.

وقد اختلف الشعراء في أشعر الشعراء الثلاثة، وإن مال كثير منهم إلى تفضيل الأخطل:

وزعم أبو عمرو بن العلاء أنه لو أدرك الجاهلية لما تقدم عليه أحد من الشعراء.

ولكن بشار بن برد كان يقول: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له، وأفرطت فيه^(١).

(١) الموشح ص ١٢٨، تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١ / ٢٠٧.

وروى أن جريراً لم يهيج الفرزدق إلا بثلاثة أشياء كلها كذب، وقال بعضهم: هي خمسة^(١)، وكان الفرزدق يهجو، ولم يعنى من الافتراء عليه، وروى عنه أنه قال: إن الأخطل أشعر منه، وأعانه عليه كبر سن، وخبث دين، ولكنه غلب الفرزدق فى النسب^(٢).

وقال ابن سلام: إن جريراً غلب فى كل بيوت الشعراء، وهى أربعة: فخر، ومدبح، وهجاء، ونسب^(٣).

وقد رضى عمر بن عبد العزيز على جرير وشعره لعفته، وطهارة لسانه^(٤).

أما الفرزدق وهو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم. وكان جده صعصعة بن ناجية عظيم القدر فى الجاهلية، واشترى ثلاثين مؤودة إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام، منهن بنت لقيس بن عاصم المنقرى. ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم، وأسلم.

وأُم صعصعة قفيرة بنت سكين، من عبد الله بن دارم، وكانت أمها

(١) الموشع ص ١٢٢، اعلاء الكلام ص ٢٦٨.

(٢) الموشع ص ٢٢٧، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان، ص ٢٢٧.

(٣) طبقات الشعراء ١ / ٨٧.

(٤) العقد القريد ١ / ١١٤ - ١١٦، تاريخ الأدب العربى، بروكلمان، ١ / ٢١٧.

أمة وهبها كسرى لزرارة، فرهنها زرارة لهند بنت يشري بن عدس،
فوثب أخو زوجها، واسمه سكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن
دارم، على الأمة، فولدت (له) قفيرة أم صعصعة، فكان جرير يعيب
الفرزدق بها. وكان لصعصعة قيون، منهم جبير ووقبان وديسم، فذلك
جعل جرير مجاشعاً قيوناً.

وقال جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير:

وجدنا جبيراً أبا غالب يعيد القرابة من معبد^(١)

يعنى معبد بن زرارة.

وكان يعيبهم بالخزيرة، وذلك أن ركباً من مجاشع مروا في الجاهلية
وهم عجال على شهاب التغلبي، فسألهم، فقالوا: نحن مستعجلون،
فقال: لا تجوزوني حتى تصيبوا القرى، فحمل إليهم خزيرة، فجعلوا
يأكلونها وهم على إبلهم ويعظمون اللقم، وذلك يسيل على لحاهم.

وأما غالب أبو الفرزدق فكان يكنى أبا الأخطل، وكان سيد بادية

(١) الشعر والشعراء، ١ / ٤٧١.

تقسيم، وكان أعور. وأمه ليلى بنت حابس أخت الأقرع بن حابس.
واستجير بقبيره وهو بكازمة^(١) في حمالة، فاحتملها (عنه) الفرزدق.
وكان له إخوه، منهم هميم (بن غالب)، وسمى الفرزدق باسمه وهو
القائل:

لعمر أبيك فلا تكذبين لقد ذهب الخير إلا قليلاً

وقد فتن الناس في دينهم وخلي ابن عفان شراً طويلاً

وإنما لقب بالفرزدق لغلظه وقصره، شبه بالفتيتة التي تشرىها
النساء، وهي الفرزذقة^(٢). وكنيته أبو قراس.

وكان للفرزدق أخ يقال له الأخطل أسن منه، وابنه محمد ابن
الأخطل (كان) توجه مع الفرزدق إلى الشام، فمات بها، ولا عقب له.
ورثاه الفرزدق.

وأخته يقال لها جعثن، وكانت امرأة صدق. نزل الفرزدق في بني
منقر والحى خلوف، فجاءت أفعى إلى جارية من بني منقر يقال لها

(١) كازمة: في البلدان: «جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها
وبين البصرة مرحلتان».

(٢) في اللسان: «الفرزدق: الرغيف، وقيل: فتات الخبز، وقيل: قطع العجين، وأحدثه
فرزذقة، وبه سمي الرجل، سمي بالعجين الذي يسوي منه الرغيف، واسمه همام، وأصله
بالفارسية برازده» وفيه أيضاً: «قال الأصمعي: الفرزدق الفتوت الذي يفت من الخبز الذي
تشر به النساء».

ظمياً، فدخلت معها فى شعارها، فصرخت أمها، وجاء الفرزدق فسكنها، واحتمال للأفعى حتى انسابت، والتزم الجارية فانتهرته، فقال (١):

وأهون عيب المتقرية أنها شديد بيطن الخنظلى لصوقها

فلما بلغ بنى منقر قوله أرسلوا رجلاً يقال له عمران بن مرة، وأمروه أن يعرض لجعثن أخت الفرزدق، فلما خرجت وثب فضرب بيده على نحرها، فصاحت، ومضى، فعير الفرزدق بذلك.

ومكث الفرزدق زماناً طويلاً لا يولد له، فعيرته امرأته النوار بذلك فقال:

قالت: أراه واحداً لا أخا له يؤمله فى الوارثين الأبعاد

لعلك يوماً أن ترينى كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد (٢)

فإن تيسماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً وهو فى الناس واحد

فولد له بعد ذلك لبطة وسيطة وخبطة وركضة من النوار (٣)، وزمعة

وليس لواحد من ولده عقب إلا من النساء.

(١) سيأتى البيت مع بيتين آخرين.

(٢) الحوارد: الغضاب، يقال «حرد الرجل فهو حرد وحارد» إذا اغتاط فتحرش بالذى

غاظه وهم به. ومنه قيل «أسد حارد وليوث حوارد» - عن اللسان.

(٣) ابن خلكان ٢: ٢٦٦. اللسان ٩: ٢٦٤، ٩: ٢٦٣ وفى القاموس مادة (كلظ)،

وفى مادة (لبط): ٥: ٢٦٤، الاشتقاق ١٤٧.

(وأجاد في قوله: * قالت: وكيف يميل مثلك للصبي * البيتين) (١)

وكان الفرزدق معنا معنا (٢) يقول في كل شيء، وسريع الجواب، فمر
يقوم ولهم جنازة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مات أبو الخنساء صاحب
البعال، فقال:

ليبك أبا الخنساء بغل وبغلة ومخللة سوء قد أضيع شعيرها
ومجرقة مطروحة ومحسنة ومقرعة صفراء بال سيورها
(ومن إغراضه قوله: * وبأت قدرى * البيتين)

وكان خلف بن خليفة ظريفاً شاعراً راوية، وكان «أقطع»، له أصابع
من جلود، فمر بالفرزدق يوماً فقال له: يا أبا فراس من الذي يقول:

هو القين وابن القين لا قين مثله لقطع المساحي أو لجدل الأدهم (٣)
قال الفرزدق: بقوله الذي يقول:

(١) الشعر والشعراء ١ / ٤٧٣.

(٢) معن: ذو عنان واعتراض، أي أنه نصيب يدخل في كل شيء. معن: يفتن في الكلام.

أي يشق في فن بعد فن. يأتي بالأفانين. وكلاهما بكسر أوله وفتح ثانيه وتشديد النون.

(٣) المساحي: جمع مسحاة، وهي الآلة التي يحرف بها الطين عن وجه الأرض، ويقشر

وقطعها: تعرضها وتسويتها، وتلك صناعة الحداد، الأدهم: القيود، لسان العرب ٣ / ٣٧٩،

١٠٠ / ١٥

هو اللص وابن اللص لا لص مثله لتقب جدار أو لظر الدراهم

وأتى حفصاً السراج يشتري منه سرجاً، فمرت به امرأة جميلة وفي
يده سرج ينظر إليه، فألقى السرج من يده وقال:

منع الحياة من الرجال ونفعها حدق قلبها النساء مراض
خرجت إليك ولم تكن خراجه فأصيب صدع فؤادك المنهاض
وكان أفئدة الرجال إذا رأوا حدق النساء لتبيلها الأغراض

ورآه خالد بن صفوان يوماً وكان يمازحه، فقال: يا أبا فراس ما أنت
بالذي لما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن^(١) قال: ولا أنت يا أبا صفوان
بالذي قالت الفتاة فيه لأبيها: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت
القوى الأمين^(٢).

وجاء عنبسة بن معدان إلى باب بلال، فرأى الفرزدق وقد نعس،

(١) يشير إلى الآية ٣١ من سورة يوسف.

(٢) يشير إلى الآية ٢٦ من سورة القصص.

فحركه برجله وقال: بلغت النار يا أبا فراس؟! قال: نعم ورأيت أباك
ينتظرك.

ومر بيحيى بن المحضين بن المنذر الرقاشي، فقال له: يا أبا فراس
هل لك في جدى سمين ونبيذ جيد؟ فقال: وهل يأبى هذا إلا ابن
المراغة! فانطلق به يحيى ويا بن عم له، فأكلوا، ثم دعا بالشراب، فقال
الفرزدق: اسقني صرفاً يا غلام، فقال يحيى: أما أنا فلا أشرب صرفاً
ولا غيره، فقال الفرزدق:

اسقني خمساً وخمساً وثلاثاً واثنيتين

من عقار كدم الجوف يحسر الكليتين

واصرف الكأس عن المحروم يحيى بن حضين

واسق هذين ثلاثين يسروحاً مرحين

وأصابته الدبيلة، فقدم به البصرة، وأتى بطبيب فسقاه قاراً أبيض،
فجعل يقول: أتعجلون لي القار في الدنيا؟

ومات وقد قارب المائة. وقيل له في مرضه الذي مات فيه: اذكر
الله، فسكت طويلاً ثم قال:

إلى من تغزعون إذا حثوتم بأيديكم على من التراب
ومن هذا يقوم لكم مقامى إذا ما الريق غص بذى الشراب
فقال له مولاة له: نزع إلى الله، فقال: أخرجوا هذه من الوصية،
وكان قد أوصى لها بمائة درهم.

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان الفرزدق يشبه (من شعراء الجاهلية)
بزهير:

وأما النوار امرأة الفرزدق فهي ابنة أعين بن ضبيعة المجاشعي،
وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وجه أباها إلى البصرة أيام
الحكمين، فقتله الخوارج غيلة، فخطب النوار رجل من قريش (وأهلها
بالشام) فبعثت إلى الفرزدق تسأله أن يكون وليها إذ كان ابن عمها،
(وكان أقرب من هناك إليها)، فقال: إن بالشام من هو أقرب إليك
منى، ولا آمن أن يقدم قادم منهم فيبتكر ذلك على، فأشهدى أنك قد
جعلت أمرك إلتى، ففعلت، فخرج بالشهود وقال لهم: قد أشهدتكم
أنها قد جعلت أمرها إلى، وإنى أشهدكم أنى قد تزوجتها على مائة
ناقة حمراء، سوداء الحدق، فذرت من ذلك، واستعدت عليه، وخرجت
إلى عبد الله بن الزبير، والحجاز والعراق يومئذ إليه، وخرج الفرزدق،

فأما النوار فنزلت على خولة ابنة منظور بن زيان الفزاري امرأة عبد
الله بن الزبير، فرقتها وسألها الشفاعة لها، وأما الفرزدق فنزل على
حمزة بن عبد الله بن الزبير، وهو لخولة، ومدحه، فوعده الشفاعة له،
فتكلمت خولة في النوار، وتكلم حمزة في الفرزدق، فأنجحت خولة
(وخاب حمزة)، وأمر عبد الملك بن الزبير أن لا يقربها حتى يصيرا إلى
البصرة، فيحتكما إلى عامله، فخرج الفرزدق فقال:

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زيانا
ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيح الذي يأتيك عريانا
وماتت النوار بالبصرة مطلقة منه، وصلى عليها الحسن البصري
رحمه الله.

ولما هجا الفرزدق بني منقر لسبب ظمياء، وهي عمه اللعين
(الشاعر) المنقري، فقال:

وأهون عيب المنقرية أنها شديد يبطن الخنظلي لصوقها
رأت منقراً سوداً قصاراً وأبصرت فتى دارميا كالهلال يروقها
فما أنا هجت المنقرية للصبى ولكنها استعصت عليها عروقها

استعدوا عليه زياداً، فهرب إلى المدينة وعليها سعيد بن العاصي،
فأمنه وأجاره وأظهر زياد أنه لم يرد به سوءاً، وأنه لو أتاه لحبائه
وأكرمهم، فبلغ ذلك الفرزدق فقال^(١).

دعاني زياد للعطاء ولم أكن لأقربه ما ساق ذو حسب وفرا
وعند زياد لو يريد عطاءهم رجال كثير قد يرى بهم فقرا
وإني لأخشى أن يكون عطاؤه أداهم سوداً أو محدرجة سمرا

وخال الفرزدق هو العلاء بن قرظة الضبي، وكان شاعراً، وكان
الفرزدق يقول: إنما أتاني الشعر من قبل خالي، وخالي الذي يقول:
إذا ما الدهر جر على أناس حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا: أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
وله يقول جرير:

كأن الفرزدق إذ يعوذ بخاله مثل الذليل يعوذ تحت القرمل
والقرمل: شجر ضعيف، تقول العرب: ذليل عاذ بقرملة^(٢).

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٣٤ - ١٤٠.

(٢) القرملة: شجر من الحمض ضعيف، لا ذرى لها ولا شرة ولا ملجأ، مثل يضرب لمن
يستعين به لا دفع له، ويأذل منه، مجمع الأمثال ١ / ٢٤٥، ولسان العرب ١٤ / ٧٣.

ولقى الفرزدق أبا هريرة، وقال له: يا فرزدق أراك صغير القدمين،
فإن استطعت أن يكون لهما غدا مقام على الحوض فأفعل، وقال
الفرزدق: سمعت أبا هريرة يقول على منبر المدينة: الذبيح إسماعيل.

وأنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك:

ثلاث واثنان فهن خمس وسادسة قميل إلى شامى
قبتن جنابتي مطرحات وبت أفض أغلاق الختام
كأن مقاتل الرمان فيه وجرم غضى قعدن عليه حام^(١)

فقال له سليمان: أخللت بنفسك، أفررت عليها عندي بالزنا، وأنا
إمام، فلا بد لى من إقامة الحد عليك! قال: ومن أين أوجبتة على؟
قال: لقول الله عز وجل: «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة» قال الفرزدق: فإن كتاب الله يدرؤه عنى، يقول الله تبارك
وتعالى: «والشعراء يتبعهم الغاؤون، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون
وأنهم يقولون ما لا يفعلون» فأنا قلت ما لم أفعل.

(١) الشعر والشعراء، ١ / ٤٧٨.

وأتى سليمان بأسرى من الروم، وعنده الفرزدق، فقال له: قم
فاضرب أعناق هؤلاء، فاستعفاه من ذلك فلم يعفده، ودفع إليه سيفاً
كليباً، فقام الفرزدق فضرب به عنق رجل منهم، فنبأ السيف، فضحك
سليمان ومن حوله، فقال الفرزدق:

ما يعجب الناس أن أضحكت خيرهم

خليفة الله يستشفى به المطر

لم ينب سيفي من رعب ولا دهش

عن الأسير، ولكن آخر القدر

ولس يقدم نفساً قبل ميتهما

جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

وقى ذلك يقول جرير:

بسيف أبي رغوان قين مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك، وقالوا: محدث غير صارم

فأجابه الفرزدق:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً عن كليب أو أخا مثل دارم

ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فقال:
أصبح في قيدك السماحة والـ جود وحمل الديات والإفضال
فقال له: أتمدحني وأنا على هذه الحال؟! قال: أصبتك رخيصاً
فأسلفتك.

ومما سبق إليه فأخذ منه أو سبق إليه فأخذه قوله:
ومنتكث عاللت بالسوط رأسه وقد كفر الليل الخروق الخوالي^(١)
يعنى بالمنتكث بغيراً انتكث أى هزل، وقال الآخر فى وصف سوط:
ومنتكث عاللت ملتائة به وقد حدر الليل النسور العوالي

وأخذ عليه قوله:
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلف
وقد أكثر النحويون فى الاحتيال لهذا البيت، ولم يأتوا فيه بشئ يرتضى^(٢)

(١) لسان العرب ٣ / ١٩ .

(٢) خزنة الأدب ١ / ١٥ ، ٢ / ٣٤٧ - ٣٥١ ، الشعر والشعراء ، ١ / ٤٨٠ .

وقوله: * وعندي حساماً سيفه وحمائله *
أراد حسام سيفه فثنى، ومثله لقيس بن الخطيم يصف الدرع:
* كأن قتيورها عيون الجنادب *

أراد قتيورها، والقتير: مسامير الدرع، ومثله قول جرير:
لما تذكرت بالديرين أرقنى صوت الدجاج وقرع بالنواقيس
أراد دير الوليد، فثنى، وهو دير مشهور بالشأم.

وعابه الأخطل بقوله:

أبني غدانة إننى حررتكم وهبتكم لعطية بن جعال
لولا عطية لاجتدعت أتوفكم من بين أأم أنف وسبال
وقال: كيف يهبهم له وهو يهجوهم هذا الهجاء؟ وقال عطية بن
جعال حين سمع هذا: ما أسرع ما رجع أخى فنى عطيته^(١).

(١) الشعر والشعراء، ١ / ٤٨١.

(ومن جيد الشعر قوله لجرير:

فإن تك كلباً من كليب فإنى من الدارميين الطوال الشقاشق
هم الداخولون البيت لا تدخلونه على الملك، والحامون عند الحقائق
ونحن إذا عدت معد قديمها مكان النواصي من وجوه السوابق
وقوله بهجوه: * ولو يرمى بلثوم بنى كليب * (الآبيات)

ومات الفرزدق قبل جرير، فلما بلغ جريراً موته قال:

هلك الفرزدق بعدما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم أطرق طويلاً ويسكى، فقبل له: يا أبا حزره ما أبكاك؟ قال:
بكيت لنفسي، إنه والله قل ما كان اثنان مثلنا أو مصطحبان أو
زوجان إلا كان أمد ما بينهما قريباً، ثم أنشأ بقول في رثائه:

فجعنا بجمال الديات ابن غالب وحامى تميم عرضها والبراجم
بكيناك حدثان الفراق، وإنما بكيناك إذ نابت أمور العظامم
فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ولا شد أنساع المطى الرواسم^(١)

ورثاه شاعر من قومه أو جرير بقوله:

(١) الشعر والشعراء، ١ / ٤٨٢.

لعمري لقد أشجى تميما وهدها على نكبات الدهر موت الفرزدق
عشية راحوا للفراق بنعشه إلى جدث في فجوة الأرض معق
لقد غيبوا في اللحد من كان ينتمى إلى كل بدر في السماء محلق
عسباد تميم كلها ولسانها وناطقها البذاخ في كل منطق
فمن لذوى الأرحام بعد ابن غالب لجار وعان في السلاسل موثق
ومن ليتيم بعد موت ابن غالب وأم عياله ساغبين ودرديق
ومن يطلق الأسرى ومن يحقن الدماء يذاه ويشفى صدر حران محنق
فتى عاش بينى المجد تسعين حجة وكان إلى الخيرات والمجد يرتقى
ومن إعجاب الفرزدق بالغريب، وكثرة إدخاله في شعره، قيل: لولا
شعر الفرزدق لذهب شعر العرب^(١)، وقد نقل عن أحد العلماء الأعلام
قوله: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة^(٢).

ولم يكن الفرزدق طويل النفس في شعره إلا في أهاجيه، مع أنه
كان يحفظ القرآن الكريم، حدث أحد من رآه قال: دخلت على
الفرزدق، فتحرك، فإذا في رجله قيد، قلت: ما هذا، يا أبا فراس؟
قال: حلقت أن لا أخرج من رجلى حتى أحفظ القرآن.

(١) خزائن الأدب ١ / ١٥٢.

(٢) الأغاني ١٩ / ٤٨.

وربما يرجع ذلك إلى سبب حكاه هو نفسه، فقد روى أنه التقى
بالحسن البصرى فى جنازة، فقال الحسن: أتدرى ما يقول الناس يا أبا
سعيد؟ قال الحسن: ما يقولون؟ قال الفرزدق: يقولون: اجتمع فى هذه
الجنازة خير الناس وشر الناس، قال الحسن: كلا، لست بخيرهم،
ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال الفرزدق: شهادة أن
لا إله إلا الله منذ ستين سنة، وخمس نجائب لا يدركن - يعنى
الصلوات الخمس^(١).

قال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التى مطلعها إن الذى سمك
سما:

سدت للشعراء سماً ناقعاً

فسقيت آخرهم بكأس الأول

وضعت على الفرزدق ميسمى،

وضفا البعيث جدعت أنف الأخطل

عزى الذى سمك السماء مجاشعاً

وبنى بناءك فى الحضيض الأسفل

(١) التاريخ الأدبى للعصرين الأموى والعباسى الأول ١٠٢ / ٢ - ١٠٣.

(١) ناقعاً: قاتلاً (هجا، مرأ).

الميسم: المكوى، يريد الشعر. ضفا: تذلل. جرع الأنف: قطعه.

سمك: رفع. مجاشع: قوم الفرزدق. الحضيض: أسفل الجبل.

بيتاً يحمم قينكم بفنائه دنساً مقاعده خبيث المدخل
 ولقد بنيت أحس بيت بيتنى فهدمت بيتكم بمثلى يذبل
 إنى بنى لى فى المكارم أولى ونفخت كيرك فى الزمان الأول
 أعيتك مآثرة القيون مجاشع فانظر لعلك تدعى من نهشل
 وامدح سراة بنى فقيم إنهم قتلوا أباك وثأره لم يقتل
 ودع البراجم إن شريك فيهم مر مذاقته كطعم الخنظل
 إنى انصبت من السماء عليكم حتى اختطفتك يا فرزدق من عل
 من بعد صكتى البعيث كأنه خرب تنفج من حذار الأجدل
 ولقد وسمتك يا بعيث بمسمى وضعا الفرزدق تحت حد الكلكل^(١)

(١) يحمم: يدخن فيه فيسوده. القين الخفاد، يرعى الفرزدق بأن قومه حنادهون.

يذبل: جبل مشهور بتجدد، يشبه به مجده.

أولى: آبائى، مآثرة: مكرمة، أى لا فخر لك فى مجاشع. تدعى: تنتسب. نهشل ومجاشع: أخوان من تميم.

سراة: جميع سرى، وهو الشريف. بنو فقيم: من دارم. الثار: يريد القاتل، وكان ذكوان الفقيمي سبب موت أبى الفرزدق، وقد عقر بعيرى أمه وأخته جعثن فى قصة طويلة.

البراجم: قوم من أولاد حنظلة بن ملك كما سبق. الشرب هنا: الحظ والنصيب. عل: أتلى.

الصك: الضرب الشديد. الخرب: ذكر الحبارى، طائر كالديك، تنفج: نفس ريشه خوفاً، الأجدل: الصقر، الكلكل: الصدر، الحد: الصلاة.

إنى إلى جيلى تميم معقلى ومحل بيتى فى اليفاع الأطول
 أحلامنا تزن الجبال رزاسة ويفوق جاهلنا فعال الجهل
 فارجع إلى حكى قريش؛ إنهم أهل النبوة والكتاب المنزل
 فاسأل إذا خرج الخدام وأحشمت حرب تضرم كالخريق المشعل
 والخيال تنحط بالكماة، وقد رأوا لمع الريئة فى النيف العيطل
 أبنو طهية يعدلسون فوارسى وينوخضاف، وذاك ما لم يعدل
 وإذا غضبت رمى ورائى بالحصى أبناء جندلتى كخير الجندل
 عمرو وسعد يا فرزدق فيهم زهر النجوم وبأذخات الأجيل
 كان الفرزدق إذ يعوذ بخاله مثل الذليل يعوذ تحت القرملى (١)

(١) المعقل: الملقب أو الجبل المرتفع، والمراد الشرف، اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

الجاهل: السفيه. حكما قريش: هاشم وعبد مناف.

الخدام: القوس المحجل، يعنى فى الفارة، أحشمت: أوقدت. تضرم: تشتعل.

تنحط: تصوت من الإعياء والتعب؛ الكماة، جمع كمي: المدجج بالسلاح. الريئة: طبيعة

الجيش. النيف: الطويل من الإبل. العيطل: الطويل العتق.

طهية: أم جماعة من تميم، منهم مجاشع ونهشل ودارم. خضاف: هم بنو مجاشع.

الحصى: العدد الكثير. جندلة: بنت تميم الأدرم، وهى أم يربوع قوم جرير.

عمرو وسعد: حليفا عشيرة جرير. زهر النجوم: النابهون. بأذخ: عظيم. الأجيل، جمع

جبل، والمراد: عظام الرجال.

يعوذ: يحتسى، القرملى: شجر ضعيف بلا شوك، ومنه المثل: ذليل عاذ بقرملة.

واقخر بضبة إن أمك منهم ليس ابن ضبة بالمعم المخول
وقضت لنا مضر عليك بفضلنا وقضت ربيعة بالقضاء الفيصل
إن الذي سمك السماء بنى لنا عزا علاك فما له من منقل
أبلغ بنى وقبان أن حلومهم خفت؛ فلا يزنون حبة خردل^(١)
وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التي مطلعها يا ابن المراغة،
ويهجوا الأخطل:

يا ذا العباة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بنى شيبان
بكر أحق بأن يكونوا مقنعاً أو أن يفوا بحقيقة الجيران
قتلوا كليبيكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان^(٢)

(١) ضبة: من طابخة أخوال الفرزدق، المعصم: الكريم الأعمام. والمخول: كريم الأخوال.
ربيعة ومضر: شعبا عدنان العظيمان. الفيصل الفاصل بين الحق والباطل.
منقل: متحول وانتقال. وقبان: لقب مجاشع، معناه الحمقى. حلوم، جمع حلم: العقل
والرزانة.

(٢) ذو العباة الأخطل والعباة مسح نصراني (كساء). بشر بن مروان بن الحكم.
النشوان: السكران. يعيره بما رشاه به محمد بن عطار من زق خمر وحلة ليفضل الفرزدق
على جرير.
بنو شيبان من بكر. والأخطل تغلبي وكانت بين بكر وتغلب عداوة منافسة.
مقنع إقناع وكفاية. حقيقة: حق وحمى.
كليبي: فارس وشاعر جاهلي. وهو خال امرئ القيس. وكان تغلبياً قتل في حرب
اليسوس، لقحة: ناقه. خزر: ضيق العيون أي لثام. الهجان: الخيل.

كذب الأخيطل إن قومي فيهم تاج الملوك وراية النعمان
منهم عتيبة والمحل وقعب والحنتفان ومنهم الردفان
إني ليعرف في السرادق منزلي عند الملوك وعند كل رهان
ما زال عيص بنى كليب في حمى أشب ألف منابت العيصان
الضارين إذا الكماة تنازلوا ضربا يقدر عواتق الأبدان
وحمى الفوارس من غدانة إنهم نعم الحماة عشية الإرنان
إنا لنستلب الجبابر تساجهم قابوس يعلم ذاك والجونان
ولقد شفوك من المكسوى جنبه والله أنزله بدار هوان^(١)

(١) تاج الملوك: يشير إلى أن الخلافة في قومه مضى إذذاك. راية النعمان: أي قديماً لأنهم أسروا قابوس بن المنذر.
هؤلاء المذكورون من يربوع رهط جرير يفخر بعامدهم.
السرادق: ما يد فوق صحن البيت. ويريد المجتمع أو النادي.
العيص: الأصل. أشب: شجر متكاثف. العيصان: جمع عيص. بنو كليب: قبيلة جرير من تميم. يقول إن أصلنا عزيز منيع لا يرام.
يقدر: يقطع. عواتق جمع عاتق: ما بين المنكب والعنق. الكماة: الأبطال المفرد كمي.
الأبدان: الفروع المفرد بدن.
الفوارس: هم وكيع بن حسان ومن شهده من بنى غدانة حين قتل قتيبة بن مسلم وغلب على منابر خراسان. عشية الإرنان: يريد عشية تكثر فيها الأصوات.
نستلب الخ: تفتصب الملوك نفوسهم يشير إلى حادثة قابوس. الجونان: حسان ومعاوية من كندة. (راجع كتاب النقائض بين جرير والفرزدق صفحة ٤٠٥ طبع أوروبا).
المكسوى جنبه: رجل يسمى الشمردى من بكر حرق جنبه ثم قتله قيس باليلخ.

جارت مطلع الجراء بتابه روق شبيته وعمرك فانى
 ما زلت مذ عظم الخطار معاوداً ضبر المنين وسبق كل رهان
 مازال منزلنا لتغلب غالباً والله شرف فسوقهم بتيانى
 فاقبض يديك فإننى فى مشرف صعب الذرا متمنع الأركان
 ولقد سبقت فما ورائى لاحق بدءاً وخلقى فى الجراء عنانى
 نزع الأخطل حين جد جراؤنا حطم الشوى متكسر الأسنان
 قل للمعرض والمشور نفسه من شاء قاس عنانه بعنانى (١)

(١) المطلع: الضابط الأمر القوى عليه. الجراء: المفاخرة، روق الشباب أوله: أى فاخرت
 من هو أقوى منك.
 الخطار: جمع خطر: السبق يتراهن عليه. الضبر: الوثب: المنين: أراد المنين من الغلاء
 جمع غلوة: رمية السهم، والمعنى أى ما زلت غالباً مذ قامت المهاجاة والمفاخرة بيننا.
 أى أعلى منزلتنا وشرفنا عليهم، المشرف العالى: يريد نسبة. صعب الذرا لا يرام
 لصعوبته والذرا جمع ذروة أعلى الشئ. متمنع الأركان: صعب الجوانب لا يرتقى.
 بدء: أول الأمر: أى منذ بدأ السباق. العنان: سير اللجام، وترك العنان يكون للفرس غير
 الصعب معتاد السباق، وإنما يصف الشاعر نفسه باعتياده المفاخرة والفوز فيها.
 نزع: كلف لما علم أنه مسبق بالمشرف. حطم: متكسر. الشوى: القوائم: يشبه الأخطل فى
 تخلفه بالكلب الذى تكسرت قوائمه وأسنانه فى العراك ففر هارباً.
 المشور: المفضل أو المروض المختبر. يريد من شاء مفاخرتى بالمجد تقدم ليرى مكانتى.

وقال جرير يهجو الأخطل:

لا يتصلن إذا افتخرن بتغلب ورزقن زحرف نعمة وجلالا
طرق الخيال لأم حزرة موهنا ولحب بالطيف الملم خيالا
إنى جعلت فلن أعافى تغلبا للظالمين عقوبة ونكالا
قبح الاله وجوه تغلب إنها هانت على مراسنا وسبالا
عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا
ولو ان تغلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم تزن مشقالا
قبح الإله وجوه تغلب كلما شبح الحجيج وكبروا إهلالا
لا تطلبن خنولة فى تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا
لولا الجزى قسم السواد وتغلب فى المسلمين فكنتم أنفالا
ورجا الأخطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وأب له لينالا^(١)

(١) لا يتصلن: الحديث عن الظفان، تغلب: قبيلة الأخطل، أم حزرة: زوجة جرير، وحزرة: ابنه الأكبر، مراسن: جمع مرسن، وهو الأنف، السبال: جمع سبل: ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية، شبح: رفع يده بالدعاء، الجزى: جمع جزية، السواد: المراد به سواد العراق، وهى مساكن تغلب.

مر على الفرزدق رجل فيه لين، فقال له: من أين أقبلت عمتنا؟
فقال: نفاها الأغر بن عبد العزيز، فكأن الفرزدق صب عليه الماء، لأنه
عرض له يقول جرير فيه، حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة:

نفاك الأغر بن عبد العزيز وحقك تنفى من المسجد

وقد نظم جرير في نسب الفرزدق، وادعى عليه، وادعى أنه صحيح
فقال:

من ثم أنت بعلة بأشر شيخ في جميع نزار
لا تفخرن بغالب ومحمد وافخر بعيس كل يوم فخار^(١)
ومن موجه هجاء جرير للفرزدق:

كذب الفرزدق لن يجارى عامرا يوم الرهان بمقرف مبهور
ولقد جهلت بشتم قيس بعد ما ذهبوا بريش جناحك المكسور
لن تدركوا غطفان لو أجريتم يا ابن القيون ولا بنى منصور
فخروا عليك بكل سام معلم فافخر بصاحب كلبتين وكبير
كم أنجبوا بخليفة وخليفة وأمير صانفتين وابن أمير^(٢)

(١) العمدة ١ / ٦٣.

(٢) مقرف: أبوه أعجمي، وكان يرمى جد الفرزدق بأن أباه قين أعجمي، صانفتين:
تغليب الصيف على الشتاء، أي أمير الجيش في الصائفتين، والصائفة: الكتيبة تغزو الروم
في الصيف بسبب برد بلادهم.

وقال الأخطل بفضل الفرزدق على جرير: (١)

ما بال قوم لا تغيب أذاتهم قعس الظهور من الحبين بطنان
هم هيجوا حربى وما لهم بها لو واجهتهم باللقاء يدان
حرب امرئ ما إن يرث سلاحه أبدا ولا يغتر بالحدثان
قبح الإلة بنى كليب إنهم لا يحفظون محارم الجيران
وإذا تنودب للمكارم والعللا لم يندبوا لترادف الأعوان
أجرير إنك والذي تسمو له كأسيفة فخرت بحدج حصان
حملت لريتها فلما عوليت نسلت تعارضها مع الأظعان (٢)

(١) المنتخب من أدب العرب ٤ / ١٠٨ - ١١١.

(٢) ما بالهم: أى ما حالهم وما حصل لهم. لا تغيب: لا تنقطع. قعس الظهور، مفرده أقعس، وهو: من خرج صدره ودخل ظهره، ضد الأحدب، الحبين: وجع فى البطن. بطنان: مظام البطن، المفرد: بطن وبطين. بطنان صفة لقوم (جرير).
ما لهم بها يدان: أى ليست عليها قدرة. يرث: يبلى. الحدثان: الثوائب. لا يغتر بالحدثان: لا تأخذ الثوائب على غرة لاستعدادها لها دائماً.
بنو كليب: رهط جرير. محارم، جمع محرم وهو: ما لا يحل انتهاكه، تنودب: تدب الناس ودعوا. الترادف هنا: التعاون، يقول: لا يصلحوا للمكارم والمعالي.
تسمو له: تتعلق به من مفاخر ليست لك. الأسيفة الأمة. الحدج: مركب النساء على البعير كالهودج. الحصان هنا: الحرة ضد الأمة. يقول: إن فخرك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها.
أى: حملت حدج سيدتها. عوليت: علت الحدج. نسلت: أسرعت. تعارضها: أى تعدو حياها. الأظعان: النساء فى الهودج.

أتمد مآثرة لغيرك فخرها وسناؤها فى سالف الأزمان
تاج الملوك وفخرهم فى دارم أيام يربوع مع الرعيان
متلطف فى برودة حقيبة بفتساء بيت مذلة وهوان
يعذو بنيه بثلة مُذمومة ويكون أكبر همه ريقان
سبقوا أباك بكل مجمع تلة بالمجد عند مواقف الركبان
اخساً كليب، إليك. إن مجاشعاً وأبا الفوارس نهشلاً أخوان
قوم إذا خطرت عليك قرومهم طرحوك بين كلا كل وجران^(١)
وقال الفرزدق يذكر تفضيل الأخطل إياه على العشرة ويمدح بني
تغلب ويهجو جريراً:
يا ابن المراغة والهجاء إذا التقت أعناقه وتماحك الحصان^(٢)

(١) مآثرة: محمودة ومفخرة. السناء: الشرف. سالف الأزمان: ماضيها. يقول له: تقخر بمآثر مضروأنت من فخذ حقير وهو يربوع لا مجد له.
دارم: رهنط الفرزدق. ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر. الرعيان جمع راع، وهو: من يقوم على الماشية يخدمها. حقيبة: نسبة إلى صانع أو إلى نوع من الغنم. التلة: الصوف أو جماعة الغنم. الريقان مثنى ريق: جبل يشد فى عنق اليهم. التلة: ما علا من الأرض. عند مواقف الركبان: أى عند المفاخرة والتحاكم. اخساً: اهتمتد محققراً. إليك: تنح وإبعد. مجاشع: قبيلة الفرزدق. نهشل: قبيلة من قميم كمجاشع.
خطر الجمل بذنيه: رفعه مرة بعد أخرى. القروم: القحول والأماجد، جمع قرم. والكلا كل جمع كلكل وهو: الصدر. والجران: صفحة العنق. يقول: إن رجالهم يعلنون عليك مفاخرة.
(٢) ابن المراغة: جرير. خير الهجاء متعلق إذا، أى حاصل وذاتج... الخ أعناقه: جماعته، يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض. تماحك: تخاصم وتقادى.

يا ابن المراغة إن تغلب وائل رفعوا عناني فوق كل عنان
كان الهذيل يقود كل طمرة دهماً مقربة وكل حصان
يصهلن بالنظر البعيد كأنما إرناها ببوائن الأشطان
يقطعن كل مدى بعيد غوله خيب السباع يقدن بالأرسان
وكان رايات الهذيل إذا بدت فوق الخميس كواسر العقبان
وردوا إراب بجحفل من وائل لجب العشى ضبارم الأركان
وبيت فيه من المحافة عائداً ألف عليه قوانس الأبدان^(١)

(١) تغلب من ربيعة قوم الأخطل. العنان بالكسر: سير اللجام، وبالفتح: الجانب، وهو الأنسب هنا. أي: الهذيل بن عبيدة. الطمرة: الفرس الطويلة السريعة. الدهماء: السوداء. مقربة: أي قريبة إليهم لكرمها وسرعتها يعدون إليها حين الفزع. الصهيل: صوت الخيل. الإرنا: التصويت. البوائن: الآبار، المفرد بيون وهي البئر التي يصيب حولها نواحيها، الأشطان، جمع شطن: الخيل. يقول: كأنها تصل من آبار بوائن لسعة أجواقها بومعنى يصهلن بالنظر البعيد: أنها تصل إذا رأت شيئاً من بعد لحدة نظرها ونشاطها. كل مدى: كل غاية بعيدة. غوله: بعده. الخيب للفرس: عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه تارة أخرى. الأرسان جمع رسن: الخيل. يشبه الخيل بالسباع في العدو. الخميس: الجيش الضخم. كواسر العقبان: أي المنقضة من العقبان، جمع عقاب: طائر من الجوارح، وهذا وصف لإسراع الخيل. إراب: موضع، وهو يوم بين بني يربوع ويكر بن وائل، يقودهم الهذيل هذا. الجحفل: الجيش الكثير الخيل. لجب العشى: كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعقب، فالأصوات كثيرة. الضبارم: الغليظ. الأركان: النواحي، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة. عائداً: محتمياً. القوانس: أعالي البيض من الحديد، المفرد قونس. الأبدان: الدروع غير السوابغ. يقول: يعتاد بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون.

تركوا لتغلب إذ رأوا أرماحهم بإراب كسل لثيمة مدران
تدمى - وتغلب يمنعون بناتهم - أقدامهن حجارة الصوان
يمشين فى أثر الهذيل وتارة يردفن خلف أواخر الركبان
لولا أناتهم وفضل حلومهم باعوا أياك بأوكس الأثمان
والخوفزان أميرهم متضائل فى جمع تغلب ضارب بجران
أحبين تغلب إذ هبطن بلادهم لما سمن وكن غير سمان
يمشين بالفضلات وسط شروبيهم يتبعسن كسل عقيرة ودخان
يتتابعون إذا انتشوا بيناتكم عند الإياب بأوكس الأثمان
واسأل بتغلب كيف كان قديمها وقديم قومك أول الأزمان
قوم هم وقتلوا ابن هند عنوة عمراً، وهم قسطوا على النعمان^(١)

(١) مدران: كثير الوسخ. أى خلوا نساءهم وهربوا.

تدمى: تسيل دمها، والفاعل حجارة، وأقدامهن مفعول. وذلك لأنهن يسقن حفاة.

يردفن، الردف: الراكب خلف الراكب.

أوكس: أبخسر. يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب وكذلك

غزاها الخوفزان بن وائل، فلما التقى الجيشان سار الخوفزان تحت لواء الهذيل. متضائل:

متصاغر. الجران: مقدم عنق البعير، وضرب بجرانه: برك.

الفضلات: الخمر، أى يسقن الرجال ويخدمتهم. الشروب: القوم يشربون الخمر، يتبعسن

كل عقيرة: يستمعن الغناء. دخان: أى موضع الطبخ والشواء. انتشوا: سكروا.

ابن هند: عمرو بن هند ملك الحيرة. يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتلته فى قصة

مشهورة. قسطوا: جاروا. النعمان بن المنذر: من ملوك الحيرة أيضاً.

قتلوا الصنائع والملوك ، وأوقدوا نارين قد علتنا على التيران
لولا فوارس تغلب ابنة وائل نزل العدو عليك كل مكان
حبسوا ابن قيصر وابتنوا برماحهم يوم الكلاب كأكرم البنيان
إن الأرقام لن ينال قديمها كلب عسوى متهتسم الأسنان
قوم إذا وزنوا بقوم فضلوا مثلى موازنهم على الميزان^(١)
وقال الفرزدق يهجو جريراً^(٢):

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمها أعز وأطول
بيتاً بناه لنا المليك ، وما بنى حكم السماء فإنه لا يتقل
بيتاً زرارة محتب بفنائسه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
يلجون بيت مجاشع وإذا احتبوا برزوا كأنهم الجبال المثل^(٣)

(١) صنائع الملوك: أنصارهم، المفرد صنيعه. أوقدوا نارين: إشارة إلى يوم خزازى لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل.

يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحارث الكندى عم امرئ القيس.

الأرقام: حى من تغلب، متهتسم: متكسر، والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم.

(٢) المنتخب من أدب العرب ٤ / ١١٤ - ١١٩.

(٣) سمك: رفع الدعائم، جمع دعامة وهي: عمود البيت. أعز: أقوى. المليك: اللد جل جلاله. حكم السماء: أى القوى المقتدر. لا يتقل لا يزول. يريد بيت شرف وعز، زرارة ومجاشع ونهشل: أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق، يفخر على جرير، يلجون: يدخلون. احتبوا: اشتملوا بالشوب، المثل: الراسيات، جمع مائل.

لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم أبدأ إذا عد الفعال الأفضل
من عزهم حجرت كليب بيتها زوراً كأنهم لديه القملى
ضرت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليه به الكتاب المنزل
أين الذين بهم تسامى دارماً أم من إلى سلقى طهية تجعل؟
يمشون فى حلق الحديد كما مشت جرب الجمال بها الكحيل المشعل
والمانعون إذا النساء ترادفت حذر السباء جمالها لا ترحل
يحمى إذا اخترط السيوف نساءنا ضرب تخر له السواعد أرعل^(١)

(١) فناء البيت: الساحة أمامه. الفعال يفتح الفاء: الفعل الحسن، والخطاب لجرير، أى ليس لك رجال أشرف كهؤلاء المعدودين تفاخرنى بهم.
كليب: قوم جرير. حجرت: دخلت زوراً كأنه الحجر. الزوب: حفيرة تتخذ نجس الجداء.
القملى: جمع قملة: كالجرادة وأقل منها.
يعنى أنه بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت. والشرط الثانى إشارة إلى الآية الكريمة «وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت».
تسامى: تفاخر. طهية: أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير. تجعل هنا: معناها تقرر بها وتباهى.
الملق: جمع حلقة وهى الدرع. جرب الجمال: أى الجمال المصابة بداء الجرب. الكحيل: القطران.
المشعل: الكثير. يشبه الرجال فى عظمتهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهتومة بالقطران.
ترادفت: ركب بعضهن خلف بعض. السباء: الأسر فى الغارات. لا ترحل: لا توضع عليها الرحالة للعجلة. يقول: إن قومى يمنعون حرهم إذا كانت الغارات وقرعت النساء فركبت الجمال عزيرات.
اخترط: سل. تخر: تسقط: أرعل: مسترخ مائل، وهو صفة لضرب. وإنما يريد أنه يميل ما قطع فيسترخى.

ومعصب بالتاج يخفق فوقه خرق الملوك له خميس جحفل
ملك تسوق له الرماح أكفتنا منه تعل صدورهن وتنهل
قدمات في أسلاتنا أو عضه عضب برونقه الملوك تقتل
ولنا قراسية تظل خواضعا منه مخافتسه القروم اليزل
متخبط قطم له عادية فيها الفراقد والسماك الأعزل
ضخم المناكب تحت شجر شئونيه ناب إذا ضغم الفجولة مقصل
وإذا دعوت بنى فقيم جأني مجر له العدد الذي لا يعدل^(١)

(١) معصب: متزوج، والوارث وأورث، وما بعدها مبتدأ، وقد مات خبره - يعنى حسان وقابوس ابني المنذر. خرق الملوك: الرايات. الخميس: الجيش الضخم. الجحفل: الكثير الخيل. منه: أي من الملك - تعل وتنهل من الدم، والنهل: يريد به الطعن الأول، والعلل: الطعن الثاني.
الأسلات: الرماح، المفرد أسلة. العضب: السيف القاطع. رونقه: قرنده وجوهه.
القراسية: الضخم الغليظ من الإبل. يقول: لنا عز قديم سيبه بالفحل وهو القراسية. القروم: جمع قرم، وهو السيد أو الفحل الكريم. اليزل: جمع يازل، وهو الذي نبت نايه.
متخبط: متعصب في كبر. قطم: هائج. عادية: أولية قديمة. وأصل الفرقد نجم يهتدى به، والسماك الأعزل يكون في نوء المطر، أي لنا عز وشرق عال كما كان النجوم التي لا تنال، بعضنا يقتدى به والبعض كرم يستقى منه.
الشجر: مجتمع اللحيين. الشئون: ملتقى قبائل الرأس، الواحد شأن. ضخم: عض. مقصل: قاطع.
فقيم: من دارم، عشيرة الشاعر. المجر: الجيش الكثير العدد - لا يعدل: ليس له عدل من غيره، أي نظير.

وإذا الربائح بفاعى دفعا هوسا صوباً كأقروم الجسراد المرسول
 هذا وقسى شلووتى جسرثوصمة صعب، وثناكبها فرياق عبيطابل
 وإذا البراجم بالقروم تخططروا تولسى بأغلب حمزه لا ينزل
 وإذا بذخت ورايتى يمشى بها سفيان أرتدى الفعال وجنسدك
 الأكثرون إذا ومد صصاعهم والأكثرون إذا يعسد الأول
 وزحلت عن عتب الطريق وأم تبا، قدمك بحيث تقوم سد المنقل
 إن الزحمام لغيركم فتحسينوا ورد العشى إليه يغلى المنزل (١)

(١) الربائح، جمع ربيعة وبني ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى. الدفاع: دفاع السيل
 حين يكثر ويمتد. شبه كثرة الرجال بالسيل حين يتجمع.
 العدوية: فكوبة بنت مالك من زيد مناة نسب إليها بنو عذ. الجرثومة: الأصل والشراب
 يجتمع في أصل الشجرة فيرتفع على ما حوله. صعب ثناكبها: يثنى ثوابها. ثناء - طويلة
 مشرفة. عبيطل: طويلة.
 البراجم في الأصل: رموس الأشجار التى هي أصول الأصابع؛ والمراد هنا: بنو حنظلة بن
 مالك، وهم خمسة تبرجوا على سائر إخوانهم. القروم: الفحول: تخاطروا كما تنظر الفحول
 بأذناها إذا تهدد بعضها بعضاً. الأغلب: الغليظ العنق.
 بذخت: فخرت في كبر. والأسماء المذكورة في البيت من بني دؤب.
 صصاعم: عدهم. الأول: يعنى من الأباء والأجداد أو المسامى والأفعال.
 زحلت: تنحيت، والمخطاب لجرير. العتب: الغلظ في ارتفاع، أى عن وضع الطريق.
 المنقل: الطريق في الجبل. يقول: إذا سكنا تنحيت لنا، وسد عليك الطريق، فلم تدر أين
 تسير وتضع قدميك.
 ورد العشى: ورود الماء ليلاً. يقول: إنكم لضعفكم ومهانتكم لا قبل لكم بالزحمام، بل
 تشيرون من فضل غيركم.

حلل الملوك لباسنا فى أهلنا والسايغات إلى الوغى نتسريل
أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل
فادفع بكفك إن أردت بناءنا تهلان ذا الهضبات هل بتحلل
وأنا ابن حنظلة الأغر وإنسى فى آل ضبة للمعم المخول
فرعان قد بلغ السماء ذراهما وإليهما من كل خوف يعقل
فلئن فخرت بهم لمثل قديمهم أعلو الحزون به ولا أتسهل
زيد الفوارس، وابن زيد منهم وأبو قبيصة، والرئيس الأول
أوصى عشية حين فارق رهطه عند الشهادة فى الصحيفة دغقل
أن ابن ضبة كان خيراً والدا وأتم فى حسب الكرام وأفضل^(١)

(١) الحلة: إزار ورداء. السايغات: الدروع. الوغى: الحرب. نتسريل: تتقمص، فهم فى السلم ملوك، وفى الحرب ليوث. الأحلام، جمع حلم: الصبر أو الأناة أو العقل، وضده الجهل والسفه. رزانة: وقاراً. تهلان: جبل عظيم يتجدد الهضبات، جمع هضبة: الجبل الصغير. هل يتحلل: أى هل يزول ويتحرك، فكذلك عزنا.

حنظلة: هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر، وأمه من ضبة. الأعز: المشهور بالعز والشرف. المعم المخول: الكريم الأعمام والأخوال. ذروة كل شئ: أعلاه. يعقل: يلجأ إليهما الناس عند المخاوف. الحزون: ما غلظ من الأرض، مفرد حزن. السهل: ما سهل ولان. يعنى أن فخره بهؤلاء يسمو به. زيد الفوارس: هو زيد بن حصين. سى بذلك لأنه والى بين سبعة فوارس فى ثار أبيه حصين. وابنه: هو الحصين بن زيد. وأبو قبيصة: خوار بن عمرو منهم أيضاً. والرئيس الأول: محلم بن سويط من سعد بن ضبة. رهط الرجل: قومه الأذنون. دغقل: هو ابن حنظلة النسابة من وائل. وهو فاعل أوصى. بنو ضبة: رهط الشاعر لأمه. الحسب: مفاخر الآباء.

من يكون ينو كليب رهطه أو من يكون إليهم يتخول
 وهم على ابن مزيقاء تنازلوا والخيل بين عجاجتها القسطل
 وهم الذين على الأميل تداركوا نعماً يشل إلى الرئيس ويعكبل
 ومحرقاً صفدوا إليه يمينه بصفاد مقتسر أخوه مكبل
 ملكان يوم بزاحة قتلوهما وكلاهما تاج عليه مكلل
 وهم الذين علوا عمارة ضربة فوهاً فوق شتونه لا توصل
 وهم إذا اقتسم الأكابر ردهم واف لضبة، والركاب تشلل (١)

(١) ينو كليب: رهط جرير. يتخول: من الخوذة، أي يدعيهم أخوالاً، فهو في هذه
 الأبيات يفضل نفسه نسباً وحسباً على جرير.
 ابن مزيقاء: هو الحارث بن عامر قتله أحد بنى ضبة، وأبناء محرق وزباد قتلها زيد
 الفوارس. تنازلوا: نزلوا في ساحة القتال فتضاربوا. المجاجتان، مشى عجاجة: الدخان
 والغبار. القسطل: الغبار. والمقصود أن الغبار سائر بين الجيشين المتحاربين.
 الأميل: رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين. وهو كذلك اسم يوم لجنس ضبة
 على بنى شيبان، وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني أغار على بنى ضبة،
 فاستاق ألف بعير لئالك بن المتفق رئيس بنى ضبة، فتداركت ضبة الخيل وردت النسم. يشل:
 يطرد. يعكبل: يرد يحبس. محرق: سبق ذكره. صفدوا: جمعوا، أي أسروه واستوثقوا منه.
 الصفاد: القيد أو الحديد الذي قيد فيه. أخوه: صاحبه، أي صاحب هذا الصفاد مقتسر
 ومغتصب.

بزاحة: واقعة لضبة على غسان. والملكان: محرق وزباد كما سبق. مكال: معقود فوق
 رأسه. عمارة بن زياد العيسى قتله شرحاف الضبي يوم أعيار. فوهاً: واسعة ذات قم واسع.
 الشتون: ملتقى قبائل الرأس، الواحد شأن، ومن الشتون تجرى الدموع. لا توصل: لا تلتصق.
 اقتسم الأكابر: أسروا وتوزعوا. والأكابر: شيبان وعامر وجليحة من بنى تميم الله بن ثعلبة،
 وأجارهم بدر بن حمراء الضبي، فوفى لهم. تشلل: تطرد.

بما إذا غمار اللثام وأنى به سببه ودموية ما جسد لا يزال
وعشيرة الجمل الجبال ضاربوا ضرباً شتوياً فراشه تنزير

☆ ☆ ☆

يا ابن المراغة أين خالك إننى خالى عبيش ذو الفحال الأفضل
خالى الذى غصب الملوك نفوسهم وإليه كان حياء جفنة ينقل
إننا لنضرب رأس كل قبيلة وأبوك خلف أثمانه يتقمل
وشغلت عن حسب الكرام وما بنوا إن اللثيم عن المكارم يشغل
إن التى فقتت بها أبصاركم وهى التى دمغت أباك الفيصل^(١)

(١) جار: يعنى بدر بن حمراء الضبي. الماجد: جيرانه من بنى نيم الله الذين اتجأ إليهم في إحدى السنين فوفوا له.
الجمل: رقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل فيها من بنى ضبة كثير. الفراش: جمع فراشة: كل رقيق من العظم أو الحديد. تنزير: تنفريق.
ابن المراغة: جرير. عبيش: من ضبة أسر عمرو بن الحارث الفسائي، فجز ناصيته، واشترط عليه أن يبعث إليه كل سنة بحياء حتى يموت.
الحياء: العطية، والمراد هنا الضريبة. جفنة: من آباء القساسنة إليه ينسبون، ويسمون آل جفنة ملوك الشام في الجاهلية.
الرأس: الرئيس. الأتان: الحمارة. يتقمل: يكثر قمله.
اللثيم اللذي الأصل والبخيل.
دمغت: أي بلغت دماغه. الفيصل: مقطع الحق فيما بيننا وبينكم. وهذه القصيدة كانت تسمى الفيصل.

وقال الفرزدق يهجو جريراً:

ولو ترمى بلؤم بنى كليب نجوم الليل ما وضحت لسا
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضع النهار
وما يغدو عزيز بنى كليب ليطلب حاجة إلا يجار

ومن موضع هجاء الفرزدق فى جرير قوله:

أرى الليل يجلوه النهار ولا أرى عظام المخازى عن عطية تنجلي
أمن جزع أن لم يكن مثل غالب أبوك الذى يمشى بريق موصل
وإن تهج آل الزسقان فإنما هجوت الطوال الشم من هضب يذبل
وقد ينبح الكلب النجوم ودونها فراسخ تضنى العين للمتأمل
فما ثم فى معد ولا آل مالك غلام إذا ما قيل لم يتهدل
لهم وهب النعمان بردى محرق بمجد معد والقديد المحصل^(١)

(١) آل الزسقان: هم آل بهدلة، لم يتهدل: لم ينتسب إلى بهدلة بن عوف، أى إلى هذه القبيلة.

وهؤلاء الشعراء الذين ذكرهم الهمذاني في هذه المقامة يعدون من المشاهير، كما ذكر ابن رشيقي، حيث قال: (١)

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم، وسار شعرهم، وكثر ذكرهم، حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له، وقل ما يجتمع على واحد، إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس « أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار » يعنى شعراء الجاهلية والمشركين. قال دعبل بن علي الخزاعي: ولا يقود قوماً إلا أميرهم.. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء: امرؤ القيس سابقهم: خسف لهم عين الشعر فاقتقر عن معان عور أصح بصر. يعنى أن امرأ القيس من اليمن، وأن اليمن لهم فصاحة نزار، فجعل لهم (معانى) عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر، وامرؤ القيس يعانى النسب، نزارى الدار والمنشأ، وفضله على رضى الله عنه بأن قال: رأيتهم أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة.

- وقد قال العلماء بالشعر: إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء؛ لأنه قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لأنه قيل أول من لطف المعانى، واستوقف على الطلول، ووصف

(١) العمدة / ١ - ٧٦ - ٨٢.

النساء بالظباء والمها والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصى، وفرق بين النسب وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام: فقيده الأوابد. وأجاد الاستعارة والتشبيه.

روى الجمحي أن سائلاً سأل الفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: ذو الفروج، قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول:

وقاهم جدهم بينى أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

وأما دعبل فقدمه بقوله في وصف عقاب:

ويلمها من هواء الجو طالبةً ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب.

وسئل لبيد: من أشعر الناس؟ قال: الملك لضليل، قيل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل، قيل: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل - يعنى نفسه - .

وكان الخنّاق يقولون: الفحول في الجاهلية ثلاثة، وفي الإسلام ثلاثة متشابهون: زهير والفرزدق والنابغة والأخطل، والأعشى وخزير^(١).

وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة: كفاك من الشعراء أربعة:

(١) العمدة ١ / ٧٧.

زهير إذا رغب، والنايغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا
كلب، وزاد قوم: وجريز إذا غضب.

وقيل لكثير - أو لتصيب - من أشعر العرب؟ فقال: امرؤ القيس
إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنايغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب.

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النايغة؛ ويقول: هو أحسنهم
شعراً، وأعذبهم بحراً، وأبعدهم قعراً. وسئل الفرزدق مرة: من أشعر
العرب؟ فقال: بشر بن أبى خازم؛ وسئل جرير أيضاً فقال بشر بن أبى
خازم.

وقال محمد بن أبى الخطاب فى كتابه الموسوم بجمهرة أشعار
العرب: إن أبا عبيدة قال: أصحاب السبع التى تسمى السمط: امرؤ
القيس، وزهير، والنايغة، والأعشى، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة.
قال: وقال المفضل: من زعم أن فى السبع التى تسمى السمط لأحد
غير هؤلاء فقد أبطل. فأسقط من أصحاب المعلقات عنتره، والحارث
بن حلزة، وأثبت الأعشى والنايغة^(١).

وقال الجمحي فى كتابه: سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً: من أشعر
الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألنى أو الإسلام؟ قال: ما أردت إلا
الإسلام فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرنى عن أهلها، قال: زهير شاعرهم،

(١) العدد ٧٨ / ١.

قال: قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر في يده، قلت
فالأخطل؟ قال: يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر، قلت: فما تركت
لنفسك؟ قال: دعني فإني نحرت الشعر نحراً.

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر
الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته، فقال: أشعر شعراء الجاهلية
امرؤ القيس، وأضربهم مثلاً طرفة، وأما شعراء الوقت فالفرزدق
أفخرهم، وجرير أهجهم، والأخطل أوصفهم.

وسأل ابن عباس الخطيئة:

فقال الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره، ومن لا يتق الشتم يشتم

وليس الذي يقول:

ولست بمستيق أخاً لا تلمه على شعث، أي الرجال المهذب^(١)

وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول: أشعر الناس أربعة:
امرؤ القيس، والنابغة، وطرفة، ومهلهل. قال: وقال المفضل: سئل
الفرزدق فقال: امرؤ القيس أشعر الناس، وقال جرير: النابغة أشعر
الناس، وقال الأخطل: الأعشى أشعر الناس، وقال جرير: زهير أشعر
الناس.

(١) العمدة / ١ / ٧٩.

وقيل لنصيب مرة: من أشعر العرب؟ فقال: وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهير والنابغة والأعشى فى النفوس..

والذى أتت به الرواية عن يونس بن حبيب النحوى أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة،، وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابغة أحداً، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً.

وروى ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أنشدنى لأشعر شعرائكم، قلت من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: ولم كان كذلك؟ قال: كان لا يعاظر بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام: قال أهل النظر: كان زهير أحصفهم شعراً، وأبعدهم من سخف، وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من المنطق، وأشدهم مبالغة فى المدح^(١).

وأما النابغة فقال من يحتج له: كان أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأذهبهم فى فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، ومدحاً، وهجاء، وفخراً، وصفة.

وقال بعض متقدمى العلماء: الأعشى أشعر الأربعة، قيل له: فأين

(١) العمدة / ١ / ٨٠.

الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأ القيس بيده لواء الشعراء؟ فقال بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت، وذلك أنه ما من حامل لواء إلا على رأس أمير، فامرؤ القيس حامل اللواء، والأعشى الأمير.

وقالت طائفة من المتعقبين: الشعراء ثلاثة: جاهلي، وإسلامي، ومولد، فالجاهلي امرؤ القيس^(١).

(١) العنفة ١ / ٧٦ - ٨٢.

الفصل السابع
القدماء والمحدثون

أما قضية القدماء والمحدثون:

فأنصار الشعر القديم، هم حماد الراوية، والخليل بن أحمد، وخلف الأحمر، والأصمعي، وأبو عبيدة، وابن الأعرابي.

وكان ابن الأعرابي يقول: إن أشعار هؤلاء المحدثين، مثل أبي نواس وغيره، مثل الريحان، يشم يوما، ويذوي يوما، فيرمى به، وأشعار القدماء مثل العنبر، والمسك، كلما حركته ازداد طيباً^(١).

قال ابن منذر لخلف الأحمر، وقد التقيا على مائدة: يا أبا محرز، إن يكن النابغة، وأمرؤ القيس، وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم متخلدة، فقس شعري إلى شعرهم، واحكم فيهما بالحق، فغضب خلف^(٢).

وروى أن مروان بن أبي حفصة عرض قصيدته التي مطلعها:

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها

(١) الموشح ص ٢٤٦.

(٢) الأغاني، الساسي، ١٧ / ١١.

عرض شعره هذا على خلف الأحمر حين لقيه في حلقة يونس بن
حبيب^(١).

ذكر الرواة أن بشار بن برد أنشد خلفا الأحمر قصيدته في سلم بن
قتيبة:

بكرًا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

فلاحظ فيها إكثاره من الغريب، وسأله عن سبب ذلك، فقال له:
بلغني أن سلما يتباصر بالغريب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه،
فقال له خلف: لو قلت مكان: إن ذاك النجاح في التبكير، بكرًا
فالنجاح في التبكير، لكان أحسن، فأجابه بشار: إني بنيتها أعرابية
وحشية، فقلت: إن ذاك النجاح، كما يقول الأعراب البدويون، ولو
قلت: بكرًا فالنجاح، كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك
الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، فقام خلف فقبل بين عينيه^(٢).

قال قائل لخلف الأحمر: إذا سمعت أنا بالشعر أستحسته، فما أبالي
ما قلت فيه أنت وأصحابك، قال له: إذا أخذت أنت درهما فاستحسته،
فقال لك الصيرفي إنه ردي، هل ينفعك استحسانك له^(٣).

(١) الأغانى، الساس، ١٧ / ١٢.

(٢) الأغانى ٣ / ١٩٠.

(٣) مقدمة طيقات فحول الشعراء، ص ٨، العمدة ١ / ٩٧.

وكان أبو عمرو بن العلاء متعصباً للقدماء، وكان يقول: لا أدرك
الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً^(١).

سئل أبو عمرو بن العلاء عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد
سبقوا إليه، وما كان قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحداً، ترى
قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع^(٢).

وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين^(٣) من الجاهليين
والمخضرمين، إذ جعل جريراً والفرزدق من المولدين، وجعل شعرهما
مولداً، وهم أن يأمر الصبيان بروايته لما حسن وراق^(٤).

وكان يختم الشعر بذى الرمة، والرجز برؤية قاتلاً في المحدثين: إنهم
كل على غيرهم^(٥).

وقال أبو عمرو بن العلاء عن شعر ذى الرمة: إنما شعره نقطت عروس
بضمحل عن قنبل، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها، ثم تعود
إلى أرواح البعر^(٦).

(١) العدة ٩٠ / ٩١ - ٩١.

(٢) العدة ٩٠ / ٩١.

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٥.

(٤) العدة ٩٠ / ٩١.

(٥) الأغاني، ساسي، ١٠٩ / ١٦.

(٦) طبقات الشعراء ص ٢٠٧.

وكان الأصمعي يختم الشعر بابن ميادة، وابن هرمة، وأضرابهما
من شعراء نجد والحجاز الذين أدركوا الدولة العباسية^(١).

وحين أنشده إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

هل إلى نظرة إليك سبيل يرو منها الصدى ويشفى الغليل

إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممسن تحب القليل

أعجب بالشعر، وراقحة حسنه، ورقته، فمضى يقول: هذا الديباج
الخسرواني، هذا الوشى الإسكندراني، فلما عرف أن هذا الشعر
لإسحاق، قال له: أفسدته، أفسدته، أما أن التوليد فيه لبين^(٢).

روى أن الخليل بن أحمد قال لابن مناذر الشاعر: إنما أنتم معشر
الشعراء تبع لي، وأنا سكان السفينة، إن قرظتكم، ورضيت قولكم
نفقتم، وإلا كسدتكم، فقال ابن مناذر: والله لأقولن في الخليفة قصيدة
أمتدحه بها، ولا أحتاج إليك فيها عنده، ولا إلى غيرك، فقال في
الرشيد قصيدته:

(١) الأغانى، دار الكتب، ٤ / ٢٧٣.

(٢) الأغانى ٥ / ٣١٧ / ٣١٨.

ما هيج الشوق من مطوقة أوفت على بانة تغنينا
وفيها يقول:

ولو سألتنا بحسن وجهك يا هارون صوب الغمام أسقيننا (١)

وسئل أبو عبيدة: أي الرجلين أشعر: أبو نواس، أم ابن أبي عيتية؟
فقال: أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء، فقييل له: سبحان الله، كأن
هذا ما تبين لك؟ فقال: أنا ممن لم يتبين له هذا؟

وكان أبو عبيدة يقول: افتتح الشعراء بامرئ القيس، وختم بابن
هرمة، فأهدر بذلك الشعراء من بعد ابن هرمة، وأزرى بما يقولون من
الشعر.

وقال ابن مناذر لحماد الأرقط حين لقيه: أقرئ أبا عبيدة السلام،
وقل له: يقول لك ابن مناذر: اتق الله، واحكم بين شعري وشعر عدي
بن زيد، ولا تقل: ذلك جاهلي، وهذا إسلامي، وذاك قديم، وهذا
محدث، فتحكم بين العصرين، ولكن احكم بين الشعريين، ودع
العصيبة (٢).

(١) الأغاني، الساسي ١٧ / ١٦.

(٢) الأغاني، الساسي ١٧ / ١٢.

جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس بن حبيب، فقال له: إني أرى قوما يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم عن سواته، ثم يمشی كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعراً أعرضه عليك، فإذا كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته، فأنشده قوله:

طرتك زائرة فحى خيالها؛ بيضاء تخلط بالجمال دلالتها

فقال له يونس: يا هذا، اذهب، فأظهر هذا الشعر، فأنت واللّه فيه أشعر من الأعشى في قوله:

رحلت سمية غدوة أجمالها

لأنه قال في قصيدته هذه:

فأصاب حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه^(١).

فلما أنشدها مروان بن أبي حفصة المهدي زحف المهدي من صدر

(١) الأغاني ١٠ / ٨٢.

مصلاه حتى صار إلى البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟ قال:
مائة بيت، فأمر له بمائة ألف درهم، فكانت أول مائة ألف درهم
أعطيتها شاعر في أيام بني العباس^(١).

روى أن أبا جعفر المنصور حين فجع بموت ابنه جعفر طلب من ينشده
من أهل بيته قصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء بنيه:

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر بمعتب من يجزع

فلما لم يجد فيهم من يحفظها أسف على جهلهم بها أسفاً أشد من
حزنه لفقده ابنه، ولما جرى بشيخ مؤدب، لينشده إياها استعاد إنشاده
المطلع مرات، حتى إذا بلغ الشيخ في إنشاده قول أبي ذؤيب:

والدهر لا يبقى على حدثاته

استعادته مرات، وهو يقول: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول^(٢).

ولذلك كانوا يتناشدون الشعر القديم.

(١) الأغانى ١٠ / ٧٧ - ٨٢.

(٢) الأغانى ٦ / ٢٧٢ - ٢٧٤.

قال الأصمعي: قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير، وقلت: هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء^(١). وكان من أشهر مختاراتهم من الأدب المفضليات للضبي، وهي طائفة من القصائد جمعها من أجود قصائد الشعر العربي، ودونها كاملة، وقد روى أنه عملها للمهدى، وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة، وقد تزيد وتنقص، وتتقدم القصائد، وتتأخر، بحسب الرواية عنه، والصحيحة هي التي رواها عنه ابن الأعرابي^(٢).

والأصمعيات، وهي مجموعة من القصائد، عددها سبع وسبعون قصيدة، منسوبة إلى الأصمعي.

وجمهرة أشعار العرب للقرشي، أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، وهي مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم، وصنعها في سبع مراتب، في كل مرتبة سبع قصائد، على الترتيب التالي: المعلقات، والمجمهرات، والمنتقيات، والمذهبات، والمراثي، والمشويات، والملحقات^(٣).

(١) معالم النقد الأدبي، ص ٨٢.

(٢) الفهرست ص ٦٨.

(٣) الفهرست ص ١٧٠.

واضطر الشعراء إلى الاتجاه إلى القديم.

قيل: إن أبا نواس كان يحفظ دواوين سستين امرأة فضلا عن الرجال^(١)، وأنه حفظ سبعمائة أرجوزة.

وفيه يقول الجاحظ: ما رأيت أحداً كان أعلم باللغة من أبي نواس، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة لاستكراه^(٢).

ويقول أبو عمرو الشيباني العالم اللغوي المشهور: لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره، لأنه محكم القول.

وروى أبو الفرج الأصفهاني أنه استمع إلى عقبة بن رؤبة، وهو ينشد عقبة بن سلم والى البصرة أرجوزة يمدحه بها، فلما فرغ منها قال له: هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ، فغضب بشار، وقال له: ألى يقال مثل هذا الكلام؟ أنا والطله أرجز منك، ومن ابنك، وجدك، يريد العجاج، ومضى إلى منزله، فألف أرجوزة بديعة، وغدا فأنشدها عقبة بن سلم، وعنده عقبة بن رؤبة، وهي التي يستهلها بقوله:

يا طلل-الحى بذات الصمد بالله خير كيف كنت بعدى

(١) طبقات الشعراء، ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) في الأدب العباسي، العصر الأول ص ١٢٨.

قطرب عقبة بن سلم، وكافأه مكافأة كبيرة، وانكسر عقبة بن روية
انكساراً شديداً^(١).

ويروى أن بشار بن برد أنشد في شعر الأعشى الكبير:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا
فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى، ولم يلبث
الرواة أن تحققوا من قوله^(٢).

قال رزين أخو دعبل: كان الأدب يجمعنا كثيراً، فيؤنسنا التناشد
والمذاكرة، فاجتمعنا يوماً عند أبي نواس، وهو إذ ذاك في رهج محمد
بن زبيدة، وفيينا دعبل بن علي، ومسلم بن الوليد، وأبو الشيب،
فقال أبو نواس: قد اتفق اجتماعنا، فلم لا نتمم يومنا بما يذكرنا به
المتأدبون؟ قلنا له: إنه ليوم ذلك، فابتدأ مسلم في قوله: أجرت جبل
خليع، فلما انتهى إلى قوله:

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

قال أبو نواس: ما أراه يجي بعد هذا الكلام ما يقى بوزنه^(٣).

(١) الأغاني ٣ / ١٧٤، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ص ١٤٤ -
١٤٥، الموشح ص ٣٦٦.
(٢) الأغاني ٣ / ١٤٣، المصدر السابق أيضاً.
(٣) الأغاني، غرطة ص ٢٧٧، نقلاً عن ذيل ديوان مسلم بن الوليد ص ٢٩٨ في
تاريخ الأدب العباسي ص ١٢٤.

واجتمع الحسن بن هانىء، وصریح الغوانى، وأبو العتاهية فى مجلس
بالكوفة، فقيل للحسن بن هانىء: أنشدنا، فأنشد:

يا ابنه الشيخ أصبحينا ما الذى تنتظرينا

قيل: هذ الهزل، فهات الجد، فأنشد:

لن طلل عارى المحن دفين عفا عهده إلا روائم جون

فقام صريح الغوانى بجر ذيله، وخرج، وهو يقول: إن هذا مجلس ما
جلسته أبداً^(١).

ويروى أن مسلم بن الوليد قال لأبى نواس، وقد اجتمعا فى مجلس،
فتلاحيا على نبىذ: والله ما تحسن الأوصاف، فقال: لا، والله ما
أحسن أن أقول:

سلت فسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولاً

والله لو رميت الناس فى الطرق لكان أحسن من هذا^(٢).

وحدث رزين بن على الخزاعى أخو دعبيل، قال: كنا عند أبى نواس
أنا، ودعبيل، وأبو الشيبص، ومسلم بن الوليد الأنصارى، فقال أبو

(١) العقد الفريد ٥ / ٣٧٦ - ٣٧٨.

(٢) الموشع ص ٢٨٩، فى تاريخ الأدب العباسى ص ١٢٦.

نواس لأبي الشيبص: أنشدني قصيدتك المخزية، قال: ما هي؟ قال:
الضادية، فما خطر بخلدي قولك:

ليس المقل عن الزمان براض

إلا أخزيتك استحسانا لها، فإن الأعشى كان إذا قال القصيدة
عرضها على ابنته، وقد كان ثقفا، وعلمها ما بلغت به استحقاق
التحكيم، والاختيار لجيد الكلام، ثم يقول لها: عدى لى المخزيات،
فتعد قوله:

أغر أروع تستقى الغمام به لو قارع الناس عن أحسابهم قرعا
وما أشبهها من شعره، قال أبو الشيبص: لا أفعل، إنها ليست
عندي عقد در مفصل، ولكنى أكأثر بغيرها، ثم أنشد قوله:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم
فقال أبو نواس: قد أردت صرفها عنها، فأبيت أن تخلى عن
سلبك، أو تدرك فى هريك، قال: بل أقول فى طلبى، فكيف رأيت هذا
الطراز؟ قال: أرى نمطاً خسروانياً مذهباً، فكيف تركت؟

فى رداء من الصفيح صقيل وقميص من الحديد مزال
قال: تركته كما تركت مختار الدرّتين إحداهما بما سبق فى الحافظ،
وزين فى ناظره^(١).

(١) الأغاني ١٦ / ٤٠٣ - ٤٠٤.

وكان للشعراء أيضاً رأيهم في النقاد بسبب هذه القضية.

روى أن أبا نواس فضل جريراً على الفرزدق حين سئل عنهما ، فلما قيل إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، قال: ليس هذا من علم أبي عبيدة ، فإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر^(١).

وكذلك روى أن البحتري فضل أبا نواس على مسلم بن الوليد حين سئل عنهما ، فلما قيل له: أن ثعلباً لا يوافقك على هذا ، قال: ليس هذا من علم ثعلب ، وأضرابه ممن يحفظ الشعر ، ولا يقوله ، فإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه^(٢).

وقيل للمفضل الضبي: لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به؟ فقال: علمي به هو الذي يمنعني من قوله ، وأنشد:

وقد يقرض الشعر البكي لسانه وتعيى القواقى المرء وهو لبيب

وقال الأصمعي على تقدمه في الرواية ، وميزه بالشعر:

أبي الشعر إلا أن يفئ رديه على وبأبي منه ما كان محكما
فيا ليتني إذ لم أجد حوك وشيه ولم أك من فرسانه كنت مفحماً^(٣)

(١) العمدة ٢ / ١٠٤ .

(٢) العمدة ٢ / ١٠٤ .

(٣) العمدة ١ / ٩٧ - ٩٨ .

وثمة فريق وقف موقفاً وسطاً بين القديم والجديد، ومن هؤلاء الجاحظ، والمبرد، وابن قتيبة، وحذا حذو ابن قتيبة من جاء بعده من الكتاب، كالثعالبي، وابن رشيق، وابن خلدون، الذي نادى بأن الشعراء يجب أن يتغنوا بذكر الطبيعة، وأن ينشدوا الحقيقة، لا أن يصفوا ما لم يركبوا، وما لم يشاهدوا.

وقد أورد الجاحظ شعراً لأبي نواس، وامتدحه بجودة السبك، وجودة الطبع، والحذق في الصنعة، ثم قال: وإن تأملت شعره فضلتها، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبداً أشعر، وأن المولدين لا يقارونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوباً^(١)، ثم يذكر في أن الجهلة من النقاد أولى العصبية يغفلون أمر الجودة، ولا يلتفتون إلى القدماء، ولو كان له بصر لعرف موضوع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان.^(٢)

وهو القائل: ولم أر غاية التحوين إلا كل شعر فيه إعراب، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب، أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل^(٣).

(٢) الحيوان ٣ / ٤٠.

(١) الحيوان ٢ / ٢٧.

(٣) البيان والتبيين ٣ / ٣٢٣.

وهو القائل أيضاً: طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا
يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه،
فعطقت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق
بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب^(١).

قال المبرد: وليس لقدم عهد يفضل القائل، ولا لحدثان عهد يهضم
المصيب، ولكن يعطى كل ما يستحق.

قال ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء: ولم أقصد فيما ذكرته
من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد، أو استحسناً باستحسان
غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، ولا المتأخر
بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين، وأعطيت
كلا حقه، ووفرت عليه حظه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد
الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه موضع متخيره، ويرذل الشعر
الرصين، ولا عيب له عنده، إلا أنه قيل في زمانه، ورأى قائله، ولم
يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به
قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده، وجعل كل
قديم منهم حديثاً في عصره^(٢).

(٢) الشعر والشعراء، ص ٧.

(١) العمدة ٢ / ١٠٥.

قال ابن رشيق^(١):

كل قديم من الشعراء، فهو محدث فى زمانه بالاضافة إلا من كان قبله، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن أمر صبياننا بروايتة، يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولداً بالاضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين.

قال الأصمعى: جلست إليه ثمانى حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامى وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيل فهو من عندهم، ليس النمط واحداً: ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نطع. هذا مذهب أبى عمرو وأصحابه: كالأصمعى، وابن الأعرابى - أعنى أن كل واحد منهم يذهب فى أهل عصره هذا المذهب، ويقدم من قبلهم - وليس ذلك الشئ إلا لحاجتهم فى الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون، ثم صارت الحاجة.

فأما ابن قتيبة فقال: لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن

(١) العمدة ١ / ٧٣ - ٧٦.

دون زمن، ولا خص قوماً دون قوم، بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثاً في عصره.

ومما يؤكد كلام ابن قتيبة كلام علي رضي الله عنه «ولولا أن الكلام يعاد لنفد» فليس أحداً أحق بالكلام من أحد، وإنما السبق والشرف معاً في المعنى على شرائط.

وقول عنترة * هل غادر الشعراء من متردم * يدل على أنه يعد نفسه محدثاً، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم، ولا نازعه إياه متأخر.

وعلى هذا القياس يحتمل قول أبي تمام - وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع:

يقول من تفرع أسماعه كم ترك الأول للأخر

فنقض قولهم «ما ترك الأول للأخر شيئاً».

وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد:

فلو كان يفنى الشعر أقناه ما قرت حياضك منه في العصور الذواهب

ولكنه صوب العقول: إذا انجلت سحائب منه أعقبت بسحائب

وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين: ابتداءً هذا بناء فأحكمه

وأثقله ثم أتى الآخر فتنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن،
والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن^(١)..

وقال ابن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين: إنما تروى لعدويه ألقاظها،
ورقتها، وحلاوة معانيها، وقرب مأخذها، ولو سلك المتأخرون مسلك
المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقنار، وذكر
الوحوش والحشرات - ما رويت؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني، ولا
سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه، وإنما تكتب
أشعارهم لقربها من الأفهام، وأن الخواص في معرفتها كالعوام، فقد
صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب: يستميل أمة من الناس
إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان.. وقائل الشعر الحوشى
بمنزلة المغنى الحاذق بالنغم غير الطرب الصوت: يعرض عنه إلا من
عرف فضل صنعته، على أنه إذا وقف على فضل صنعته لم يصلح
لمجالس اللذات، وإنما يجعل معلماً للمطربات من القينات: يقومهن
بحذقه، ويستمتع بحلوقهن دون حلقه، ليسلمن من الخطأ في
صناعتهن، ويطربن بحسن أصواتهن.

وهذا التمثيل الذي مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع، إلا أن أوله
من قول أبي نواس:

(١) العدة / ١ / ٧٤.

صفة الطلول بلاغة السقدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم
لا تخذعن عن التي جعلت سقم الصحيح وصحة السقم
تصف الطلول على السماع بها أفذو العيان كأنت فى الحكم؟
وإذا وصفت الشئ متبعساً لم تخل من غلط ومن وهم^(١)

ولم أرفى هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكرم بن
إبراهيم فإنه قال: قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن فى
وقت ما لا يحسن فى آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن
عند أهل غيره، ونجد الشعراء الخذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه
وكثر استعماله عند أهله، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد
الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما استعملت فى بلد ألفاظ لا تستعمل
كثيراً فى غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس فى
أشعارهم، ونوادير حكاياتهم، قال: والذى أختاره أنا التجويد
والتحسين الذى يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على
الدهر، ويبعد عن الوحشى المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل،
ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنه.

وقال ابن رشيق فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة من

(١) العمدة / ١ / ٧٥.

الناس دون طائفة لا يخرج من بلده، ولا يتصرف من مكاته كالذى لفظه سائر فى كل أرض، معروف بكل مكان، وليس التوليد والرقعة أن يكون الكلام رقيقاً سفسافاً، ولا بارداً غثاً، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً، ولا أعرابياً جافياً، ولكن حال بين حالين..

ولم يتقدم امرؤ القيس والنايعة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته، مع البعد من السخف والركاكة، على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولاً عنهم؛ إذ هو طبع من طباعهم، فالمولد المحدث - على هذا - إذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع، ومعرفة الصواب، مع أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة^(١).

وربما كانت هذه القضية قد سبقت بدء العصر العباسى.

فقد وازنت سكينه بنت الحسين بين شعر كثير عزة، وبين شعر امرئ القيس، قالت سكينه لكثير: يا ابن أبى جمعة، أخبرنى عن قولك:

وما روضة بالحزن طيبة الشرى يمج الندى جشائها وعسارها
بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
ويحك، وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين، توقد بالمندل الرطب
نارها إلا طاب ريحها، ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس
ألم تريانى كلما جنت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب^(١)

(١) العدد ١ / ٧٣ - ٧٦.

(١) معالم النقد الأدبى ص ١٢٢ - ١٢٣.

الفصل الثامن

الألفاظ والمعاني في المقامة القريضية
وعلاقتها بالشعر القديم

- القريضية: نسبة إلى القريض، وهو الشعر.

قال الأغلب العجلي:

أرجزا تريد أم قريضا.

كليهما أجد مستريضا^(١).

أى أتريد رجاً، وهو من أبحر العروض العربى، بوزن مستفعلن ست مرات، ثلاث منها فى كل شطر، أم تريد قريضا، أى شعراً على وزن بحر آخر من أبحر العروض العربى الستة عشر.

* * *

- طرح: رمى وأبعد، قال المشقب العبدى:

فإما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غشى من سمبنى

وإلا فاطرحنى واتخذنى عدواً أتقبسك وتتقيتنسى

فإنى لو تعاندنى شمالى عنادك ما وصلت بها يمينى^(٢)

أى فأبعدنى عنك، واتخذنى عدواً لك، يكون بيننا ما يكون بين الأعداء.

(١) لسان العرب ٨٤/٩.

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب ٦٩/٣.

وقال المرقش الأصغر:

أمن بنت عجلان الخيال المطرح ألم ورحلى ساقط متزحزح
فلما انتبهت بالخيال وراعى إذا هو رحلى والبلاد توضح
ولكنه زور ييقظ نائما ويحدث أشجاناً بقلبك تجرح
بكل مبيت يعترينا ومنزل فلو أنها إذ تولج الليل تصبح
فولت وقد بثت تباريح ما ترى ووجدى بها إذ تحدر الدمع أبرح^(١)
أى الخيال الذى يطرح نفسه من مكان بعيد، أى يلقبها، لأن بنت
عجلان بعيدة عنه، فخيالها قد طرح نفسه من حيث هى إلى منام
الشاعر.

(١) المفضليات ص ٢٤٢.

يتحدث عن زورة الطيف، وكيف انتبه لروعته، وكيف أن الطيف يطرقه فى كل منزل
ينزل، ثم استعاد ذكرى الوداع، وما جرى فيه من الدمع. بنت عجلان: هى عند بنت عجلان
جارية فاطمة بنت المنذر، المطرح: الذى يطرح نفسه من مكان بعيد، أى يلقبها، متزحزح:
متباعد، إذا هو رحلى: يريد أنه رأى الخيال فى نومه، فلما انتبه لم يجد إلا رحله، توضح:
تتوضح، أى تظهر، يريد أنها خالية، الزور: الزائر، يعترينا: يصير إلينا، يعنى الخيال،
تدلج: تسير ليلاً، أى ليتها إذا زارنا خيالها ليلاً بقى إلى الصباح، بثت: فرقت، التباريح:
الشدة، أبرح، أقبل تفضيل، من البرح، وهو الشدة.

- الكوى: البعد.

قال يشامة بن عمرو:

هجرت أمامة هجراً طويلاً	وحملك النأي عبثاً ثقيلاً
وحملت منها على نأيها	خيلاً يوافى ونيلاً قليلاً
أتننا تسائل ما بثنا	فقلنا لها قد عزمنا الرحيلاً
وقلت لها كنت قد تعلمي	ن منذ ثوى الركب عنا غفولاً
فسادرتساها بمستعجسل	من الدمع ينضح خذا أسيلاً
كان النوى لم تكن أصقبت	ولم تأت قوم أديم حلولاً (١)

أى إن النوى لا تترك أحداً، حتى عليه القوم من الملوك والأشراف،
ذوى قباب الأدم التى تدل على رفعتهم، ومكانتهم العالية.

(١) المفضليات ص ٥٥، يتحدث عن هجرته بلاد خليلته، ونأيه عنها، وما كان يعاوده من طيفها، ووصف موقف الوداع، النأي: البعد، ثم يقول فى البيت الثانى: حملت مع بعدها عنك أن ترى خيالها، فيزيدك شوقاً، البث: الحال، ثوى وأثوى بمعنى أقام، غفولاً: غافلة، يقول فى البيت الثالث: كنت غافلة عنى، فاعلمى بذلك، يادرتهاا: يعنى عينيهما، أضمرهما، ولم يجر لهما ذكر، الحنن الأسيل: السهل اللين النقيق المستوى، النوى: البعد، أصقبت: دنت وقاربت، الأديم: الجلد، وأضافه إلى القوم، بمعنى أنهم أشرف ملوك لهم قباب الأدم، وهى لا تكون إلا للملوك والأشراف، حلولا: حالين مقيمين، يعنى أن الزمن يفرق بين الناس، لا يعزه شريف.

وقال زهير بن أبي سلمى:

شطت أميمة بعدما صقت ونأت وما فنى الجناب فيذهب
باعت بعاقبة وكان نوالها طيف يشق على المباعد منصب
فى كل مشوى ليلة سار لها هاد يهيج بحزنه متأوب
أنى قطعت وأنت غير رجيلة عرض الفلاة وأين منك المطلب
هل تبلغينها على شحط النوى عس تخب بى الهجير وتنعب^(١)
أى على بعد الرحلة، أو السفر، أو المكان.

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٦٩.

شطت: بعدت، صقت: قريت، الجناب: بكسر الجيم المجانبية، نأت: رجعت، الطيف: ما
أطاف من خيالها فى النوم، العاقبة: أى عاقبة أمرها، أى آخر ما كان منها إلينا، يشق عليه،
لأنه يذكره إياها، ولا سبيل له إليها، رجيلة: أى قوية على الرحلة والمشى، والرحلة بضم
الراء: المشى راجلاً، ويفتح الراء أو كسرهما شدة المشى، النوى: البعد، الشحط: البعد، عس:
ناقصة صلية، تخب: سير الخبيء، الهجير: المهاجرة مع الزوال، تنعب: تهز رأسها فى سيرها.

أو النوى: وجهك الذى تریده فى سفرك، وهو أوقع فى المعنى.

قال عبد الله بن عنمة الضبى:

أشت بليلى هجرها وبعادها بما قد تواتينا وينفع زادها

سنلهو بليلى والنوى غير غربة تضمنتها من رامتين جمادها

ليالى ليلى إذ هى الهم والهوى يريد الفؤاد هجرها قيصادها (١)

هاج الشاعر بعد ليلى وهجرها، وتوقع أن تتبدل الحال، فيلتشم

الشملى مرة أخرى، والنوى يقصد وجهة السفر.

(١) المفضليات ص ٣٧٨.

أشت: فرق، بما: الباء للبدل، أى هذا بذاك، هجرها لنا اليوم بمؤاتاتها قبل هذا، النوى: وجهك الذى تریده فى سفرك، الغربة: بفتح الغين، البعد والنوى، والغربة: البعيدة، رامتين: رامة موضع بالبادية يكثرون تشبيته فى الشعر الجماد: بفتح الجيم، الأرض الصلبة التى لا يمكن فيها الحفر، وبالكسر موضع، وأراد بالتضمن أنهم نزلوا بذلك المكان، يصادها: بصير صيداً لها.

وقال زهير بن أبي سلمى:

تحمل أهلها عنها فبانوا على آثار من ذهب العفاء
فلما أن تحمل أهل ليلى جرت بينى وبينهم الظباء
جرت سنحا فقلت لها أجزى نوى مشمولة فمتى اللقواء
لقد طالبتها ولكل شئ إذا طالت لجاجته انتهاء^(١)

النوى: الوجه الذى تنويه.

وقال عمرو بن الداخلة:

تذكر أم عبد الله لما نأته والنوى منها لجوج^(٢)

أى الوجه الذى تریده فى سفرها.

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٥٨ - ٦١.

يقول على آثار الذى ذهب الدرهم. أى من ذهب لم أس عليه. أى على آثار الشئ الذاهب من الدار العفاء. يكون خيراً. ويكون دعاء. أو العفاء: التراب سنحا: جمع سنيح، وقد تشام به زهير، والسانح: ما ولاك صياعته من طير. أو طائر. والعرب تسمن به، وتشام باليارح، وقيل عكس ذلك. والعرب تختلف فى العياقة، فأهل نجد يتيمنون بالسانح، ويتشامون باليارح، وأهل الحجاز عكسهم، وقيل: السانح: ما جاءك عن يمينك، يريد شمالك، واليارح: ما جاءك عن يسارك يريد يمينك، أجزى: من أجاز: قطع وخلف وراء ظهره، أو سار. مشمولة: يريد سريعة الانكشاف، أو مأخوذة بها ذات الشمال، لأن الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب به، النوى: الوجه الذى تنويه، والنية، لجاجته: لجاجه الإنسان فيه.

(٢) ديوان الهذليين ٩٨/٣.

فى غربة النوى قال عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط:
وأترلتى طول النوى دار غربة إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله^(١)
أى طول البعد أنزله دار غربة، أى صيره غريباً.

فى النوى الطروح قال أبو ذؤيب الهذلى:
فقلت تجنبن سخط ابن عم ومطلب شلة ونوى طروح^(٢)
أى نوى تطرح بعيداً، أو تلقى فى مهوى سحيق.
وقال أبو ذؤيب الهذلى أيضاً:
وإما يحينن أن تهجرى وتناى نواك وكانت طروحا^(٣)
أى نواك وبعدك كانت طروحا، فأبعدتك بعداً شديداً، أو ألفت بك
بعيداً.

(١) البيان والتبيين ٢٤٧/١ ، ٢٣٩/٢ ، ٣٢١/٣ .

(٢) ديوان الهذليين ٦٩/١ .

(٣) ديوان الهذليين ١٣٣/١ .

وقال صخر الغي:

فإما يحينن أن تهجرى وتناى نواك وكانت قذوقاً^(١)
أى نواك وبعذك كانت قذوقاً، قد قذفت بك بعيداً.

وقال المعطل:

ألا أصبحت ظمياً قد نزحت بها نوى خيتعور طرحها وشتاتها^(٢)
أى أبعدها نوى مبعده طرحت بها بعيداً.

وقال صخر الغي:

عاودنى حبها وقد شحطت صرف نواها فإننى كمد^(٣)
أى بعدت نواها، أو أبعدها النوى فهو كمد لبعدها عنه، ومعاودة
حبها إياه.

وقال ذو الرمة:

ألمأ بحى قبل أن تطرح النوى بنا مطرحاً أو قبل بين يزيها^(٤)
أى قبل أن تبعد النوى بناكل مبعده.

(١) ديوان الهذليين ٧٣/٢.

(٢) ديوان الهذليين ٤٩/٢.

(٣) ديوان الهذليين ٥٨/٢.

(٤) شرح ديوان ذي الرمة، ص ٨٥.

وقال جميل:

ولا مرّ يوم مذ ترامت بك النوى ولا ليلة إلا هوى منك رادف^(١)
أى منذ رمت بك النوى بعيداً.

وقال كثير

أمنى صرمت الحبل لما رأيتنى طريد حروب طرحته الطوارح^(٢)
أى أبعدته المباعد، مبالغته فى البعد، والطرح بعيداً.
وأنشد ابن برى:

أقول وقد ناعت بها غربة النوى نوى خيتعمور لا تشط ديارك^(٣)
أى أبعدتها النوى التى تقذف فى كل مكان بعيد.
وأنشد أبو عبيدة:

وشط ولى النوى إن النوى قذف تباحة غربة بالدار أحياناً^(٤)
أى النوى تقذف فى مكان بعيد.

(١) شرح ديوان جميل بثينة، ص ٤٤.

(٢) ديوان كثير عزة، ص ١٨٢.

(٣) لسان العرب ١٧١/٢٠.

(٤) لسان العرب ٢٩٣/٢٠.

وقال السموأل، أو ورقة بن نوفل:

رحلت قتيلة عبيرها قبل الضحا وإخال أن شحطت بجارتك النوى^(١)
أي أبعدت النوى جارتك قتيلة.

وقال أبو نواس:

خف من المرید القطین وأقلقتهم نسوی شطسون^(٢)

أي أبعدتهم نوى مبعدة.

وقال النابغة الذبياني

أتاركة تدللها قطام وضنا بالتحية والكلام
فإن كان الدلال فلا تلجى وإن كان الوداع فبالسلام
فلو كانت غداة البين منت وقد رفعوا الخدور على الخيام
صفحت بنظرة فرأيت منها تحييت الخدر واضعة القرام
فدغنها عنك إذ تنطت نواها ولجت من بعادك فى غرام^(٣)

أي بعدت فى مذهبها، وجهتها التى نوتها.

(١) الأغاني ١١٨/٣.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ٢٥٦.

(٣) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٣٠ - ١٣٣.

يقول: لا تترك تدللها قطام، وضنها بالسلام، فإن كان فعلك هذا تدلا، وتحقيا فكفى =

وقال امرؤ القيس:

صرمتك بعد تواصل دعد وبدأ لوعد بعض ما يسدو
طال المطال وليس حين تقاطع لاه ابن عمك والنوى تعدو
وزعمت أنى قد كبرت وإنما تلك المكاذب ليس لى عهد
إن تصرمى يا دعد أو تبدلى غيرى فليس لمخلف وعد^(١)
أى والبعد يظلم بشدة بعاده.

= منه، ولا تلجى فيه، وإن كان سبباً للفراق والتوديع فردعيتنا بسلام، أى بتسليم منك علينا، أو تحية تمتعيتنا بها، الخدور: كل ما تخدوت فيه، فاستشرت به، والخيام هنا الهوادج، وهى من خشب، صفحت بنظرة: أى نظرت والثقت، يقول: لو منت على بالوداع غداة البين لنظرت إليها، وامتعت نفسى بها، القرام: الستر الرقيق، شطت نواها: بعدت، نواها: مذهبها وجهتها التى نوتها، لجت: قادت، فى غرام: فى تعذيب لها، أى فيما يكون عليك منها عذاباً، والقرام: أشد العذاب.

(١) ديوان امرؤ القيس، ص-٢٣.

صرمتك: قطعتك، وبدأ: بمعنى عرض لها، ثم يقول فى البيت الثانى وليس هذا المثل بحين وقت تكون فيه القطيعة، ولم يكن منى ما يوجب ذلك، والنوى: النية والجهة التى يقصدونها، تعدو: أى تظلم، لاه ابن عمك: لله ابن عمك.

وقال عمرو بن الأهثم بأسف لرحلة صديقتة عنه، ويصف خيالها،
وطروقه فى النوم:

ألا طرقت أسماء وهى طسروق وبانت على أن الخيال يشوق
بحاجة محزون كسأن فسؤاده جناح وهى عظامه فهو خفوق
وهان على أسماء أن شطت النوى يحن إليها واله ويتوق^(١)
أى بعدت بها النية التى انتوتها فى سفرها ورحلتها.

وقال شبيب بن البرصاء:

ألم تر أن الحى فرق بينهم نوى يوم صحراء الغميم لجوج
نوى شطنتهم عن نوانا وهيجت لنا طريبا إن الخطوب تهيج
قلم تذرف العينان حتى تحملت مع الصبح أحفاض لهم وحدوج^(١)

(١) الفضليات ص ١٢٥.

الطروق: الإتيان بالليل، يريد أن خيالها جاءه فشاقه، ثم يقول فى البيت الثانى بانت
بحاجة محزون، أى مضت وحاجته عندها لم تقضها له، وهى: ضعف، أى يخفق فؤاده، كما
يخفق الجناح، يضطرب ويتحرك، شطت: بعدت، النوى: النية التى ينوونها فى سفرهم،
الواله: الفاهب العقل من شدة الوجد، يتوق: تتطلع نفسه إلى الشئ.
(٢) الفضليات ص ١٧٠. النوى: النية التى ينوونها فى سفرهم، الغميم: موضع،
اللجوج: المنقادة المتتابعة، شطنتهم: أخذت بهم على غير قصد، الطرب: خفة تلحق للفرح
والجزع، وهو هنا للجزع، الأحفاض: جمع حفص، بفتحتين، وهو البعير الضعيف يحمل عليه
الأمعة والأثية، الحدوج: جمع حدج، بكسر فسكون، وهى مراكب النساء.

وحتى رأيت الحى تدرى عراصم يمانيه تزهى الرغام دروج
فأصبح مسرور ببيتك معجب وبك له عند الديار نشيج
فإن تك هند جنة حيل دونها فقد يعزف اليأس الفتى فيعيج^(١)
يبكى فراق حبيبته. ويذكر النوى المبعدة التى تقذف بعيداً، والتى
تأخذ على غير قصد.

وقال بشر بن أبى حازم:

عفت من سلمى رامة فكثيبها وشطت بها عنك النوى وشعوبها
وغيرها ما غير الناس قبلها فبانت وحاجات الفؤاد تصيبها
ألم يأتها أن الدموع نطافة لعين يوافى فى المنام حبيبها
تحدروا ماء الغرب عن جرشية على جربة تعلو الديار غروبها
بغرب ومربوع وعود تقيمه محالة خطاف تصر ثقوبها^(٢)
أى بعدت بها عنه نية السفر، أو جهته، أو ناحيته.

(١) المرجع السابق، تدرى من ذرى، وأذرى: تطير العراصم؛ جمع عرصة، وهى البقعة
الواسعة بين الدور، الرغام، بالفتح: التراب اللين، تزهاه: تستخفه، الدروج من الرياح؛
السريعة المر، النشيج: مثل البكاء للصبى إذا ردد صوته فى صدره، ولم يخرج، يعزف
اليأس الفتى: يئمه ويصرفه، يعيج: يقنع ويرضى.

(٢) المفضليات ص ٣٣٠.

عفت: درست، رامة: بلد، شطت: بعدت، النوى: نية السفر، الشعوب: جمع شعب، وهو
القبيلة أو البلد الذى شعب إليه، أى ذهب، تصيبها: تربدها، نطافة: بكسر النون، سائلة، =

فى الطرح كل مطرح قال الأخطل:

فقلت اجتنبنى لا أبالك واطرح

فى الأرض عنى إذ تباعدت مطرح^(١)

أى ابتعد، ففى الأرض إذ تباعدت مطارح بعيدة.

وقال الأخطل أيضاً:

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبحن بهم وما الإصباح فيك بأروح

على أن للعينين فى الصبح راحة بطرحهما طرفيهما كل مطرح^(٢)

أى بطرح العينين كل مطرح.

= ويفتح الترن: مفسدة وقرح لكثرة دموعها، الجرشيبة: ناقة منسوية إلى جرش، وهى أرض باليمن، وأهلها يستقون على الإبل، الجريرة: المزرعة، الدبار: جمع دبرة، وهى القطعة من المزرعة، الغروب: جمع غرب، وهو الدلو الضخمة، شبه حجر دموعه يتحدر ما، على جرية من غروب يستقى عليها، الربوع: جبل قتل على أربع قرى، العود: البعير المسن، أو المعترض المحور، والمخالق: البكرة، الخطاف: الحديد الذى فى جانبها.

(١) شرح ديوان الأخطل، ص ٦٤٢.

(٢) ديوان أبى تمام ٢١٤/١ فى هامش الصحيفة. أى إن الإنسان عند الصبح يشتغل بما يفتح عينيه عليه، فيخف عنه بعض الهم الذى يجشو على قلبه فى الليل، لأن الليل إذا جاء خلا بكده.

فى سبب الطرح قال عمرو بن الورد:

ومن يك مثلى ذا عيال ومقتر
من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلى عذرا أو ليبلى حاجة
ومبلى نفس عذرها مثل منبج^(١)
يبىر طرح نفسه كل مطرح بأنه ذو عيال ومقتر من المال، إذ مطرح
نفسه ليبلى العذر بأنه سعى، أو ليبلى حاجته، ومبلى العذر مثل المنبج.
وقال آخر:

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى
وهم تعفاء معنى ركائبه
يبىر طرح الفتى بالحاجات التى تطرحه.

أما استظهاره على الأيام، قال البحتري:

صنت نفسى عما يدنس نفسى
وترفعت عن جدا كل جيس^(١)

(١) البخل، ص ١٩٢، الأمالى ٢/٢٣١.

(٢) لسان العرب ١٩/٣٤٠.

(١) ديوان البحتري ٢/١١٥٢ - ١١٥٣.

الجدا: العطاء، الجيس: بكسر الجيم، الجبان واللثيم والفاسق والثقليل الروح.

وتماسكت حين زعزعتى الدهر ر التماسا منه لتعسى ونكسى
بلغ من صباة العيش عندى طففتها الأيام تطفيف بنس
وبعيد ما بين وارد رفة علل شربه ووارد خمس
وكان الزمان أصبح محمو لا هواء مع الأخص الأخص^(١)

أجال: اللفظة تدل على الحركة والعمل، قال حاجب بن حبيب الأندى:
هل أبلغتها بمثل الفحل ناجية عنس عذافرة بالرحل مذعان
كأنها واضح الأقرب حلاه عن ماء ما وان رام بعد إمكان
فجال هاف كسفود الحديد له وسط الأماعز من تقع جنابان^(٢)
جال: تدل على الحركة.

(١) المرجع السابق. التمس: انقلاب الرجل على رأسه، أو سقوطه كلما نهض، بلغ: جمع بلغة، وهي ما يتبلغ به في العيش ولا يفضل منه شيء، الصباة: البقية من الماء، التطفيف: النقص في الوزن والتقدير، الرفة: طيب العيش ولينه، رفعت الإبل: وردت الماء متى شابت، العلل: ورود الماء - ثابته بعد الورود الأول الذي يسمى النهل، الخمس: من أظماء الإبل، وهي أن ترعى ثلاثة أيام، وترد في اليوم الرابع.
(٢) الفضليات ص ٣٧. الناجية: السريعة، العنس: الناقة القوية الصلبة، العذافرة: الضخمة، المذعان: الطيبة المنقادة، الواضح: الأبيض. يصف حماراً وحشياً، الأقرب: جمع قرب، وهو الحاصرة، حلاه: منعه، ماوان: موضع، الرامي: الصائد، جال: جاء وذهب، الهافى: السريع. شبه سفود الحديد في النفاذ، الأماعز: أرض ذات حصى، النقع: الغبار، الجنابان: الجنابان، أراد أنه من شدة عدوه، ووقعه على الأرض يرتفع له غبار في موضع لا يكون فيه غبار.

وقفت: حبس، وجعل الشيء وقفا، قال كعب بن سعد

مع القدر الموقوف حتى يصيبني حمامى لو ان النفس غير عجول^(١)

أى القدر المحبوس على من قدر عليه.

والخاتوت: محل الخمار، قال الأعشى:

وقد غدوت إلى الخاتوت يتبعنى شاو مثل شلول شلشل شول^(٢)

أى غدا إلى محل الخمار.

(١) الأصمعيات ص ٧٤.

(٢) الشعر والشعراء ٧١/١، مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني وشرحها ص ١٤٧، شرح بديع الزمان الهمذاني، ص ١٩٦ - ١٩٧.

الشاوى: الذى شوى، الشلول: الخفيف، المثل: المطرد، الشلشل: الخفيف القليل، وكذلك الشول، والألفاظ متقاربة، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة، ويروى شاء من شأى يشأو إذا سبق أى سابق من سباق، وقيل: المثل: الخفيف السريع، ويروى شليل تصغير شلل بضمتهين بمعنى المثل، يصف خادمه بغاية الخفة والسرعة فى الحاجة، وقيل: المثل: يكسر الميم وفتح الشين، المستحث والجيد السوق، وقيل: الذى يشل اللحم فى السفود، ويروى نشول: بفتح النون، وهو الذى يأخذ اللحم من القدر، والشلشل: الخفيف اليد فى العمل والمتحرك، والشول: بفتح فكسر: هو الذى يحمل الشيء، وقيل: هو المعنى بحاجته، ويروى شمل، وهو الطيب النفس والرائحة.

وقال الأخطل:

ولقد شربت الخمر فى هانوتها
ولعبت بالقينات كل الملعب^(١).
أى شرب الخمر فى محل الخمار.

وقال المتنخل:

يمشى بيننا حانوت خمر من الحرس الصراصرة القباط^(٢)
أى صاحب حانوت خمر.

وقال أوس بن حجر:

كأن ريقتها بعد السرى اغتبت

من ماء أصهب فى الحانوت نضاح^(٣)

أى من ماء خمر فى الحانوت.

وقد يكون الحانوت للعطار، قال ابن الرومى:

(١) شرح ديوان الأخطل، ص ٣٢٨، لسان العرب ٢/٣٣٠، مع تغيير فى الشطر
الثانى.

(٢) ديوان الهذليين ٢/٢١.

(٣) ديوان أوس بن حجر، ص ١٤.

كأنما نشرة أنفاسها تصدر عن حانوت عطار^(١)
أى أنفاسها عطرة كأنها العطر الذى يصدر عن حانوت العطار.

المثابة: المرجع والمآب، قال معاوية بن مالك يفخر بتحملة العظام:
وكننت إذا العظيمة أفظعتهم نهضت ولا أدب لها دبابا
بحصد الله ثم عطاء قوم يفكسون الغنائم والرقابا
إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كاتوا غضابا
بكل مقلص عيل شواه إذا وضعت أعنتهن ثابا^(٢)
أى رجح هذا الفرس بجري جديد، لقوته ونشاطه.

وقال عبد الله بن عنيسة يمدح الحرث بن شريك، ويصف قراره وهريه
إلى عجوز اضطربت وقلقت، ولم تطعمه سوى الفصيد:

(١) ديوان ابن الرومي ١٠٣٦/٣.

(٢) المفضليات ص ٣٥٩.

أفظعتهم: عظمت عليهم، الذباب والذبيب واحد، وهو المشى على هيئة، يقول: قمت بها
إذا ضعفوا عنها بقوة، ولم أضعف عن حملها فأدب بها ضعفا، وأراد بالسحاب القبيث الذى
يكون منه الثبات، المقلص: الطويل، أراد الفرس، سوى الفرس: قوائمه، الواحدة شواة، عيل
الشوى: ضخمها فى اكتناز، ثاب: رجح، أى إذا وضعت أعنتهن عند التقصير منهن فى
الجري عند اللغوب والإعيا، ثاب هذا الفرس عند ذلك بجري جديد، للفضل الذى فيه.

فأب إلى عجروفة باهلية يخل عليها بالعشى بجادها
حذنة لما ثابت الخيل تدعى بمرة لم تمنع وفر رقادها
تقول له لما رأته خضع رجله أهذا رئيس القوم راد وسادها
رأت رجلا قد لاحه الغزو معلما له أسرة في المجد راس عمادها
فباتت تعشيه الفصيد وأصبحت يفرع من هول الجنان فؤادها (١)

أى رجعت الخيل بأسير.

وقال امرؤ القيس يصف فرسا:

وخيل كأسراب القطا قد وزعتها

بذى ميعة ثبت الفؤاد إذا جرى (٢)

(١) المفضليات ص ٣٨١.

فأب: أى الممدوح، عجروفة: عجوز، البجاد: الكساء، يخل: يدخل فيه الخلال، حذنة: اسم المرأة العجوز، ثابت بمرة: رجعت بأسير اسمه مرة، تدعى: تشبب، فرقادها: خافت العجوز وأحست بالشر ففارقها النوم والهدوء، تقول له: تقول العجوز مقصرة بالممدوح ومزوية، الخضع: العرج، راد: قلق، دعا عليها بأن تطفى بما يقلقها، فلا تستقر على فراشها، لأنها ازدرته لما رأته يخضع، لاحه: غيره وأشحب لونه، المعلم: الجاعل لنفسه علما يعرف به فى الحرب، ولا يفعل ذلك إلا الشجاع، الراسى: الثابت، العماد: جمع عمود، أى بيته راس فى الكرم، تعشيه الفصيد: أى قصدت له جملا فأطعمته دم الفصيد، وكان قوم من العرب يفعلون ذلك فيمiron به.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٣٣٣ - ٣٣٤

السرب: سرب القطا، وزعتها: كفتها، الميعة: النشاط.

طويل القرا نههد التليل مشذب

سليم الشظا عبل الشوى شنج النساء

أشق شخيص طامح الطرف سابح

جواد إذا هيجته عاتد الهوى

شديد اعتزام الشد يعطيك عفوه

إذا ابتل بعد الجهد من مائة طغى

إذا ثاب بعد الكبو مر كأنه

حفيف قطا من رأس الصيد قد ضفا^(١)

أى رجع بعد السقوط.

(١) المرجع السابق.

القرا: بفتح القاف، الظهر، النهد: المرتفع، التليل: العنق، المشذب: القصير الشعر، الشظا: عظيم فى يد الفرس، إذا تحرك ضعف عنه، العبل: الضخم، الشوى: القوائم، النساء: بفتح النون المشددة، عرق فى باطن الفخذ ينزل إلى الساقين إذا استرخى ضعفت رجلاه، الشنج: تقيض الجلد والأصابع، وفرس شنج النساء: متقبضه، وهو مدح له، لأنه إذا تقيض نساء وشنج لم تسترخ رجلاه، الأشق: الطويل، الشخيص: الضامر، السابح: الذى يمد يديه فى الجرى، الجواد: السابق، الشد: العدو، عفوه: سيره من غير أن يقرع بسوط ولا غيره، مأؤه: عرقه، ثاب: رجع، الكبو: السقوط، الحفيف: الصوت، الرأس: الديدبان، وهو الذى يرقب، أى يحرس، ضفا: ارتفع.

أما قول الهمداني: وحانوت جعلته مثابة، ورفقة اتخذتها صحابة
فهو كقول طرفة بن العبد:

ولست بحلال السلاع مخافة ولكن متى يسترقد القوم أرفد
فإن تبغنى في حلقة القوم تلقنى وإن تقتنصنى في الحوانيت تصطد
وإن يلتق الحى الجميع تلاقنى إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
ندامى بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسد^(١)
أى إنه إما أن يكون فى محفل القوم، أو فى بيت الخمار.

(١) شرح المعلقات السبع ص ٤٥ - ٤٦.

التلاع: جمع تلة: ما ارتفع من مسيل الماء، وانخفض من الجبال، أو قرار الأرض، الرقد: الإعانة، يقول: أنا لا أحل السلاع مخافة حلول الأضياف بي، أو غزو الأعداء إياي، ولكن أعين القوم إذا استعانوا بي إما فى قرى الأضياف، وإما فى قتال الأعداء. الحانوت: بيت الخمار، يقول: إن تطلبنى فى محفل القوم وجدتنى هناك، وإن تطلبنى فى بيوت الخمارين صدتنى هناك، يريد أنه يجمع بين الجلد والهزل، المصمد: المقصود، أى إن اجتمع الحى للاقتحار ثلاثى أنسمى وأعتزى إلى ذروة البيت الشريف، أى إلى أعلى الشرف، يريد أنه أوفاهم حظاً من الحسب، وأعلاهم سهماً من النسب، وصف الندامى بالبياض لإشراق ألوانهم، وتلاؤغ غرورهم فى الأندية والمقامات، إذ لم يلحقهم عار يعيرون به فتتغير ألوانهم، أو وصفهم بالبياض لنقايتهم من العيوب، أو لاشتهارهم كالفرس الأفر، القينة: الجارية المغتية، المسجد: الثوب المصبوغ بالزعفران، أو الثوب الذى أشبع صبغة، أو الثوب الذى يلى الجسد، يقول: ندامى أحرار كرام تتلأأ ألوانهم، وتشرق وجوههم، ومغنية نأتينا رواحا لابسة برداً أو ثوبا مصبوغاً بالزعفران، أو ثوبا مشبع الصبغ.

ورفقة اتخذتها صحابة، قال أبو الأسود في مثل هذا التعبير:
أريت امرأ كنت لم أبله أتانى فقال اتخذنى خليلاً^(١)
أى اتخذ منى صديقاً، وأخاً أى اجعلنى خليلك.

حاشيتا النهار: طرفاه، ومنه حاشيتا الثوب، طرفاه، وحواشى كل
شىء، أطرافه، قال عبدة بن الطبيب:

ثم اصطبحت كميتا قرقفا أنفاً من طيب الراح واللذات تعليل
صرفاً مزاجاً وأحياناً يعللنا شعر كمذهبة السمان محمول
تذرى حواشيه جيداً أنسة فى صوتها لسماع الشرب ترتيل
تغدو علينا تلهينا وتصفدها تلقى البرود عليها والسراويل^(٢)

أى ترفع أطراف الشعر أو الصوت أو الغناء هذه المرأة.

(١) لسان العرب ٤/١٩، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ١٨٦.

(٢) الفضليات ص ١٤٥.

الكميت: الحمر، سميت بها للونها، القرقف: التى تميم شاربها رعدة، أنف: مستأنفة،
يريد أنها لم يبزلها أحد قبله، ولم يشربها، صرفاً مزاجاً: شربها صرفاً لتببها، وكأنها وإن
كانت صرفاً مزوجة بالماء لسهولتها، يعللنا شعر: يلهينا غناء القيان به، السمان: وشى
مقارب، مأخوذ من سم الإبرة، أو السمان: الأصباغ التى تزوق بها السقوف، محمولة: يحمله
الناس ويرونه حسنة، حواشيه: أطرافه، تفرجه: ترفعه من الثروة، أو تسقط حواشى =

تلقاء: ناحية، أو قبل، أو قبالة.

قال النابغة الذبياني يعتذر للنعمان بن المنذر:

أتاني أبيت اللعن أنك لئنتي وتلك التي تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع
لعمرى وما عمري على بهين لقد نطقت بطلا على الأقارع^(١)
أى من ناحيتك، أو قبلك.

«أغانيها نظريا وترجيحا، الجيلاء: الطويلة الجيد، الأنسة: الميسطة المتحدثة، الشرب، بالفتح، الشاربون، تصفها: نغطيها، البرود: جمع برد، السراويل: الثياب.
(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٣٤.

تلك: أى الملامة التي أتتني عنك أصمت مسامعي كراهة لسماعها، وتستك: تشتد وتضيق، فلا تسمع، والمسامع: الأذان، والسكك: ضيق الصماخ، مقالة: تبين لقوله: أنك لئنتي، وذلك: أى وذلك القول رائع من تلقاء مثلك، أى يفزع من قبلك، ولم يرد أنه يروج من مثله خاصة، وإنما أراد أنه رائع منه، ومن هو مثله من أهل السلطان والقدرة، لعمرى: معناها البقاء، وإنما حلف بها، لأنها بين كثر في الاستعمال، ولم يقصد أن يقسم ببقائه، البطل: يضم الياء وسكون الطاء، الباطل، وأراد بالأقارع بنى قريع بن عوف، وهم من بنى تميم، وكانوا قد وشوا به عند النعمان، وذكروا أنه يصف في شعره المتجردة.

وقال النابغة الذبياني أيضاً:

هلا سألت بني ذبيان ما حسبي

إذا الدخان تغشى الأشمط البرما

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل

تزجي مع الليل من صرادها صرما

صهب الظلال أتين التين عن عرض

يزجين غيما قليلاً ماؤه شبما

ينبتك ذو عرضهم عسى وعالمهم

وليس جاهل شيء مثل من علما^(١)

تلقاء: أي قبالة.

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٦٢ - ٦٣.

يخاطب صاحبه سعاد، إذا الدخان تغشى: إذا اشتد الزمان، وقوى البرد فغشى الناس النار، فأحاط بهم الدخان، الأشمط: الذي بدا الشيب في رأسه، وخصه لأنه أجراً على البرد من الشاب، فيغشى النار، ولأنه أشد احتمالاً، وأجلد من الشاب، إذ كان قد جرب الأمور وذاق حلوها ومرها، وقيل: إذا قال الشاب كان أبلغ في شدة الزمان، ويرد، البرم - بفتحين - الذي لا يدخل في الميسر إذا نحر القوم جزوراً، بخلاصته ولؤمها، أرل: جبل بأرض غطفان، بينها وبين عذرة، وإذا كانت الريح شمالاً كانت أشد الريح برداً، وأقلها خيراً، تلقاء: قبالة، تزجي: تسوق وتدفع، الصراد: معاب بارد لا ماء فيه، يضم الصاد، وتشديد الراء، =

وقال البيهقي:

الله جارك في انطلاقك تلقاء شامك أو عراقك^(١)

أى ناحية، أو قبيل.

وجر الجدال فينا ذيله، أى طال الجدال، وامتد، أو كاد أن يتزوى
الجدال خجلاً، أو كاد الجدال أن يصيبه العجب حين نال منهم ما نال،
أو حين كثر وزاد وفاض.

قال الشاعر:

أنته الخلاقة منقادة إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

أى بكل ما فيها، أو بطولها، أو بخجلها.

=الصرم: يكسر الصاد وفتح الراء، القطع من السحاب، صهب: قطع، ولا تكاد السحب تكون كذلك إلا عند هبوب الشمال، وأشد ما يكون البرد عند ذلك، التين: جبل مستطيل، وإذا كانت الريح شمالاً أنته من عرضه، أى جانبه، يزجى: بعضهم يزجى بعضاً، أى يتدافعن ويتلو بعضهم بعضاً، الشم: الماء البارد، أو تزجى: أى الرياح يزجى هذا الغيم، وأشد ما يكون البرد إذا كان غيم وريح، ذو عرضهم: أى الذى له لبهم عرض، وهو الكريم الذى يتقى الشتم.

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ١١١.

وقال المرار بن منقذ:

لا تمس الأرض إلا دونها عن بلاط الأرض ثوب منعفر
تظاً الحز ولا تكرمه وتطيل الذيل منه وتجر
وترى الربط مواديع لها شعرا تلبسها بعد شعر
ثم تنهد على أنماطها مثل ما مال كتيب منقعر^(١)
أى دلالة على العجب.

وقال آخر:

ولقد شربت الخمر حتى خلتنى لما خرجت أحمر فضل المئزر
قابوس أو عمرو بن هند قاعداً يحيى له ما بين دارة قبصر
فى فتية بيض الوجوه خضارم عند الندام عشيرهم لم يخسر^(٢)

(١) المفضليات ص ٩١ - ٩٢.

الربط: جمع ربطة، وهى الملاة إذا كانت قطعة واحدة كلها نسيج واحد. مواديع: جمع مبدع، يكسر الميم، وهو الثوب يصان به الثوب والمياذل، شعر، يضم الشين والعين، جمع شعار، وهو الثوب يلى الجسد، والمراد أنها فى مياذنها تلبس نفيس الثياب لا تصونها، وتبذلها ثوباً بعد ثوب، تنهد: كأنها تنكسر، الأنماط: ضرب من البسط، الكتيب: التل من الرمل، منقعر: منقطع، كما تنقطع النخلة.

(٢) البيان والنبين ٣/ ٢٨٥ - ٢٨٦.

يقول الراوية عيسى بن هشام للبطل أبي الفتح الإسكندري: فما
تقول في جرير والفرزدق؟ وأيها أسبق؟

قال مروان بن أبي حفصة:

ذهب الفرزدق بالفخار وإنما حلو القصيد ومرة لجرير
ولقد هجا فأمض أخطل تغلب وحوى اللها ببيانه المشهور
كل الثلاثة قد أبر مدحه وهجاؤه قد سار كل مسير^(١)

تاح: أي تهباً وتيسر.

قال الحرث بن حلزة:

يا أيها المزمع ثم انثنى لا يثنيك الحازي ولا الشاحج
ولا قعيد أعضب قرنه هاج له من مرتع هائج^(٢)

(١) طبقات الشعراء، ص ٤٦.

اللها: العطاء.

(٢) البيان والتبيين ٢٥٤/٣

الحازي: الكاهن الذي يزرع الطير، الشاحج: الفراخ.

القعيد الأعضب: الظبي الكسور القرن الذي يأتي من الخلف.

بيننا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خالج
بترك ما رفع من عيشه يعيث فيه همج هامج^(١)
أى تهيأ أو تيسر.

وأعرض عنا فراح، أعرض: ولى، أو أبدي عرضه.

قال زهير بن أبي سلمى:

وأبيض فيباض يدها غمامة على معتضيه ما تغب فواضله
بكرت عليه غدوة فوجدته قعودا لديه بالصريم عواذله
يفدينه طورا وطورا يلمنه وأعيا فما يدري أين مخاتله
فأعرضن منه عن كريم مرزئ جموع على الأمر الذى هو فاعله
أخى ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يتلف المسال نائله
تراه إذا ما جثته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله
وذى نسب ناء يعيد وصلته بما وما يدري بأنك وأصله^(٢)

(١) المرجع السابق، ما رفع: ما أصلح، همج هامج: رعاغ أو شاب.

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ١٢٩ -

الأبيض: يريد به النقى من العيب، والعرب إذا وصفوا بالبياض لا يريدون به بياض اللون، وإنما يريدون المدح بالكرم، ونقاء العرض من الدنس والعيوب، يدها غمامة: تظفر يدها»

أعرضن: أى ولين.

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

بأحسن منها حين قامت فأعرضت تواري الدمع حين جد انهماها (١)

يقول الراوية: فجعلت أنفيه وأثبته، وأنكره وكأني أعرفه، ثم دلتنى عليه تناياه، فقد حار بين معرفته وإنكاره، ونفيه وإثباته.

= بالإعطاء كما تخطر الغمامة، فواضله: يريد خصالا فاضلة، أو عطاياها لأنها تفضل كل عطاء، أو النعم الجسيمة أو الجميلة، ولازم الحصول القاضلة المسخاء والفضل، فيأض: سخي: المعتفون: الذين يأتونه يطلبون ما عنده، ما تغب: أى عطاؤه كل يوم، أى إنها دائمة لا تنقطع، لا تكون غاية، أو لا تأتي يوماً وتترك يوماً، أو ما تتأخر، الصريم: جمع صريمة، وهى القطعة من الرمل تنقطع من معظمه، عواذله: يعذلته على إنفاق ماله، وقيل: الصريم: الليل، وقيل: النهار، ينصرم كل منهما من الآخر، وقيل الصريم الصبح، وهو أشبه بالمعنى، لأنه يسكر العشى، فإذا أصبح وقد صحا من سكره لئه، يفدينه: يقلن له: قديناك بأنفسنا وآبائنا وأمهاتنا ليستنزله بذلك حتى يقبل عذلهن، ولكنه أعياهن فما يدرين كيف يخذعنه، أى أين الأمر الذى يخذلته فيه، أعرضن: ولين، مرزأ: يصاب منه الخير ويزر أماله، جموع على الأمر: أى ماض عليه مجمع الرأى، إذا هم بأمر لم يتردد، ولم يساوره شك، وإذا قدر فعل أمر عزم عليه، وأمضاه، ولم يرد عنه، أخو ثقة: أى يوثق بما عنده من الخير لما علم من جوده وكرمه، نائله: عطاؤه، ثم يقول: هو مسرور بمن سأله مستبشر به، كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويعطى، ولم يرد أنه حريص على الأخذ مستبشر به، ولكنه قال هذا على ما جرت به العادة من محبة النفس للأخذ، وكراهيتها للإعطاء، متهللاً: مستبشراً، ثم يقول: إنه وصل قوماً فوصلوا غيرهم من صلته، فكان هو سبب ذلك الوصل، وهم لا يعرفون ذلك، وإنما قال هذا إشارة إلى كثرة معرفته، وسعة إفضاله، حتى يغنى من سأله، فيتفضل سائلوه على غيرهم، لغناهم وكثرة ما عندهم.

(١) لسان العرب ٣٠/٩.

قال أبو المثلّم:

مكى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث^(١)
أى عندما تنكرونها، تتذكرونها فتعرفونها، فلن يبق الإنكار،
وستحل محله المعرفة.

وقال الحارث بن خالد المخزومي:

إنى وما نحروا غداة منى عند الجمار تؤودها العقل
لو بدلت أعلى منازلها سفلا وأصبح سفلا يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها فبسرده الإقسواء والمحل
لعرفت مغناها بما احتملت منى الضلوع لأهلها قبل^(٢)
أى يعرف الدار لو بدلت أعلى منازلها سفلا، وأسفل منازلها علوا.
وقال امرؤ القيس:

لمن طلل درست آية وغيره سالف الأحرص
تنكره العين من حادث ويعرفه شغف الأنفس^(٣)

تنكره العين، وتعرفه النفس بشغفها.

(١) ديوان الهذليين ٢/٢٢٤، لسان العرب ٢٠/٣٦٥.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٨٥.

العقل: يضم العين وسكون القاف: جمع عقال. الإقواء: خلاء الديار، المحل: الجذب.

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب ١/٢٨٧، الأحرص: الدهر.

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي:

تستخير الدمن القفار ولم تكن لترد أخبارا على مستخير
فظلمت محكم بين قلب عارف مغنى أحبته وطرف منكر
أى قلبه يعرف منازل أحبته، وعينه تنكرها.

وقال الحسن بن وهب:

أبليت جسمي من بعد جدته فما تكاد العيون تبصره
كأنسه رسم منزل خلق تعرفه العين ثم تنكره
تجار العين بين معرفته وإنكاره.
وقال يحيى بن منصور الذهلي:

أما يستفيق القلب إلا انبرى له تذكر طيف من سعاد ومربع
أخادع عن عرفانه العين إنه متى تعرف الأطلال عيني تدمع
يخادع عينه عن معرفة الأطلال، حتى لا تدمع العين عند رؤية
الأطلال.

وقال آخر:

هي الدار التي تعد رف لم لا تعرف الدارا

تسرى منها لأجبا بك أعلما وآثارا
فيبدى القلب عرفانا وتبدى العين إنكارا^(١)

أى يظهر القلب المعرفة، وتبدى العين الإنكار.

وقال أبو نواس:

ألا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسم

تغص به عينى ويلنظنه وهمى

أت صور الأشياء بينى وبينه

فظنى كلا ظن وعلمى كلا علم^(٢)

ظنه كلا ظن وعلمه كلا علم، لأنه امترى فى رسم تضيق به عينه، ويرفضه وهمه، وقد تغيرت صور الأشياء، فوقفت حائلاً بينه وبين الصور الجميلة التى كان يرى هذا الرسم عليه.

(١) زهر الآداب وثمر الألباب ٢٨٧/١.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب ص ٢٨٧.

المخشف: ولد الظبية.

قال تابط شرا:

إني إذا خلة ضنت بنائلها وأمسكت بضعيف الوصل أحذاق
نجوت منها نجائي من بجيلة إذ ألقيت ليلة خبت الرهط أرواقى
ليلة صاحوا وأغروابى سراعهم بالعيكتين لدى معدى ابن براق
كأنما حثحثوا حصا قوادمه أو أم خشف بنى شث وطباق
لا شئ أسرع منى ليس ذا عذر وإذا جناح بجنب الريد خفاق
حتى نجوت ولما يتزعوا سلبى بواله من قبيض الشد غيداق
ولا أقول إذا ما خلة صرمت يا ويح نفسى من شوق وإشفاق^(١)

يصف سرعته بسرعة الظليم، وهو ذكر النعام، وسرعة الظبية.

(١) المفضليات ص ٢٨، الروائع من الأدب العربى، ١/٤٤٤ - ٤٤٦.

الخلة: الصداقة، وقال للصديق، وللمذكر والمؤنث، والواحد والجمع، وأنت الضمان من أجل اللفظ، النائل: ما ينال، بضعيف الوصل: بحبل ضعيف، أحذاق: متقطع، بجيلة: القبيلة التى أسرت، الخبت: اللين من الأرض، الرهط: موضع ألقبت أرواقى: استفرغت مجهودى فى العدو، يقول: إذا ضن عنى صدى بنائله، وكان وصاله ضعيفا أحذاقا، خليته ونجوت منه كتجائى من بجيلة، العيكتان: موضع، معدى: مصدر ميمى، أو اسم مكان =

وقال الحارثي من قصيدة يرثي بها قرضها على روى قصيدة متمم
بن نويرة التي يرثي بها أخاه مالكا، ويصور الجزع عليه كجذع أم
خشف على خشفها حين أكله الذئب أو السبع.

يقول الحارثي في وصف الخشف:

فما أم خشف أودعته قرارة من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا
خليس كلون الأيهقان ابن ليلة أمر قواه أن ينوء فيركعا
ويهتز في المشى القريب كأنه قضيب من البان التوى فترعرا (١)

من عدا يعدو، ابن براق؛ هو عمرو، وهو والشنفرى صديقاً تأبط شرا، وكانا معه ليلة انفلاته
من بجيلة، وهو هنا يذكر حادث هربه من بجيلة، حين أصدوا له كميناً على ماء، فأخذوه،
وكتفوه بوتراً، ثم دبر بجيلة بارعة هو وعمرو بن براق، والشنفرى، تمكن بها الثلاثة من النجاء،
عدواً على الأقدام، وفيها تصوير جيد لقوة جريه، وشدة عدوه، حششوا: حركوا، من الخش،
القوادم: قاولى الرأس من ريش الجناح، المحص: جمع أحص، وهو ما تنثر ريشه وتكسر، يشير
بذلك إلى الظليم، وهو ذكر النعام، الخشف: ولد الظبية، الشث والطباق: نبتان طيبا المرعى،
يضران راعييهما، ويشدان لحمهما، أي كأنما حركوا يحركتهم إباى ظليما، أو ظبية، والنعام
والظيا، مضرب المثل في سرعة العدو، لعذر: جمع عذرة، وهي ما أقبل من شعر الناصية على
وجه الفرس، الريد: الشمراخ الأعلى من الجبل، يقول: لا شئ أسرع مني إلا الفرس، وإلا الطائر
الجراح الذي يأوى إلى الجبل، إذ هو أسرع طيرانا من جراح السهل، السلب: ما يسلب في
الحرب، الواله: الذاهب العقل، الشد القبيض: الجرى السريع، القيناق: الكبير الواسع، من
الفلق، وهو المطر الكثير، يريد أنه نجا من بجيلة مسرعاً كالواله، فيكون قد جرد من نفسه
شخصاً كاد يذهب عقله من سرعة الهرب، والطلب وراءه، صرمت: قطعت.

(١) طبقات الشعراء، ص ٢٧٧.

الخليس: الأحمر، أو الذي خالط بياضه سواد، الأيهقان: عشب يطول، وله وردة حمراء،
أمر قواه: أي أقوى قواه، ترعرج: تحرك.

فظلت بمستن الصبا من أمامه تنعم في المرعى إليه ليسمعا
إذا أغفلت نادت وإن ناب نبأة على سمعها تذكر طلاها فتربعاً^(١)
أم خشف أي أم الظبي.

وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

شبه أدماء مغزل ضل عنها خشفها فانتحت مكانا سهوباً^(٢)
خشفها: ولدها، أي ولد الظبية.

وقال كثير بن عبد الرحمن:

وما أم خشف ترعى به أراكا عميما ودوحا ظليلاً^(٣)

أي الظبية أم الظبي.

وقال ذو الرمة:

كأن عرى المرجان منها تعلقت على أم خشف من ظباء المشاقر^(٤)

أي على ظبية أم ولد، من ظباء المشاقر.

(١) المرجع السابق.

مستن الصبا: موضع جريها، ناب: مقلوب نبأ، بمعنى صوت صوتاً خفيفاً، النبأة: الصوت
ليس بالشديد، الظلي: ولد الظبي، ترعى: تتوقف.

(٢) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ٨-١.

(٣) ديوان كثير بن عبد الله بن قيس الرقيات، ص ٣٩١.

(٤) لسان العرب ١٨/١٩١.

والتصوير بالخشف ورد في الشعر القديم كثيراً.

قال امرؤ القيس في وصف الفرس والريث:

وقد أعتدى قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق
بعثنا ريثنا قبل ذلك مخملا كذب الغضى يمشى الضراء ويتقى
فظل كمثل الخشف يرفع رأسه وسائره مثل الشراب المدقق
وجاء خفياً يسفن الأرض بطنه ترى التراب منه لاصقاً كل ملصق
فقال ألا هذا صوار وعانة وخيط نعام يرتعى متفرق^(١)
يصور الريثة بالخشف، وهو ولد الطيبة.

(١) ديوان امرؤ القيس، ص ١٧٢.

قبل العطاس: يعنى قبل أن يقوم الناس فيسمع صوت أو عطاس، الهيكل: الفرس الضخم المرتفع، شبهه بهيكل النصارى، وهو أكبر بيت لهم، شديد مشك الجنب: يعنى شديد مغرز الجنب في الصلب، فعم المنطق: تمتلئ الجوف، الريث والريثة: الذى يربأ للقوم، أى ينظر الصيد من مكان مرتفع، مخملا: يعنى يحمل نفسه، أى يسرها ويخفيها، الغضى: شجر، وأجبت الذئاب ما كان منشؤه وماواه الغضى، يمشى الضراء: هى مشية فيها اختيال وتبختر، استتاراً من الصيد، ويتقى أن يراه، كمثل الخشف: هو ولد الطيبة، يصور الريث، يرفع رأسه: ينظر هل يرى شيئاً، وسائره مثل التراب: قد لصق بالأرض، يعنى أنه يخفى شخصه من الصيد لئلا يتفر، يسفن: أى يمسح الأرض بطنه، يعنى يزحف زحفاً، الصوار والصيار: القطيع من البقر، العانة من الحمر، الجماعة، وكذلك الخيط، من النعام.

وقال المعلق الطائي في وصف مغنية:

إذا سمعت أذناى منطق عودها وأفصحت الأوتار عنها بما تخفى
وغنت كصوت الصنج تحت لهاثها تجاوبه النايات فى نغم الأنف
فيجمع بين الرجز والشج حذقها وتسكت من غنج على مقطع الحرف
موردة الخديسن مهضومة الحشا معقربة الصدغين فاترة الطرف
تقمص أنسواب الرجال تمرداً وتأنف من لبس القلادة والشنف
كأن قضيب البان يهتز فى الثرى تأود متنيها على الخصر والردف
لهاثيه معشوف وذلة عاشق وقطنة جماش وناظرتا خشف
واقسدام ليث وانخزال مؤثث وقسوة شار حين حكم فى الزحف
أراها بعين ثم أمضى بنسرة كأن فؤادى قون نار من الرصف
تقدمنى رجلى إلى البعد والهوى يحول وجهى بالتفات إلى الخلف^(١)

يصور ناظرتيها بناظرتى ولد الظبية، لشهرتها بجمال العينين.

(١) طبقات الشعراء، ص ٣٢٤

الشف، ما علق فى الأذن

وقال أبو نواس:

نظرت بعيني جؤذر حرق وتلفتت بسوالف الخشف^(١)

يصور عينيها بعيني الجؤذر، وهو ولد البقرة الوحشية، ثم يصورها كذلك بالخشف، وهو ولد الظبية.

وقال أبو نواس أيضاً:

إن في المكتب خشفا جعلت نفسى قداه^(٢)

يصور الفتاة بولد الظبية في جمال العينين.

وقال أبو نواس أيضاً:

إنما العيش يا أخي حب خشف من العرب^(٣)

أي فتاة من العرب كولد الظبية.

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

فما أم خشف بالعلالية شادن تنوش البرير حيث اهتصارها

مولعة بالطرتين دنا لها جنى أيكة يصفو عليها قصارها

(١) ديوان أبي نواس، ص ٦٦.

(٢) ديوان أبي نواس، ص ٣٣١.

(٣) ديوان أبي نواس، ص ٧١٤.

به أبلت شهرى ربيع كليهما فقد صار فيها نسؤها واقترارها
وسود ماء المرء فأها فلونه كلون النور فهي أدماء سارها
بأحسن منها يوم قامت فأعرضت

تواری الدموع حين جد انحدارها^(١)

يعقد مقارنة بين صاحبتة والطبية أم الخشف.

وقال أبو ذؤيب الهذلي أيضاً:

وما أم خشف بالعلاية ترقى وتسرمق أحياناً مختلة الجبل
بأحسن منها يوم قالت كليمة أتصرم حبلی أم تدوم على الوصل^(٢)

يعقد مقارنة بين صاحبتة والطبية أم الخشف.

وقال أبو ذؤيب الهذلي أيضاً:

كان ابنة السهمى يوم لقبتها موشحة بالطرتين هميج
بأسفل ذات الدير أفرد خشفها فقد ولهت يومين فهي خلوج^(٣)

يصف صاحبتة بالطبية، وابنتها بالخشف.

(١) ديوان الهذليين ٣٣/١ - ٣٤.

(٢) ديوان الهذليين ٣٦/١.

(٣) ديوان الهذليين ٥٩/١ - ٦٠.

- الجلف: بكسر الجيم، جلد الشاة والبعير، فكأن المعنى أنه أعرابي بيدويته وجفائه، أعرابي جلف، أي هو أعرابي بجلده، ولم يتزى بزى أهل الحضرة وأخلاقهم، فيكون قد نزع جلده الذي جاء فيه ولبس غيره، كقولهم: هذا كلام العرب بفباره، أي لم يتغير من جهته.

وقيل: أصله من أجلاف الشاة المسلوخة بلا قوائم، ولا رأس، ولا بطن، فكأنه جسم فقط، أي ليس يفهم ما يراد منه. وقيل: جلف كل شيء: قشره، فكأن المعنى فيه أنه متزى بزى العرب متشبه بهم، وليس منهم، والأول أصح في المعنى^(١).

وفي الوصف بالجلف قال عيسى بن فاتك يتحدث عن بناته:

وأن يضطرهن الدهو بعدى إلى جلف من الأعمام جاف^(٢)

جعل أعمامهن أجلافا جافين.

وقال علي بن الخليل:

فصار تشبها بالقو م جلفا جافيا جشبا^(٣)

جعله جلفا جافيا خشنا.

(١) الفاخر ص ٨٠.

(٢) الوحشيات ص ٩٠.

(٣) مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ص ١٦٩/٥.

وقال أبو نواس:

ومن عجب لعشقتهم الـ جفاة الجلف والصحرا (١)

فجعلهم جفاة جلفا.

وقال عمرو الهذلي:

فلا تمننني وتمن جلفا جراهمة هجفا كالخيال (٢)

جعله جلفا غليظاً خشنا.

وقال المرار:

ولم أجلف ولم يقصرن عني ولكن قد أنى لي أن أربعا (٣)

أي لم أصر جلفا جاقيا.

* * *

وقال ثعلب: الجلف: ذكر النخل الذي يلقح منه، ويقال له الفحال
ولعل معنى الجلف من هذا المعنى، لأنه يدل على البداوة، وعدم
التغير.

(١) ديوان أبي نواس ص ٥٥٨.

(٢) لسان العرب ١٤/٢٦٤.

(٣) لسان العرب ١٠/٣٧٥ - ٣٧٦.

- على إثره، أى خلفه.

قالت الخنساء:

مضى وسنمضى على إثره كذاك لكل فتى مصرع^(١)

أى سنمضى خلفه.

وقال جميل بثينة:

رحل الخليط جمالهم بسواد وحدا على إثر الحبيبة حادي^(٢)

أى حدا خلفها.

وقال كعب بن زهير:

وبعد ليال قد خلون وأشهر على إثر حول قد تجرم كامل^(٣)

أى خلف حول، أو بعد حول.

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

على إثر أخرى قبلها قد أتت لها إليك فجات مقشعرا شواتها^(٤)

(٢) شرح ديوان جميل بثينة ص ٢٤.

(١) شرح ديوان الخنساء ص ٩٥.

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٨٩.

(٤) لسان العرب ١٧٨/١٩.

أى خلف أخرى.

وقال الثابغة الذبياني يمدح النعمان بن الحارث الأصغر، وكان قد
خرج في غزوه:

إن يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأت معدا ملكها وربيعها
ويرجع إلى غسان ملك وسؤدد وتلك المتى لو أننا نستطيعها
وإن يهلك النعمان تعرمطيه وتلف إلى جنب الفتاء قطوعها
وتنحط حصان آخر الليل نحطة تقضتض منها أو تكاد ضلوعها
على إثر خير الناس إن كان هالكا

وإن كان في جنب القراش ضجيعها^(١)

أى خلف خير الناس بعد هلاكه، يقصد النعمان.

(١) ديوان الثابغة الذبياني ص ١٠٧ - ١٠٨.

الابتهاج: المسرة، ويأت معدا ملكها: أى يرجع إليها ملكها الذى كان لها بهذا المدوح، ويردى بفتح الميم، لأنه كان مالكا لهم ولغيرهم، ولم يكن منهم، فيكون الملك لهم، ربيعها: خصيها وصلاح حالها، غسان: قبيلة المدوح، السؤدد: الشرف، تلك المتى: أى رجعة النعمان هى المتى لو أستطيعها، تعرمطيه: يريد إن هلك النعمان ترك الوفاة والوفد، وحطوا رحالهم عن مطيهم، وألقوها إلى جنب أفئنتهم، لاستغنائهم عنها، القطوع: بضم القاف، أداة الرحل، كالطنانس ونحوها، تنحط حصان: أى تزفر حزنا لفقده، وتذكر المعروفه ومضله، تقضتض منها: أى تزفر حتى تكاد ضلوعها تكسر من شدة الزفير، والتقضتض التكسر، الحصان: المرأة العفيفة، أو ذات الزوج، وخص آخر الليل لأنه وقت هبوبها من نومها، فعند ذلك»

- ويقال: في إثره أيضاً.

قال صخر الغي:

كأن إرنانها إذا ردمت هزم بغاة في إثر ما فقدوا^(١)
أي خلف ما فقدوا.

- ويقال أيضاً إثره.

قال أبو ذؤيب الهذلي:

وإن دموعي إثره لكثيره لو أن الدموع والبكاء يربح^(٢)
أي خلفه، أو بعده.
وقال أبو جندب:

تخذت غراز إثرهم دليلاً وفروا في الحجاز ليعجزوني^(٣)
أي خلفهم.

تتذكروه، وتزفر من أجله، وأيضاً فإنه وقت يرغب فيه العدو القارة، فتذكر النعمان لثبه عنها، ونصره لها، على إثر خير الناس: أي تنحط هذه الحصان خلف النعمان بعد موته، وإن كان معها زوجها، فهي تكيه وتذكر أياديه ومعروفه.

(١) ديوان الهذليين ٦٠/٢. (٢) ديوان الهذليين ١١٤/١.

(٣) ديوان الهذليين ٩٠/٣.

الفصل التاسع

المقامة الضيلانية

تحليل ونقد

المقامة الغيلانية

حدثني عيسى بن هشام قال: بينا نحن بجرجان^(١) في مجتمع لنا نتحدث ومعنا يومئذ رجل العرب حفظاً ورواية وهو عصمة بن بدر الفزازي فأفضى بنا الكلام إلى ذكر من أعرض عن خصمه حلماً. ومن أعرض عن خصمه احتقاراً. حتى ذكرنا الصلتان العبدى والبغيث وما كان من احتقار جرير والفرزق لهما. فقال عصمة: سأحدثكم بما شاهدته عيسى ولا أحدثكم عن غيري. بينما أنا أسير في بلاد تميم مرتحلاً نجيبة. وقائداً جنيبة. عن لي راكب على أورق جعد اللغام فحاذاني حتى إذا صك الشبيح بالشبيح رفع صوته بالسلام عليك. فقلت:

(١) مقامات أبي الفضل وشرحها ص ٢٥ - ٤٠.

قال الأستاذ الأمام: جرجان مدينة من مدن بلاد خوارزم

الصلتان بتحريك اللام اسم لجملة من الشعراء منهم العبدى هنا وآخر ضبي وثالث فهمي والبغيث بفتح الباء وكسر العين مثال فعيل وهؤلاء الذين يذكروهم جميعهم من شعراء النحلة الأموية مشاهير.

ناقة نجيبة أى كريمة. والجنيبة ما تستصحبه من المراكب لتراوح بينها وبين ما تتركب إذا تعبت إحداهما ركبت الأخرى. والمذكر منه جنيب والأنثى جنيبة.

عن لي أى ظهر لي. والأورق من الإبل الأدم أو ما فى لونه بياض وساد قالوا: وهو من أطيب الإبل حملاً لا سيراً و عملاً. واللغام زبد الجمل يتلذذ من فيه وجعد اللغام متراكمه وهو صفة الأورق.

الشبح الشخص كأنهما تقابلا حتى تلاطما وصك شخص أحدهما شخص الآخر. وفى نسخة: فاجتاز بي رافعاً بالسلام فقلت من الراكب الخ. وهى أدنى إلى الصواب من هذه النسخة لأن المار بسرعة قد يسكت عن السلام حتى يجوز فيسلم. ولا يصح للمقبل عليك أن يسكت حتى يلطمك بنفسه ثم يسلم.

صنيعه فوليت ظهري الأرض. وعيناي لا يملكهما غمض. فنظرت غير بعيد إلى ناقة كوما، قد ضحيت وغبيطها ملقى. وإذا رجل قائم يكلاها كأنه عسيف أو أسيف فلهيت عنهما. وما أنا والسؤال عما لا يعنيني. وتام ذو الرمة غراراً. ثم انتبه. وكان ذلك في أيام مهاجاته لذلك المرى فرفع عقيرته. وأنشد يقول:

أمن مية الظلل السداس أظ به العاصف الرامس
فلم يبق إلا شجيج القزال ومستوقد ما له قابس

= كوما، أي عظيمة السنام. وضحيت من ضحى يضحى ضحاً إذا أصابته الشمس أو ضحى يضحى ضحاً إذا انكشف بعد ستر وهذا الثاني هو الأظهر لقوله فيما بعد وغبيطها ملقى أي ناقة عظيمة السنام قد انكشفت من غبيطها وهو ملقى على الأرض. والتغبيط مركب مخصوص يتخذ لراكب الإبل وقالوا: هو الرجل يشد عليه الريح أو هو مركب يشبه الكف النجاتي أو رجل فته واحناؤه واحدة. والقنب من الإكاف ما كان على قدر سنام البعير. يكلاه أي يحفظه. والعسيف الأجير. والأسيف العبد ويستعمل كل مكان الأخر في جل معاتبه.

لهيت كرضيت أي تركتها وأعرضت عنهما. وقوله: وما أنا والسؤال أي لست في شيء من السؤال عما لا يعنيني وأصله استفهام عما يجمعه والسؤال على سبيل الإنكار أي لا يجمعني والسؤال عما لا يعنيني جامعة وجود.

ذو الرمة غيلان بن عقبة، وتام غراراً أي قليلاً.

مهجوه من بنى مرة ابن حجر.

رفع عقيرته أي صاح وأصله أن تعقر الرجل فيرقعها الرجل ويصيح من الألم ثم غلب في الصياح مطلقاً.

رأى ظللاً أي شاخصاً من آثار ديار فكانه لم يدر من شدة الوله هل هنا الظلل من آثار مية صجوبته فاستفهم عنه. والدارس العاصف المضمحل. وأظ به أي لازمه. والعاصف الريح الشديدة. والرامس من رمس الشيء إذا غطاه ودفنته. أي لازمته الريح حتى دفنته وغطته بما تجلب من الإثربة.

شجيج فعيل من شج بمعنى مفعول أي مشجوج مكسور. والقذال ما اكتنف فأس القفا =

وحوض تثلم من جانبيه ومحتفل دارس طامس
وعهدى به وبه سكنة وعيسة والإنس والآنس
كأنسى بميسة مستنفر غزلاً تراءى له عاطس
إذا جئتها ردى عابس رقيب عليها لها حارس

= عن اليمين والشمال. فالمراد من شجيج القذال مكور الرأس. وقصد به هنا الرتد الذى كانت تربط فيه الأطناب أو تقيد إليه الدواب فيعد خلو المكان من السكان بقية الأوتاد المكسرة الرؤوس من الدق أيام كانوا يستعملونها. وقوله ومستوقد معطوف على شجيج القذال. والشوقد على صيغة اسم المفعول مكان اشتعال النار. والقابس من قبس إذا أخذ من النار شعلة. كنى بفيه عن عدم وجود النار فيه لأنه إذا لم يكن فيه نار لم يكن منها قايس بالضرورة.

الحوض كانت إبل أهل الحى تشرب منه فلما خلا منهم تثلم من جانبيه أى تهدم لعدم من يتعهده بالمحافظة والإصلاح. والمحتفل مكان الاحتفال أى الاجتماع فهو بفتح القاء أى منتدى دارس عاف وفى نسخة: دائر بمعناه. طامس من طمس الشئ أى انحى وذهب أثره.

عهدى به أى علس متعلق به والضمير إلى (الطلل الذى هو مجموع تلك الآثار التى عددها وقد يرجع إلى المحتفل: يريد إنى أعلم هذا المكان فى حال كان به سكنه بتسكين الكاف أى ساكنوه فهو جمع ساكن كصاحب وصاحب أو هو اسم جمع له. وعيسة معطوف على سكنه وهى عنهم خصصها لامتيازها من بينهم عنده لما شغف حبها قلبه. والإنس بكسر الهمزة الأليف وهو مية كمر ذكرها بلفظ آخر. والآنس ما يسكن قلبه إليك ضد المستوحش وهو مية أيضاً. وقد يراد بالأليف والآنس أخلاء آخرون كانوا له بحى مية. ويصح أن تقرأ الآنس بضم الهمزة ضد الوحشة والموضع إذا كان فيه ساكنوه كان فيه الآنس وارتفعت الوحشة وكان فيه الآنس وهم من يسكن بعضهم إلى بعض.

كأنه مع مية أى نسبه إليها كنسبة المستنفر للغزال. فكما أن مستنفره أى منفره لا يصل إليه كذلك الشاعر مع مية لا يصل إليها. وتراءى له ظهر بحيث يراه. والعاطس الصبح وإذا استنفرت غزلاً فى أول الصبح كان نفوره أشد ما يكون لأن قربه من وحشة الليل تعظم الفزع فيه وضوء الصبح يره سبيل المهرب.

بيان لسبب حرمانه منها كما يحرم مستنفر الغزال من الغزال وذلك أنه كلما جاءها يريد لقاءها يجد من أهلها عابساً غيوراً وهو رقيب عليها خيفة تعرض العاشقين لها حارس وحافظ لها من شرورهم.

ستأتى امرأ القيس مأثورة يغنى بها العابر الجالس
الم تر أن امرأ القيس قد أظ به داؤه الناجس
هم القوم لا يألمون الهجاء وهل يألم الحجر اليابس
فما لهم فى العلا راكب ولا لهم فى الوغى فارس
مسرطة فى حياض الملام كما دعس الأدم السداعس
إذا طمع الناس للمكرمات فطرفهم المطرق الشاعس
تعاف الأكارم إصهارهم فكل آساماهم عانس

= امرؤ القيس هذا هو مهجوه. والمأثورة المروية يريد القصيدة التى بهجوه بها أى إنه ستأتية قصيدة تشتهر حتى يروىها الناس وتصير أغنية لا يتغنى بها السائرون فى الأسفار فقط بل والقائمون فى مساكنهم أيضاً فالجالس يغنى بها للعابر أى المار فى طريقه. وهذا البيت انتقال من ذكر الأطلال والآثار إلى الهجاء اقتضاباً لم يراع فيه حسن التخلص. أظ به لزمه. والناجس من الأدوية الذى لا يبرأ. وأراد من دائه ما يهيجه على هجاء ذى الرمة من الحسد أو الحقد أو اللؤم وحيث الطبيعة.

ضمير الجماعة لقوم امرئ القيس يقول إن قوم هذا المهجوه لا يألمون من الهجاء لأنهم أحجار والمهجو واحد منهم فلا يألم كما لا يألمون وذكر الحجر لزلهم باسم أبيهم. الوغى: الحرب مرطبة أى ملطخة تقول مرطلت فلاناً بالطين ونحوه أى لطخته به وكأنه جعل الملام سائلاً من القدر يختزن فى حياض وقد غمس هؤلاء القوم فيها يتلك الاقذار وثبت ذلك فى أعراضهم كما يثبت الدباغ فى الأدم جمع أديم وهو الجلد المذبوع. ودعسه وطنه وطناً شديداً وهكذا يصنع بالجلد عند ديفه يدعس حتى يتشرب الدباغ وأنت وصف مرطلة لتأويل القبيلة. طمع الناس رموا بأبصارهم إلى المكرمات وأحاسن الفعال. وطرفهم بصرهم. والمطرق المنكس: إذا امتدت الابصار للجميل لتهدلى إلى فعله كان بصر المذمومين مغمضاً عنها. تعاف أى تكره وتستقنر. الأكارم جمع أكرم يريد اعالى الناس والإصهار مصدر =

فلما بلغ هذا البيت تنبه ذلك النائم وجعل يمسح عينيه ويقول: أذو
الرميمة يمتعنى النوم بشعر غير مشقف ولا سائر فقلت: يا غيلان من
هذا. فقال: الفرزدق وحمى ذو الرمة فقال:

وأما مجاشع الأردلسوم ن فلم يسق منبتهم راجس
سيعقلهم عن مساعى الكرام عقال ويحبسهم حابس

فقلت: الآن يشرق فيثور ويعم هذا وقبيلته بالهجاء. فوالله ما زاد
الفرزدق على أن قال: قبحا لك يا ذا الرميمة أتعرض لمثلى بمقال
منتحل ثم عاد فى نومه كأن لم يسمع شيئاً. وسار ذو الرمة وسرت
معه وإنى لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا.

«أصهر إليهم وفيهم إذا تزوج من بناتهم فهؤلاء يأبى الكرام أن يتزوجوا منهم لهذا نجد كل
أيامهم جمع أيم وهى التى لا زوج لها بكراً أو ثيباً عانساً أى لم تتزوج أصلاً ولا يقال لمن
تزوجت مرة عانس وفى نسخة: بذلك أيامهم نساءهم أى جميع بناتهم بلا أزواج لكراهة الناس
فى مصاهرتهم.
المتقف المقوم المهذب الذى لا عوج به. والسائر الذى لجودته يسير فى البلاد رواية وحسن
شهرة.

مجاشع قوم الفرزدق لأنه من مجاشع ابن دارم. وقوله فلم يسق منبتهم دعاء عليهم أن لا
ينزل المطر بمنابتهم أى مواضع نباتهم فيجدبون. والراجس السحاب الشديد صوت رعد.
العقال ما تعقل به الناقة لتقف وتمنع عن المشى ولا يريد من السنين فى سيعقلهم حقيقة
الاستقبال ولكنه أتى بها للدلالة على أن ما عرف فيهم من الامتناع عن مساعى الكرام
سيلزمهم فى الآتى من الزمن فهم عنده محبسون عن مساعى الكرام دائماً قبل القول ويعدده
وشبه ما فى طباعهم من الخسة التى تعقد عن مطالب الكرام بالعقال.
يشرق من شرق إذا شجى وغص بريقه كنى به عن شدة الغيظ. وثور أى يهيج فيشمل
ذا الرمة وقومه بالهجوم تعرض أى تتعرض تقول عرضت لغلان بسوء أى تعرضت له.
والمنتحل المدعى أى بمقال مسروق ليس له.

تعقيب:

هذه المقامة لا تفسر وفق النظام الأمثل الذي ابتكره بديع الزمان الهمذاني لمقاماته، وإنما هي حكاية حدثت في جلسة جمعت بين الراوية، وعصمة بن بدر الفزاري، الذي حكى قصة حدثت أمام عيني عصمة بين الفرزدق وذو الرمة، حيث هجا ذو الرمة الفرزدق، فما زاد الفرزدق على أن قال: قبحاً لك يا ذا الرميعة، أتعرض لمثلئ بمقال منتحل؟

وليس في هذه المقامة شئ سوى حكاية أدبية أراد الهمذاني بها أن يقول رأياً معيناً في الأدب، وليس فيها حيل المقامات، ولا دور فيها للبطل، وإنما هي حكاية رواها الهمذاني زاعماً أن الراوية رواها عن عصمة بن بدر الفزاري.

وهي حكاية ما حدث في مقام أو مجلس معين، لكنها لم تنهج نهج المقامات، لا في حكايتها، ولا في عنصر التشويق، ولا في حيلة البطل، ولا التكسب بالأدب، فهي أشبه بما يكون من أخبار الأدباء والشعراء في كتب التراث الأدبي.

أما الصلتان، والبعيث، وذو الرمة فهذا هو التعريف بهم!

الفصل العاشر

الصلتان، البعيث، ذو الرمة

الصلتان العبدى

هو قثم بن خبيثة، من عبد القيس^(١).

واجتمع إليه فى الحكم بين الفرزدق وجرير، فقال:

أنا الصلتانى الذى قد علمتم متى ما يحكم فهو بالحق صادق
أتنى تميم حين هابت قضاتها وإنى لبالفصل المبين قاطع
كما أنفذ الأعشى قضية عامر وما لتميم فى قضائى راجع
ولم يرجع الأعشى قضية جعفر وليس لحكمى آخر الدهر راجع
سأقضى قضاء بينهم غير جائر فهل أنت للحكم المبين سامع
قضاء امرئ لا يتقى الشتم منهم وليس له فى المدح منهم منافع
قضاء امرئ لا يرتشى فى حكومة إذا مال بالقاضى الرشا والمطامع
فإن كنتما حكمتامى فأنصتا ولا تجزعا، وليرض بالحق قانع
فإن ترضيا أو تجزعا لا أقلكما وللحق بين الناس راض وجازع
فأقسم لا ألو عن الحق بينهم فإن أنا لم أعدل فقل أنت ضالع

(١) الشعر والشعراء، ١/٥٠٠ - ٥٠٢ الموشح ص ٢٢٩، خزانة الأدب ١/٣٠٤.

فإن يك بحسر الحظليين واحداً فما تستوى حيتانه والضفادع^(١)
وما يستوى صدر القناة وزوجها وما يستوى شم الذرى والأكارع^(٢)
وليس الذنابي كالقدامى وريشه وما تستوى فى الكف منك الأصابع^(٣)
ألا إنما تحظى كليب بشعرها وبالمجد تحظى دارم والأقارع
ومنهم رؤوس بهتدى بصدورها والأذنان قدماً للرؤوس توابع
أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره ولكن خيراً من كليب مجاشع
فيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله جرير ، ولكن فى كليب تواضع
جرير أشد الشاعرين شكيمة ولكن علتة الباذخات الفوارع
ويرفع من شعر الفرزدق أنه له بساذخ لسدى الخسيصة رافع
وقد يحمد السيف الددان بجفنه وتلقاه رثا عمده وهو قاطع^(٤)

(١) «لأن كليب بن يربوع بن حنظلة: قوم جرير، ودارم ابن مالك بن حنظلة: قوم الفرزدق».

(٢) الأكارع: جمع كراع، وأكارع الأرض: أطرافها القاصية، شبهت بأكارع الشاة وهى قوائمها، ويقال «الكراع» ركن من الجبل يعرض فى الطريق، وفى الأمالى والخزانة: «والأجارع» وهى جمع «أجرع» وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الركل.

(٣) الأمالى ١٤١/٢، خزانة الأدب ١/٣٥٠، طبقات الشعراء ص ٩٥.

(٤) السيف الددان: الكهام الذى لا يمض.

بناشدني النصر الفرزدق بعدما ألتحت عليه من جرير صواقع
فقلت له: إني ونصرك كالذي يثبت أنفاً كشمته الجوادع^(١)
وقالت كليب: قد شرفنا عليكم فقلت لها: سدت عليك المطالع
وقال جرير للصلتان:

أقول ولم أملك سوابق عبدة: متى كان حكم الله في كرب النخل^(٢)
والصلتان هو القاتل:

أشباب الصغير وأقنى الكج ركر الليالسي ومر العشي
إذا هرمت ليلة يومها أتسى بعد ذلك يسوم فتسى
نروح وتغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما تبقى
إذا قلت يوماً لمن قد ترى: أروني السرى أروك الغنسي
ألم تر لقمان أوصى بنبيه وأوصيت عمراً ونعم الوصي

(١) كشمته: قصره القالي في الأمالي قال: «كشم أنفه: إذا قطعه».

(٢) البيت في اللآلئ ٧٦٦ وذكر بيتين أجاب بهما جريراً. وفي المؤلف: «وأما الفرزدق

فرضي بهذا القول، لما فضل قومه على بني كليب، وقال: إنما شعره مروءة من لا مروءة له، وهو أحسن حظ الشريف. وأما جرير فإنه غضب وقال: «وذكر البيت».

بنى بدا خبء فجوى الرجال فكن عند سرك خبء النجوى
وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفى
فكن كابن ليل على أسود إذا ما سواد بليلى خشى
فكسل سواد وإن هبته من الليل يخشى كما تختشى
أرد محكم الشعر إن قلته فإن الكلام كثير السروى
[كما الصمت أدنى لبعض اللسان، وبعض التكلم أدنى لعى] (١)

(١) خزانة الأدب ٣٠٨/١، معاهد التنصيص ص ٣٥، الشعر والشعراء - ٥٠٢/١.

البعيث

هو كدّاش بن بشر، من بنى مجاشع، من ولد خالد بن بيبنة. وأمه
أصبهانية يقال لها مردة أو وردة. وإنما لقب بالبعيث بقوله:

تبعث منى ما تبعث بعد ما أمرت قواى واستمر عزيمتى (١)

أراد أنه قال الشعر بعد ما أسن وكبر. ويكنى أياً مالك. وكان
البعيث أخطب بنى تميم إذا أخذ القنّاة. وله عقب بالبادية. وكان
يهاجى جريراً.

وقال أبو عبيدة: سألت بعض بنى كليب فقلت: ما أشد ما هجيتم
به؟ قال: قول البعيث.

ألت كليباً إذا سيم خطّة أقر كإقرار الخليلسة للبعيل
وكل كليبي صحيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النعل
وكل كليبي يسوق أتانه له حاجة من حيث تشفر بالحبل
سواسية سود الوجوه كأنهم ظرابي غريان بمجرودة محل (٢)

(١) الشعر والشعراء - ٤٩٧/١، سبط اللاكئ ص ٢٩٦، النفاض ص ٣٨.

(٢) الظرابي: جمع «ظربى» بفتح الظاء وكسر الراء وفتح الباء، مقصور، ويجمع أيضاً.
على «ظربان» بوزن «قطران» أو «الظربان» مفرد أيضاً، وهو دويبة شبه الكلب أصم الأذنين
صماخاه يهويان طويل الخرطوم أسود السرة أبيض البطن كثير الفسوخ الرائحة، يشبه
بالقرد. وإضافتها إلى الغريان لعلها على التشبيه في اللون: أنها جمعت قبحاً وسواداً.
مجرودة: أرض أكل الجراد نبتها، اللسان ٥٩/٢.

وكان للبعيرين، أولاد: منهم مالك وبكر، وخرجا مع أبيهما إلى
الديرة فأرسلهما برعيان عليه الإبل، فمرض مالك، فأرسل بكراً إلى
أبيه ليقدم عليه، فقدم فوجده قد مات، فقال:

أرسل بكراً مالك يستحثنا يحاذر من ريب المتنون فلم يشل
أمالك مهما يقضه الله تلقه وإن حان ريث من رفيقك أو عجل^(١)

(١) الشعر والشعراء، ٤٩٨/١.

ذو الرمة

غيلان بن عقبة من بنى عدى، ويكنى أبا الحرث.

لقب بذى الرمة لبيت قاله^(١).

كان بدوياً قحاً، ولكنه كان يتردد على البصرة والكوفة، فقيل: إنه تحضر، وقل ما عرف عن حياته، غير حبه لمبة التي شهب بها عشرين سنة، وللخرقاء أيضاً، قيل: إنه مات سنة مائة وسبع من الهجرة.

روى أن ذا الرمة بدأ فى الشعر بالرجز، ولكنه تركه لما رأى أنه لا يقع من العجاج، ورؤية موقعا، فعول على الشعر^(٢).

وكان ذو الرمة آخر من ذهب مذهب البدو فى القصيد، الذى أخذه عن الراعى، وقد كان ذو الرمة راووته، وكان ربما تشكى من ذلك، وأنه كان لا يستطيع مجاراة شعراء عصره فى مذاهبهم التى أحدثوها.

وليس ذو الرمة من الشعراء المطبوعين.

ويرى المرزبانى أن ذا الرمة لم يكن له حظ فى المدح، إذ قال فى مدح بلال

(١) تاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان ١/٢٢٠، الأغاني ١٦/١٠٦، وفيات الأعيان ١/٥١.

(٢) الموشح ص ١٧٤.

سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعي بلالا

ولما سمع بلال هذا البيت غضب، وقال: يا غلام، مر لها بقت ونوى.

روى أن جريراً قال فسى شعر ذى الرمة: إنه نقط عروس، وأبعار
ظباء، وأن الفرزدق قال فيه: أرى شعراً مثل بعير الصيران.

وقد أعجب اللغويين شعره لإكثاره من استعمال الغريب وقال أبو
عمرو بن العلاء: إن امرأ القيس أول الشعراء، وذا الرمة آخرهم، وكاد
ذو الرمة يكون أكبر الشعراء، لو سكت بعد أن قال قصيدته:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب^(١)

وسئل جرير عن شعره، فقال: أبعار غزلان ونقط عروس!

وكان يوماً ينشد في سوق الإبل شعره الذي يقول فيه:

* عذبتهن صيدح *

و«صيدح» ناقته، فجاء الفرزدق فوقف عليه فقال له: كيف ترى ما
تسمع يا أبا فراس؟ قال: ما أحسن ما تقول! فقال فما بالي لا أذكر
مع الفحول؟ قال: قصر بك عن غاياتهم بكاؤك في الدمن وصفتك
للأبعار والعطن، وأنشأ يقول:

(١) تاريخ الأدب العربي ٢٢٢/١.

(لم يبق منه أهد الأهد غير ثلاث مائلات سود

وغير مرضوخ القفا موتود) أشعث باقى رمة التقليد^(١)

وكان ذو الرمة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبه مية بنت عاصم أو مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم بن سنان^(٢).

قال أبو سوار الغنوى: رأيت مية، وإذا معها بنون لها صغار، فقلت: صفها لى، فقال: مسنونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف عليها وشم جمال. فقالت: ما تلقيت بأحد من بنى هؤلاء إلا فى الإبل، قلت: أفكانت تنشدك شيئاً مما قال فيها ذو الرمة؟ قال: نعم، كانت تسبح سحاً ما رأى أبوك مثله^(٣).

ومكثت مية زماناً لا ترى ذا الرمة وتسمع شعره، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنه يوم تراه، فلما رآته رأت رجلاً دميماً أسود، وكانت من

(١) أهد الأهد: أى أهد الدهر، يقال «لا أفعل ذلك أهد الأهد» و«أهد الأهد» و«أهد الأهدية» ونحو ذلك.

مرضوخ: من الرضخ، وهو الذق والكسر. موتود: مثيت، يقال «وتدت التود أئده» أى أئته.

(٢) فى اللاكى أنها «بنت عاصم بن طلبة» وفى ابن خلكان «ابنة مقاتل بن طلبة».

(٣) مسنونة الوجه: مخروط وجهها أسيل كأنه قد سن عنه اللحم.

يقال: «تلقت المرأة» وهى متلق، أى عاقت.

تسبح سحاً: أصل «السح» سيلان الماء من فوق وشدة انصبابه، يريد أنها تكثر الإنشاد وتسبح فيه بقوة.

أجمل النساء، فقالت: واسواتاه! وايؤساه! فقال ذو الرمة:

على وجهى مسحة من ملاحه وتحت الشياب الشين لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا
فيا ضيعة الشعر الذى لج فانتضى بهى ولم أملك ضلال فؤاديا
وكان يشبب أبيضاً بخرقاء، وهى من بنى البكاء بن عامر بن
صعصة. وكان سبب تشبيهه بها أنه مر فى سفر ببعض البوادي، فإذا
خرقاء خارجة من خباء (لها)، فنظر إليها، فوقعت فى قلبه، فخرق
إداوته ودنا منها يستطعم كلامها، فقالت: والله إنى ما أحسن
العمل، وإنى لخرقاء. والخرقاء: التى لا تعمل (بيدها شيئاً) لكرامتها
على أهلها. فشبب بها وسماها خرقاء.

وقال المفضل الضبى: كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت،
فقال لى يوماً: هل لك إلى أن أريك خرقاء صاحبه ذى الرمة؟ فقلت:
إن فعلت فقد بررتنى، فتوجهنا جميعاً نريدها، فعدل بى عن الطريق
بقدر ميل، ثم أتينا أبيات شعر، فاستفتح بيتاً ففتح له وخرجت علينا
امرأة طويلة حسانة بها فوه^(١)، فسلمت وجلست، فتحادثنا ساعة ثم

(١) حسانة: بضم الحاء وتشديد السين: حسنة. وفى ابن خلكان: والحسانة أشد حسناً
من الحسناء. القوة بفتح الفاء والنوار: سعة الفم وعظمه، وهو أيضاً خروج الأسنان من
الشفتين وطولهما.

قالت لى: هل حججت قط؟ قلت: غير مرة، قالت: فما منعك من
زيارتى؟ أما علمت أنى منسك من مناسك الحج؟ قلت: وكيف ذلك؟
قالت: أما سمعت قول عمك ذى الرمة:

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام!؟

وكان لذى الرمة أخوة، هشام وأوفى ومسعود، فمات أوفى، ثم
مات (بعده) ذو الرمة، فقال مسعود:

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين ريان مترع

ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده ولكن نكء القرع بالقرح أوجع

قال ابن أبى فروة: قلت لذى الرمة فى قوله:

إذا انجابت الظلما أضحت رؤوسها

عليهن من جهد الكرى وهى ظلع

ما علمت أحداً من الناس أظلع الرؤوس غيرك؟ قال: أجل^(١).

وكان ذو الرمة كثير الأخذ من غيره. ومما أخذه من غيره قوله فى

الحرباء:

(١) لأن الظلع، بفتحين، العرج، وهو فى الأرجل لا فى الرؤوس.

يظل بها الحرياء للشمس مائلاً لدى الجذال إلا أنه لا يكبر
إذا حول الظل العشى رأيته حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصر^(١)
وقال ظالم بن البراء الفقيمي:

ويوم من الجوزاء أما سكونه قضح ، وأما ريحه فسموم
إذا جعل الحرياء والشمس تلتظى على الجذال من حر النهار يقوم
يكون حنيفاً بالعشى وبالضحى يصلى لنصرانية ويصوم^(٢)
روى الأصمعي عن رؤية قال: دخل على ذو الرمة فسمع قولي:

يطرحن بالدوية الأملاس لكسل ذئب قفسرة ولاس
موتى العظام حية الأنفاس أجنة في قمص الأغراس^(٣)

(١) الحرياء: دوية نحو العظاءة أو أكبر، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كبريت
دارت ويتلون ألواناً بحر الشمس، وهو مذكر، والأثنى «حرياءة» و«أم حيين». الجذال: ما عظم
من أصول الشجر المقطع.

(٢) الضح: بكسر الضاد: ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض، أصله «ضحى»
فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها وقالوا «الضح» بتشديد الحاء.

(٣) الأملاس: جمع «ملس» بفتح الحين، وهو المكان المستوي. الولايس: المولس، أي
المخادع، أو هو من «الولس» بسكون اللام، أي السرعة.

الأغراس: جمع «غرس» بكسر الغين وسكون الراء، وهو الجلدة التي تخرج على رأس
الولد أو الفصيل ساعة يولد، فإن تركت قتلته. يريد أن التوق لسرعتها في المغازات تطرح
فصلاتها وتدعها للذئب.

فخرج من عندي، فبلغني (بعد ذلك) أنه يقول:

يطرحن بالدوية الأغفال كل جنين لثق السريال
حي الشهيق ميت الأوصال فرج عنه حلق الأقفال
من السرى وجرية الحبال ونفصان الرجل من معال^(١)
قال الأصمعي: فإذا رؤية يرى أن ذا الرمة يسرق منه^(٢).

وقال أيضاً في قول ذي الرمة * يطفو إذا ما تلقتة الجرائم *

أخذه من قول العجاج: * إذا تلقتة الجرائم طفا *^(٣)

قال: وأخذ قوله:

إذا استهلكت عليه عيبة أرجت مرابض العين حتى يأرج الخشب

من معنى قول العجاج: * مشواه عطارين بالعطور *

وأخذ قوله: * كأنها فضة قد مسها ذهب *

(١) الأغفال: جمع «غفل» بضم الغين وسكون الفاء، وهي الأرض المجهولة الميثة التي لا أعلام فيها يهتدى بها. اللثق: اللزج الميتل.

(٢) القصة في الأغاني، وفي آخرها أن محمداً قال لرؤية: «نقله والله أجود من قولك وإن كان سرقه منك! فقال: ذلك أغم لي».

(٣) الجرائم: ما اجتمع من الشراب في أصول الشجر. «العقاقيل» وهي جمع «عقتل» وهو الكتيب العظيم المتداخل الرمل. وسرقه العجاج من علقمة بن عبدة: في قوله * تطفو إذا ما تلقتة العقاقيل *.

من معنى امرئ القيس:

كبيكر مقاناة البياض بخضرة (غذاها غير الماء غير محلل)
وكذلك كان يرويه^(١).

وأخذ من كعب بن زهير في صفة الأثار.

وقال ذو الرمة، وهو من حسن شعره.

وأرمى إلى الأرض التي من ورائكم لترجعني يوماً عليك الرواجع
وقال آخر في معناه:

وأذهب في الأرض التي من ورائكم لأعذر في إتيانكم حين أرجع
وسمع أعرابي ذا الرمة وهو ينشد:

تصغى إذا شدها بالكور جانحة

حتى إذا ما استوى في غرز هاتشب^(٢)

فقال الأعرابي صرع والله الرجل! ألا قلت كما قال عمك الراعي:

(١) البيت من المعلّقة، وروايتهم * كبيكر المقاناة: البياض بصفرة، والبكر: هنا أول بيض النعامة، المقاناة: أي المخالطة أي التي قوتى بياضها، أي خلط. البياض روى بالنصب والرفع والجرح، وتوجيهها في شرح القصائد. السير من الماء: الذي يتجمع في الشارب وإن لم يكن عذياً (٢) الكور: الرجل، الغرز: ركاب الرجل.

(١) الصعر: الميل في الخد خاصة، وكلاهما بفتحين.

وواضعة خدها للزما م ، فالخذ منها له أصعر
ولا تعجل المرء قبل البرو ك ، وهى بركبتها أبصر
وهى إذا قام فى غرزها كمثل السفينة أو أوقر^(١)
وأخذ عليه قوله بصف الكلاب:

حتى إذا دومت فى الأرض راجعة كبير، ولو شاء نجي نفسه الهرب
قالوا: والتدويم إنما هو فى الجو، يقال: دوم الطائر فى السماء: إذا
حلقت واستدار (فى طيرانه)^(٢)، ودوى فى الأرض: أى ذهب
وقالوا: ذو الرمة أحسن الناس تشبيهاً، وإنما وضعه عندهم أنه كان
لا يجيد المدح ولا الهجاء. ولما أشد بلال بن أبى بردة (قوله):
رأيت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعى بلالاً^(٣)

(٢) هذا المأخذ نسب فى اللسان إلى الأصمعى. وذهب غيره إلى صواب ما قال ذو
الرمة، ففيه: «قال الأخفش وابن الأعرابي: دومت: أبعدت، وأصله من دام يدوم، والضمير فى
دوم على الكلاب. وقال على بن حمزة: لو كان التدويم لا يكون إلا فى السماء لم يجز أن
يقال: به دوام، كما يقال: به دوار، وما قالوا: دومة الجندل، وهى مجتمعة مستديرة»
(٣) صيدح: اسم ناقة ذى الرمة. والرواية المشهورة «سمعت الناس» برفع «الناس» وفى
الصحاح: رأيت الناس، بدلاً سمعت، والحفوظ: سمعت الناس، فالتنصب ظاهر، وأما الرفع
فعلى الحكاية، لأن سمعت فعل غير مؤثر، فجاز أن يعلق وتقع بعده الجملة، وتقدير المعنى:
سمعت من يقول الناس ينتجعون غيثاً، وأما مع رأيت فلا يصح ذلك»
(١) مرثيات: منسوبات لامرئ القيس، وقد غلب على القبيلة، وهذه النسبة مما تسبب

قال بلال: يا غلام أعطه جبل قت لصيدح.

وقالوا: وغلط في قوله في النساء:

وما القفر أزرى عندهن بوصلنا ولكن جرت أخلاقهن على البخل

قالوا: والجيد قول علقمة:

يردن ثراء المال حيث علمند وشرح الشباب عندهن عجيب

وقول امرئ القيس:

أراهن لا يحببن من قل ماله ولا من رأبن الشيب فيه وقوسا

وأشد هجائه قوله:

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها صلاب على طول الهوان جلودها

وما انتظرت غيابها لعظيمة ولا استعمرت في جل أمر شهودها

إذا مرثيات حللن بيلسدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها^(١)

ويستحسن له قوله في الظبية وولدها:

إلى الأول دون الثاني، يقال «امرئ» بسكون الميم وكسر الراء، و«مرثى» بفتحها، كأنهم
أضافوا إلى «مرثى»، فكان قياسه فتح الميم وسكون الراء، ولكنه نادر معدول النسب.

(١) الصنصف: الفلاة لا تبت فيها، الصرعة: القطعة المنقطعة من معظم الرمل. نصت

إذا استودعته صفصفاً أو صرمة تنحت ونصت جيدها للمناظر
حذاراً على ولسان يصرعه الكرى بكل مقيل من ضعاف فواتر
وتهجره إلا اختلاساً بطرفها وكم من محب رهبة العين هاجر^(١)
ومما صحف فيه من شعره قوله:

براهن تفويزي إذا الآل أرقلت به الشمس إزر الخزورات الفوالك^(٢)
رواه أبو عمرو «أرقلت»، وقال الأصمعي: إنما هو «أرقلت» ومعناه
أسبغت وغطت، يريد أسبغت إزر الخزورات من الآل.

* * *

والقسيمة التي ذكرها الهمذاني لذي الرمة في هجاء الفرزدق بدأها
ذو الرمة بالبكاء على الأملال، شأن قصائد الشعر القديم، وقد قال
الهمذاني على لسان البطل في معرض الحديث عن امرئ القيس: هو
أول من وقف بالديار وعربساتها، وقد ذكرت آنفاً أسئلة لذلك من شعر
امرئ القيس.

جيدها: رفعت.

(٢) التفويز: ركوب المفازة، يقال «فوز الرجل بإبله» إذا ركب بها المفازة. يريد أن إبله
براهن السرى في المفازة وأنصاها. الآل: السراب. أرقلت. بالقاف: أسرعت. الخزورات: جمع
«خزورة» وهي الرابية الصغيرة. الفوالك: المستديرات.
(١) شرح المعلقات السبع ص ٣٥.

وكذلك صنع أصحاب المعلقات، فقد بدأ معظمهم قصائدهم بوصف
الديار.

قال طرفة بن العبد في مطلع معلقته:

لخولة أطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي على مطيهم . يقولون لا تهلك أسى وتجلد^(١)

ويروى هذا البيت بعد البيت الأول:

فروضة دعوى فأكناف حائل وقفت بها أبكى وأبكى إلى الغد^(٢)

خولة: اسم امرأة كلبية، الطلل: ما شخص من رسوم الدار، البرقة: مكان اختلط ترابه
بحجارة أو حصى، ثمهد: موضع، الوشم: النقش في اليد، وهي غرز ظاهر اليد بإبرة، وحشو
المغازز بالكحل، والنقش بالنيلج، الصحب: جمع صاحب، الملى: المراكب، سميت لأنه يركب
مطاهها، أي ظهرها، أو من المطر، وهو المد في السير، التجلد: تكلف الجلادة، وهو التصير،
بصف دروسها يقول: لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذي يخالط أرضه حجارة وحصى من
ثمهد فتظهر تلك الآثار والأطلال بعد أن درست، كبقايا الوشم في ظاهر الكف.

- (٢) جمهرة أشعار العرب ص- ٣٤.

يعنى يبكى ويبكى عليه من كثرة بكائه على هذه الأطلال، فروضة دهمي: اسم جبل في
بلاد بني عقيل.

(١) شرح المعلقات السبع ص ٥٨.

وقال زهير في مطلع معلقته:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحسوماته السدراج فالتشلم
ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم
بها العين والأرام يمسين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة فلايسا عرفت السدار بعد توهم
أثافي سفعا في معرس مرجل ونؤيا كجذم الحوض لم يتشلم
فلما عرفت الدار قلت لربيعها ألا انعم صباحا أيها الربع واسم^(١)

الحومانة: المكان الغليظ، الدمنة: ما اسود من آثار الديار بالبحر والرماد وغيرها، السدراج والتشلم: موضعان، أم أوفى: كنية محبوبته، الرقمتان: حرتان إحداهما قريبة من المدينة، والأخرى قريبة من البصرة، والمراجع: المجددة والمرددة، نواشر: عروق، والمعصم: موضع السوار من اليد، العين: البقر الواسعات العين، الأرام: الظباء خالصة البيضاء، خلفه: يخلف بعضها بعضا، والأطلاء: أولاد الظباء والبقر الوحشي، ويكون هذا الاسم للولد من حين ولد إلى شهر أو أكثر منه، المجثم: موضع البروك للوحوش، حجة: سنة، اللأى: الجهد والمشقة، الأثافي: حجارة توضع القدر عليها، سفح: سود، المعرس: المنزل من التعريس وهو النزول وقت السحر، والمقصود المكان الذي تنصب فيه القدر، المرجل: القدر، والنؤى: نهر يحفر حول البيت ليجرى فيه الماء الذي ينصب من البيت عند المطر، ولا يدخل البيت، الجذم: الأصل، ويروي الجذم وهو البئر القريبة من الكلا، لم يتشلم: لم يتهدم. يقول: أمن دمن أم في دمنة لم يتكلم أهلها، أي دمنة لا تجيب، وهذا توجع، ويقول: إن عهدى بهذه الدار قد قدم حتى أشكلت على. فعهدى بها من عشرين سنة، ولهذا عرفت هذه الديار بعد جهد ومشقة بعد تغرس وتبينى.

(١) شرح المعلقات السبع ص ٧٢ - ٧٥.

وقال لبيد بن ربيعة العامري في مطلع معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها بمعنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عسرى رسمها خلفا كما ضمن الوحي سلامها
دمن تجرم بعد بين أبيسها حجج حلون حلالها وحرامها
رزقت مرايبع التجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن وعشية متجاوب أوزامها
فعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على أطلالها عودا تأجل بالفضاء بهامها
وجلا السيوف عن الطلول كأنها زسر تجرد متونها أقلامها
أو رجع واشمة أسف نؤورها كففا تعرض فوقها وشامها
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صما خوالد ما يبين كلامها
عريت وكان بها الجميع فأبكروا منها وغودر نؤورها وثمامها^(١)

عفت: الفحت، المحل من الديار؛ ما حل فيه لأيام معدودة، والمقام منها: ما طالت الإقامة به، ومعنى: موضع يحمي ضريبة، تأبد: توحس، والغول والرجام: جيلان، المنافع: أماكن = يندفع عنها من الريس والأخفاف، والريان: جبل، الوحي: جمع وحى وهو الكتاب، الريان.

ومرور بعد البيت الأول:

لمية أطلال بحزوى دوائر عفتها السوافى والرياح المواطر^(١)

وقال عنتره بن شداد العيسى فى مطلع معلقته:

واد ينجد، عرى رسمها: خلا، السلام - بكسر السين - الحجارة، التجرم: التكمل والانتجاع،
الخلو: المضي، الحرام: الأشهر الحرم، والخلال: أشهر الخل، صراييع النجوم: الأنواء الربيعية،
وهى المنازل التى تحملها الشمس فصل الربيع، والصبوب: الإصابة، الودق: المطر، الجرد: المطر
التام العام، أو هو المطر الذى يرضى أهله، والرواعد: ذات الرعد من السحاب، الرهام: جمع
رهمة، وهى المطرة التى فيها لين، السارية: السحابة الماطرة ليلاً، المدجن: المليس أفاق السماء
بظلامه لقرط كثافته، الأوزام: التصويت، جمع لها أمطار السنة، لأن أمطار الشتاء أكثرها
يقع ليلاً، وأمطار الربيع أكثرها يقع غداة، وأمطار الصيف أكثرها يقع عشياً، الأيهقان -
بفتح الهاء وضمة - ضرب من التبت، وهو الجرجير البهري، وأطلقت: أى صارت ذات أطفال،
الجهلتان: جانيا الوادى، ونعامها: يقصد بأضت نعامها، العين: واسعات العيون من اليقر،
والكلا: ولد الوحش حين يولد إلى أن يأتى عليه شهر، العوذ: الخديقات النشاج، والأجل:
القطيع من بقر الوحش، والتأجل: صيرورتها أجلاً أجلاً، القضاء: الصحراء، اليهام: أولاد
الضأن ورذاً اختلطت بأولاد الضأن أولاد المعز قبل للجميع بهام وإن نفرت المعز عند العرب،
جلا: كشف، الطلول: جمع الظلل، والنزير: جمع زبور وهو الكتاب، تجيد: تجدد، الرجوع:
الترويد والتجديد، والإسفاف: الذر، والنؤور: النقش المتخذ من دخان السراج والنار، وقبيل:
التيلج، والكفف: جمع كفة، وهى الذرات، تعرض: ظهر ولاج، والشام: جمع وشم، الصم:
الصلاب، خوالد: بواقي، يبين: يظهر، أو يعرف، بكر: سار بكرة، المغادرة: الترك، والشام:
ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت، عريت: لم يبق فيها أحد لما ذهب أهلها، النوى:
حاجز يجعل حول البيوت.

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٢٣٧.

الدوائر: التى قد امحت، السوافى: الرياح التى تسفى التراب، والمواطر: السحاب.

(١) شرح المعلقات السبع ص ١٠٩ - ١١٠.

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عيلة بالجواء تكلمى وعمى صباحا دار عيلة واسلمى
فوقفت فيها ناقتى وكأنها فدن لأقضى حاجة المتلوم
وتحل عيلة بالجواء وأهلنا بالحنزن فالصماء فالمتلثم
حييت من ظلل تقادم عهدى أقوى وأقفر بعد أم الهيثم^(١)
ومطلع القصيدة فى الجهة هكذا:

أعيانك رسم الدار لم يتكلم حتى تكلم كالأصم الأعشىم
ولقد حبست بها طويلا ناقتى ترغو إلى سفح رواكد جشم
ويعد البيت الأول على الرواية السابقة، بيت هو

إلا رواكد بينهن فخصائس وبقية من نويها المجرثم^(٢)

التردم: الموضع الذى يسترخ فيه ويستصلح لما اعتراه من الهم والوهى، والتردم أيضاً مثل التروم وهو ترجيع الصوت مع تنزى، أم بمعنى بل، توهم: شك، الجواء: الياض وهو موضع معين فى البيت، عيلة: اسم صحيرته، عمى صباحاً: كانت العرب تقول فى شئها: أنعم صباحاً أى نعمت صباحاً، أى طاب عيشك فى صباحك، وخص الصباح بهذا الدعاء لأن الغارات والكارثة تقع صباحاً، وفيها أربع لفات: انعم بفتح العين، وكسرهما، وعم بفتح العين وكسرهما من نعم، ووعم، الفدن: القصر، المتلوم: المتكئ، الجواء: الحزن والصمان والمتلثم مواضع، الإقواء: والإقنار: الخلاء.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٣٤٧، ٣٤٨.

الرواكد: الأثافي، والخصائس: الفروج بين الأثافي، المجرثم: المجتمع.

وقال الحارث بن حلزة اليشكري في مطلع معلقته:

أذنتنا بينها أسماء رب ثار وعمل منه الشواء
بعد عهد لنا ببرقة شما * فأدنى ديارها الخلاء
فالمحياة فالصفاح فأعتنا ق فتاق فعاذب فالوفاء
فرياض القطا فأودية الشر بب فالشعبتان فالأبلاء
لا أرى من عهدت فيها فأبكي اليوم دلها وما يحير اليكاه (١)

وقال النابغة:

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار
أقوى وأقفر من نعم وغيره هوج الرياح بهابى الترب موار (٢)

(١) شرح المعلقات السبع ص ١٢٤

الإبتناء، الإعلام، التبين، الفرق، الشواء، الإقامة، العهد، اللقاء، برقة شما، وخلصاء،
والمحياة، والصفاح وأعتنا فتاق، وعاذب، والوفاء، ورياض القطا، وأودية الشريب،
والشعبتان، والأبلاء، كلها مواضع عهد بها، الإحارة: من حار أى وجع، والدنة: ذهب العقل.
(٢) عوجوا: قنوا، الدمنة: ما بقى من آثار الديار، النوى: الخندق يكون حول الخباء
ليمتنع المطر، أقوى: خلا، هوج: جمع هوجاء، وهى الشديدة العاصفة، الهابى: الذى يسقى
على النوى، الموار: الذى يجى ويذهب.

دار لنعم بالحمات قد دثرت لم يبق إلا رماد بين أظآر
وقفت بها سراة اليوم أسألها على آل نعم أموننا عبر أسفار
فاستعجمت دار نعم ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار
فما وجدت بها شيئا ألوذ به إلا الشمام وإلا موقد النار^(١)

وقال الأعشى:

ما بكاء الكبير في الأطلال وسؤالي وما تسرد سؤالي
دمنة قفرة تعاورها الصيب بف بريحين من صبا وشمال^(٢)

(١) الحم: التراب الأسود، الأظآر: الحجارة التي تنصب عليها القدور، ويقال لها الأثافي، وسميت كذلك لتعطفها على الرماد لئلا يطير بها الرياح، السراة - بفتح السين - الوسط، أراد وسط النهار، الأمون: الناقة المريحة أمثت أن تكون ضعيفة، عبر - بضم العين - أي بقية، أو الكثير من كل شيء، أو مثل الفلك، أي لا يزال يسافر عليها، أو يعبر عليها للأسفار، الثمار - بضم الثاء - شجر، الموقد: حيث أوقد الحى نارهم.
(٢) جهرة أشعار العرب ص ٢٠٢.

الأطلال: ما شخص من آثار الديار، الرسم: الأثر بلا شخص أو هو ما لصق بالأرض منها، أو الأثر. أو بقية الأثر، يقول: ما بكاء شيخ كبير مثلي، وسؤالي من لا يبرد على، الدمنة: ما اجتمع من آثار القوم في الديار، قفرة: خالية، تعاورها الصيف مرة بعد مرة، وتداولها الرياحان، والصبا التي تأتي من ناحية الشرق، والشمال ما تأتي عن شمال الكعبة، وهي تخالف الجنوب.

وقال طرفة:

أشجاك الريح أم قدمه أم رماد دارس حممه^(١)

وقال سلامة بن حندل:

وقفت بها ما إن تبين لسائل وهل تفقه الصم الخوالد منطقي^(٢)

وقال ذو الرمة أيضاً بادئا قصيدته بالبكاء على الأطلال:

لمية أطلال بحزوى دوائر عفتها السواني والرياح المواطر^(٣)

وقال ذو الرمة:

دار لمية إذ مى تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٨٧.

(٢) الأصمعيات ص ١٤٣.

الصم: الحجارة الصلبة، وجعلها خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال.

(٣) جمهرة أشعار العرب ص ٢٣٧.

مبية: اسم محبوبته، الدوائر: الدوائر التي قد امحت، السواني: الرياح التي تسفي التراب، المواطر: السحاب.

- أمّا قصائد الهجاء التي قال عنها ذو الرمة:

ستأتى امرأ القيس مأثورة يغنى بها العابر الجالس

فإن ذلك يدل على أنها قصيدة سائرة في الهجاء، أثرها يعيد.

قال عبد المسيح بن عسلة:

وأنا امرؤ من آل مرة إن أكلكم لا ترقنوا كلمي^(١)

فما يدل على أنه هجاء يسير كل مسير.

وقال مزرد الأبياني:

تركت ابن ثوب وهو لا ستر دونه ولو شئت غننتني بثوب ولائدي

صفت ابن ثوب صقعة لا حجي لها يولول منها كل آس وعائد^(٢)

(١) الفضليات ص ٢٧٩.

أكلكم: أخرجكم، لا ترقنوا: لا تقطعوا الدم، يكثي بالكلم والدم عن الهجاء، وأنه إن هجاهم ذاع شعره، فلم ينقطع ذكره.

(٢) الفضليات ص ٧٧، ٧٨، لا ستر دونه: أي كان ممكننا لي لا يستتره شيء عن هجائيه، بثوب: والذريعة يقول: ولو شئت لهجوته هجاء تغنييني به الولائد، وهن الإماء الشواب، الصقع: الضرب على الرأس، وأصله الضرب على كل شيء يابس، لا حجي لها: لا تمالك لها، كالرجل لا حجي له: أي لا عقل له، الآسى: المتطيب المعالج.

فردوا لقاح الثعلبي أداؤها . أعف وأتقى من أذى غير واحد
فإن لم تردوها فإن سماعها لكم أبدا من باقيات القلائد (١)

وقال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

وعدو جاهدنا ضلته في تراخي الدهر عنكم والجمع
فتساقينا بمر ناقع في مقام ليس يشبه الورع
وارقمينا والأعدى شهد بنيسال ذات سم قد نقع
بنيسال كلها مذروية لم يطق صنعتها إلا صنع
خرجت عن بغضة بينة في شباب الدهر والدهر جذع
وتحارضنا وقالوا إنما ينصر الأقبام من كان ضرع (٢)

(١) العائد: من يعود المريض، اللقاح: جمع لقحة، وهي ذوات الألبان من الإبل، أتقى: أوقى من الوقاية، يريد أن أداها خير من أن يؤذى بسببها جماعة منهم، ويقول: فإن لم تردوها هجوتكم هجاء يفي عليكم لازما لكم، كالثقلان في الأعتان.

(٢) المقضيات ص ٢٠٩

يريد بالعدو والجماعة، الجمع: الجماعات، المر: أراد به الكلام، الناقع: المجتمع القاتل، شبه كلامه بالسم الناقع، الورع - بفتح الواو - الهيبوب الجبان، أي ليس يغنى في ذلك المقام الرجل الضعيف، ارقمينا: ترامينا، النيسال: السهام، أراد بها الحجرة في الافتخار ونشر المكارم، والأعدى شهد، لأنه أشد لتحريزه في كلامه من أن يغلب، مذروية: محددة، الصنع: الحاذق الرفيق، الجذع: الشاب الحدث، أراد في أول الدهر، تحارضنا: من الحرض وهو الهلاك، الضرع: الضعيف من الرجال

فرمنى هاربا شيطانه حيث لا يعطي ولا شيئا منع
فرمنى حين لا ينفعه موقر الظهر ذليل المتضع
ورأى منى لسانا صادقا ثابت الموطن كتام الوجع
ولسانا صيرفيا صارما كحسام السيف ما مس قطع^(١)

وقال المزدرد:

ندع ذا ولكن ما ترى رأى عصبه أتتى منهم مندليات عضائل
يهزون عرضى بالمغيب ودونه لقرمهم مندوحة ومآكل
على حين أن جريت واشتد جانبي وأنبح منى رهبة من أناضل
وجاوزت سن الأربعين فأصبحت قناتى لا يلقى لها الدهر عادل
فقد علموا فى سالف الدهر أننى معن إذا جد الجراء ونابل^(٢)

(١) أى: إنما ينصر الأقوام من ضعف عن حجته، حين لا ينفعه، أي الفرار، موقر الظهر: مثقله، كتام الوجع: صبور لا يظهر وجعه، الصيرفى: المتصرف فى الأمور المجرب لها، يتصرف كيفما شاء، كحسام السيف: حده وطرفه القاطع.

(٢) المفضليات ص ١٠٠.

المندليات: المخزيات، التى يتدى لها الوجه ويعرق، العضائل: الشدائد، يهزون: يقطعون كما فسرها ابن الأثيرى، القرم: الأكل بمقدم الفم، أنبح منى: صبرته إلى أن ينبح كالكلب، العادل: القوم، أو المساوى المائل، المعن: المعترض فى الخصومة والمناظرة، الجراء: الجرى، النابل: الحاذق فى أموره، يقول: إذا جرت الخصومة فى فضل أعترض به على الناس.

زعيم لمن قاذفته بأوبد يغنى بها السارى وتحدى الرواحل
مذكرة تلقى كثيراً رواتها ضواح لها فى كل أرض أزامل
تكر فلا تزداد إلا استنارة إذا رازت الشعر الشفاء العوامل
فمن أرمه منها ببیت يلح به كشامة وجه ليس للشام غاسل
كذاك جزأتى فى الهدى وإن أقل فلا البحر متزوج ولا الصوت ساحل
فعد قريض الشعر إن كنت مغزرا فإن غزير الشعر ما شاء قائل (١)

وقال جرير:

لسانى وسيفى صارمان كلاهما وللسيف أشوى وقعة من لسانيا (٢)

(١) الزعيم: الكفيل، الأوبد: الغرائب من الكلام، وأراد هنا ما يهجرهم به، مذكرة: شديدة قوية، صفة للأوبد، ضواح: بارزة ظاهرة، لكثرة ما يرددها الرواة، أزامل: كل صوت مختلف، تكر: تعاد كرة بعد كرة، رازت: جريت، تنظر كيف هو، العوامل: النواطق بالشعر، يلح يظهر من لاح، الشام: جمع شامة، الهدى: المهادة، وأصله ما يهدى، والمراد: التهادى بالشعر، وهو المهاجة، ساحل: من الصعل، يفتح الحاء - وهو بحة الصوت.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ١٠٩.

أشوى: أيسر وأهون، يقول: لسانى أمضى من سيفى، فالسيف أسلم موقعاً من لسانى وأهون.

وقال الحصين المرى:

جزى الله عنا عبد عمرو ملامة وعدوان سهم ما أدق وألما
وحى مناف قد رأينا مكانهم وقران إذ أجرى إلينا وألجما
وآل لقيط إننى لن أسوهم إذا لكسوت العم بردا مسهما^(١)

وقال راشد بن شهاب الشكرى:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد

أموف بسأدراع ابن طيبة أم تدم

ببذم يغشى المرء خزياً ورهظه

لدى السرحة العشاء - فى ظلها الأدم^(٢)

(١) المفضليات ص ٦٨، ٦٩.

عدوان سهم: يعنى عدوان بن سهم بن مرة، أضاف الابن إلى الأب، الدقة: الحسة، قران: قبيلة أو رجل، أجرى الخيل، وألجما، العم: الجماعات، البرد المسهم: المخطط الذى يشبه وشبه بنقش السهام، والمعنى: لهجوتهم جميعاً هجاء، يبقى أثره، ويشتهرون به شهرة البرد المسهم، ويتسامع الناس به.

(٢) المفضليات ص ٩-٣.

السرحة: واحدة السرح، هو شجر كبار عظام لا ترعى وإنما يستظل فيه، العشاء - بتشديد الشين - الحفيفة، وهذه السرحة كانت بمكاظ، يجتمع الناس إليها، ويضربون قباب الأدم.

وقال عقاب بن هاشم:

لئن كان في قيس وخندف ألسن طوال وشعر سائر ليس يقدح

وقال ثابت قطنه يهجو حاجب المازني الشاعر:

أحاجب لولا أن أصلك زيف وأنتك مطبوع على اللؤم والكفر
وأنتي لو أكثرت فبك مقصر رميتك رميها لا يبديد يد الدهر

وقال الأعشى:

ساق شعري لهم قافية وعليهم صار شعري دمدمه (١)

وقال أيضاً:

ليأتينه منطلق قاذع مستوسق للمسمع الأثر (٢)

(١) جمهرة أشعار العرب ص ١٩. دمدمة: أي تدميراً، كقوله تعالى: فدمدم عليهم
ويهم يذنبهم فسواها، الشمس ١٤، أي دمس.
(٢) جمهرة أشعار العرب ص ٢٠، ديوان الأعشى ص ١٤٣. الأثر: الراوية، كقوله تعالى:
إن هو إلا سحر يوثر، المدثر ٢٤، أي يروي، قاذع، ويروي سائر، المسمع بصيغة اسم الفاعل،
أي القائل.

وقال زيان بن سيار:

ألم يند أولاد اللقيطة علمهم بزبان إذ يهجونه وهو نائم
يطوفون بالأعشى وصب عليهم لسان كصدر الهند واني صارم^(١)

وكذلك قصائد المدح السائرة

قال سلامة بن جندل

دع ذا وقل لبي سعد لفضلهم مدحا يسير به غادي الأراكيب^(٢)

وقال المسند بن علس

فلأهدب مع الرياح قصده مى مغلغلة إلى القعقاع

ترد المياه فلا تزال عريبه فى القوم بين تمثل وسماع^(٣)

(١) الأصبغيات ص ٢١١ 'ولاد اللقيطة' شو حديعة بن بكر الفزاري، واللقيطة: لقب أمهم، وهي نصيرة الفزاريه. بقوم يهجونه، هو لا يعا بهم، ولا يلتفت إليهم.

(٢) المفضليات ص ١٢

الأراكيب: جمع أركوب - ضم الهمزة - وهو أكثر عدداً من الركب الذي هو جمع راكب.
(٣) المفضليات ص ٩٢. مع الرياح: يعنى تذهب كل مذهب، مغلغلة: يتفلقل بها الناس نخستها، ويسلكون بها كل غامض. غريبة: لا تزال تأتي قوماً على مياهم، ليست من قوم شعرائهم، فهى غريبة لذلك.

وقال الشاعر:

مصون الشعر تحفظه فيبقى وحشو الشعر يورثك الملالاً (١)

أما قول ذي الرمة:

فما لهم في العلا راكب ولا لهم في الوغى فارس

ممرطلة في حياض الملام كما دعس الأدم الداعس

إذا طمع الناس للمكرمات فطرفهم المطرق الناعس

هذه المعاني وردت كثيراً في الشعر القديم.

وقال الفرزدق في هجاء جرير:

وإن تهج آل الزبرقان فيأتما هجوت الطوال الشم من هضب يذبل

وقد ينبح الكلب النجوم ودونها فراسخ تضنى القين للمتأمل

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٤٤.

وقال البعيث في هجاء جرير:

كليب لثيم الناس قد تعلمونه وأنت إذا عدت كليب لثيمها
أترجو كليب أن يحيى حديثها بخير وقد أعيا كليباً قديمها

وقال جرير يهجو الأخطل:

ولو ان تغلب جمعت أنسابها يوم التفاضل لم تزن مثقالا

قال الأخطل في هجاء الفرزدق:

ولقد شددت على المراغة سرجها حتى سزعت وأنت غير مجيد
وعصرت نطفتها لتدرك دارما هيهات من مهمل عليك بعيد
وإذا تعاظمت الأمور لدارم طأطأت رأسك عن قبائل صيد^(١)

(١) جمهرة أئمة العرب ص ١٠٢.

وقال سويد بن أبي كاهل اليكشري:

ثم ولي وهو لا يحمى طائر الإتراف عنه قد وقع
ساجد المنخر لا يرفعه خاشع الطرف أصم المستمع (١)

وقال الفرزدق في هجاء الأخطل:

يا ابن المراغة والهجان إذا التقت أعناقها وماحل الخصمان
لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان
إن الأرقام لسن ينال قديمها كلب عوى متهمم الأسنان (٢)

وقال في هجاء جرير:

ولو ترمى بلؤم بنى كليب نجوم الليل ما وضحت لسا
ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضع النهار
وما يغدو عزيز بنى كليب ليطلب حاجة إلا يجار (٣)

(١) الفضليات ص ٢٠٦، الإتراف: الشرف والتنعيم، قد وقع: يريد أنه ذهب عنه تنعمه.

(٢) جمهرة أشعار العرب ص ١٠٦، الهجان: جمع هجين.

(٣) الساري: السائر في الليل، يجار: يريد أنهم أذلاء، جينا: لا نقضي حوائجهم إلا في

حماية قوي، يجيرهم من الأذى.

وقال نابغة بنى جعدة:

إذا افتخر الأزدى يوماً فقل له تأخر فلن يجعل لك الله مفخراً
فإن ترد العليا فليست بأهلها وإن تبسط الكفين بالمجد تقصراً^(١)

والتصوير بالحجر ورد في الشعر القديم:

قال العباس بن الأحنف:

أيا زهر الملاحنة والجمال فؤادك من سقام الحب خالى
ولم أر مثل من يشكو هواه إلى من لا يرق ولا يبالي
وأنت كأن قلبك حين أشكو براه الله من صم الجبال^(٢)

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٦٣٠، ٦٣١.

(٢) سقام: مرض، الملاحنة: غير الجمال، لأن الملاحنة معنى يمكن إدراكه، ولا يمكن وصفه، بخلاف الجمال، فإنه يمكن أن يوصف، براه: خلقه، صم الجبال: يقال حجر أصم وصخرة صماء أى صلب مصمت.

الفصل الحادي عشر

الألفاظ والمعاني في المقامة الغيلانية
وعلاقتها بالشعر القديم

خصم: يقال للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

قال ثعلبة بن صعير:

ولرب خصم جاهدين ذوى شذاً تقذى صدورهم بهتر هاتر^(١)

وقال متمم بن نويرة فى أخيه مالك:

ويوما إذا ما كظك الخصم إن يكن

نصيرك منهم لا تكن أنت أضيعا^(٢)

النجيبة: الكريمة من الإبل المختارة.

قال الراهب زهرة بن سرحان:

يصرخ فى عشيرة مجيبه فيركب النجيب والنجيبه^(٣)

الكريم والكريمة.

(١) الفضليات ص ١٣١، الخصم: يفتح الحاء وسكون الصاد، الشذا: الأذى، تقذى: تقذف بالقذى، الهتر الهاتر: الكلام القبيح.

(٢) الفضليات ص ٢٦٤. كظك: بلغ منك غابة الغم، حتى يقطعك عن الكلام، الخصم: يفتح الحاء يقال للمفرد والجمع والمذكر والمؤنث، يكن: الضمير لأخيه مالك.

(٣) الوحشيات ص ٩٦.

وقال أوس بن حجر:

برأس النجبية والعبد والـ وليدة كالجؤذر الكاعب^(١)
أى الناقة الكريمة.

وقال عنتره:

صبر أعدوا كل أجرد سابح ونجبية ذبلت وخف حشاها^(٢)
أى الجواد والناقة الضامرة، وهى من صفات المدح فى الإبل.

* * *

والجنبية: ما تستصحبه من المراكب لتراوح بسنها وبين ما تركب،
إذا تعبت إحداهما ركبت الأخرى، والمذكر منه جنيب.
قال أبو سلمى فى خاله أسعد المري، وابنته كعب، وكان حمل أمه
وقارقهما:

لتصرفن إبل مجنبة من عند أعد وابنته كعسب
الأكلين صريح قومهما أكل الحبارى برعم الرطب^(٣)
المجنبة أى الجنبية.

(١) ديوان أوس بن حجر ص ١١. (٢) ديوان عنتره ص ٧٤.

(٣) الشعر والشعراء ١٤٣/١، شرح ديوان زهير ص ٢.

مجنبة: مجنوبة، من قولهم: جنب القرم: قاده إلى جنبه، وشده للتكثير، الحبارى: طائر، البرعم: كم ثمر الشجر والنور، هوج منببة: أى راجعة، قدر مهوى: حيث يهوى منه.

وقال آخر:

تعارض مجرى الريح هوج منيية إذا نصبت أعناقها للجنايب
فما زال كالموقود حتى غشيتنه وكان قريبا قدر مهوى الموائب^(١)
الجنايب: جمع جنيبة.

وقال المعري:

تسرى إذا هفت الجنوب لعنا نخفى حسيس جنايب ورواحل^(٢)
وقال زهير:

القائد الخيل منكوبا دوابرها قد أحكمت حكمت القد والأبقا
غزت سمانا فأبت ضمرا خدجا من بعد ما جنبوها يدنا عققا
حتى يؤوب بها شعنا معطلة تشكو الدوابر والأنساء والصفقا^(٣)
جنبوها: أي قادوا الخيل إلى جانبها.

(١) مجالس ثعلب ٥٠٧/٢.

(٢) شروح سقط الزند ٧٢١/٢.

هفت الجنوب: أي خفت في هبوبها، الرواحل: جمع راحلة، وهي الناقة التي تتركب في السفر، السرى: سير الليل، الجنوب: الريح القبلية، والجنايب: الخيل المقودة، واحده جنيب، وتكون في موضع آخر الإبل المقودة، الحسيس: الصوت الخفي، يقول: كنا في الطريق نخاف فلا نسرى إلا إذا هبت الرياح لنندس بين صخبها نباح الرواحل، فنخفى سرانا.

(٣) شرح ديوان زهير ص ٤٩ - ٥١

أي قادها في الغزو فأبعد بها حتى نكبت دوابرها، أحكمت: جعل لها القد حكمت، والحكمة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحسك تمنعه عن مخالفة واكبه، =

وقال امرؤ القيس:

وتنوفة جرداء مهلكة جاوزتها بنجائب قتل
فبيتن ينهسن الجيوب بها وأبيت مرتفقا على رحلى (١)

النجائب: جمع نجيبة.

وكانت العرب تتخذها من القد والأبق، لأن قصدهم الشجاعة لا الزينة، وسميت حكمة لذلك، يقال حكمت الفرس: إذا قدعته وكففته، الأبق: شبه الكتان، أو جبال القنب، الدوابر: متأخير الحوافر، أي أكلت الأرض دوابرها، قيل: قد أحكمت هذه الخيل في الصنعة كما أحكمت هذه الحكامات، وكإحكام الأبق، خدجت: إذا وضعت قبل وقته، وأخذجت: إذا جاءت به ناقصاً وإن كان لتسام، أي رجعت ضمراً مهازبل قد ألقت بأولادها لغير تمام من التسبب مفرداً خدوج، جنبوها: من الجنبية، أي قادوها، وكانوا يركبون الإبل، ويقودون الخيل، فهي جنبية ومجنوية، بدنا: عظام الأبدان، مفرداً بادن، العقق: جمع عقوق، وهي التي عظمت بطونها، أو التي استبان حملها، فيقول: وضعت ما في بطونها من شدة السير، وخص ذكر العقق ليخبر بجهد جميعها، وشدة عنائها وتعبها، يؤوب: يرجع مع الليل، معطلة: لا أرسان عليها من الإعياء والجهد، فتشمى بلا أرسان، والنسا: عرق في الفخذ، والصفاق: الجلد الذي دون الجلد الأعلى مما يلي البطن، حيث يتقب البيطار.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٢٣٧.

التنوفة: الأرض الخالية الواسعة التي لا شئ فيها، الجرداء: التي لا نبت ولا شجر فيها، المهلكة: التي يهلك فيها الناس لبعدها، النجائب: الكرام من الإبل المختارة، والذكر نجيب، والأنثى نجيبة، والقتل من الإبل: التي في مرافقها وأيديها بعد عن مناكبها، وذلك أكرم لها، ويقال للذكر أقتل، والأنثى فتلاء، ينهسن: أي يأكلن، الجيوب: الأرض ذات المدر الغليظ، أبيت مرتفقا: أي واضعاً مرفقي.

وقال امرؤ القيس فى وصف بييد:

وقد مسحاً الجندب عنها كل ساكنها فما بأجوازها عجم ولا عرب
ما يأنس القوم فيها من مخافتها والهول فيها ولا المهرة النجب^(١)
النجب: جمع نجبية أى المختارة.

وقال امرؤ القيس:

مطوت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان^(٢)
أى الجياد المجنبة أو الجنيبية.
وقال امرؤ القيس يصف ناقة:

كان بها هرا جنيبا تجره بكل طريق صادفته ومأزق^(٣)

أى مجنوبا.

(١) ديوان امرؤ القيس ص ٣٠٤. الجندب: القحط، أجوازها: أى أوساطها، المهرة: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان، من اليمن، النجب: المختارة.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٩٣. يقول: ركبت أنا وهم الطي، ومددت بهم فى السير حتى كلت وأعبت حتى لا تحتاج الجياد من الإعياء، والتعب إلى أرسان تقادبها، وكانوا يركبون الطي، ويقودون الخيل، والجياد: جمع جواد، وهو اللاحق الضامر الكشح، الكريم.

(٣) ديوان امرؤ القيس ص ١٧٠.

كان بها هرا: أى هى من سرعتها كأن إلى جنبها هرا بخدشها، فهى لا تستقر، ومعنى جنيب: أى مجنوب، صادفته: أى مرت به، والمأزق: الطريق الضيق، وأكثر ما يقال ذلك فى الدرب بين الصفتين.

وقال عنتره:

هر جنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالقم^(١)
أى مجنوب.

وقال المثقب العبدى فى وصف ناقة:

كأن جنيباً عند معقد غرزها تزاوله عن نفسه ويريدها
تهالك منها فى الرخاء تهالكا تهالك إحدى الجون حان ورودها^(٢)
جعل الجنيب هرا.

وقال الممزق فى لكيز بن أقصى زعيم قبيلة لكيز:

قضى لجميع الناس إذ جاء أمرهم بأن يجنبوا أفراسهم ثم يلحقوا
يؤم بهن الجزم خسوق سميسدع أخذ كصدر الهندوانى مخفق^(٣)

(١) شرح المعلقات السبع ص ١٨٧، هامش صفحة ١٧٠، ديوان امرئ القيس.

(٢) المفضليات ص ١٥٠ - ١٥١، الشعر والشعراء، ٧٥٦/٢.

الجنيب: الدابة تقاد إلى جنب أخرى، أراد به هرا، يقول: كأنها لسرعتها ينهسها هرا عند معقد غرزها، وهو حزامها، تزاوله: تخالته وتعالجه، يريد هرا، يقصدها بالأذى، التهالك: شدة السير والاجتهاد فيه، الرخاء: الاسترخاء، يقول: استرخاؤها فى سيرها تهالك، فكيف باعتمادها، الجون - بالضم - القطا، وأصله جمع جون بالفتح، وهو الأسود، شبهها بقطاة حين ورودها عطشى، فهى لا تألو طيرانا.

(٣) المفضليات ص ٣٠١ - ٣٠٢.

قضى: أى لكيز، اسم أبى القبيلة، تجنبوا أفراسهم: يتقون أفراساً بجانب إبلهم =

أى يقودون أفراسهم بجانب إبلهم ليركبوها عند الحرب.

الأورق من الإبل: الأدم، أو ما فى لونه بياض وسواد، أو على لون الرماد، والورق من ألام الإبل، ومن أطيب الإبل لحماً، لا سيرا وعملا.
قال ثعلبة العبدى يصف فرسه:

وتعطيك قبل السوط ملء عناتها وإحضار ظمى أخطاته المجادف
بللت بها يوم الصراخ وبعضهم يخب به فى الحى أورق شارف^(١)
أى جعل على لون الرماد.

وقال زهير:

إذا ما سمعنا صارخا معجت بنا إلى صوته ورق المراكل ضم^(٢)

يركبوها عند الحرب، والمعنى: أوجب عليهم أن يركبوا الإبل، ويجنوا الخيل متوجهين إلى الغارة، يؤم بهن على حزم من أمره، أو الحزم: الحزن من الأرض، وهو الغليظ، الحرق: المشقن فى فنون الخير والمعروف، السمدع: الجميل الشجاع، الأحذ: الخفيف، الهندوانى: السيف، المخفق: الضروب.

(١) الفضليات ص ٢٨٢. ملء عناتها: أى عدوا ملء عناتها، الإحضار: العدو، المجادف: ما يجدف به، أى يرمى به، بللت بها: ملكتها وكانت فى قبضتى، الصراخ: إجابة المستصرخ، ويقال أيضاً للاستعانة، يخب: من الخبب، وهو ضرب من العدو، الأورق: على لون الرماد، والورق ألام الإبل، الشارف: الهرم الكبير.

(٢) شرح ديوان زهير ص ٢١٥

الصراخ والصريح: المغيب والمستغيث ضد، معجت: مرت مرا سريعاً سهلاً، وأصل =

ورق المراكل: قد اسودت مواضع أرجل الفرسان.

وقال النابغة الذبياني:

فيهم بنات العسجدى ولاحق ورق مراكلها من المضمار^(١)

ومته الورقاء للحمامة.

قال المرار بن منقذ:

ما أنا الدهر بناس ذكرها ما غدت ورقاء تدعو ساق حر^(٢)

أى الحمامة بلون الرماد.

المعج: سرعة المرء ومعج الفرس: اعتمد على إحدى عضادتي العنان، مرة في الشق الأيمن، ومرة في الشق الأيسر. ورق المراكل: قد اسودت مواضع أرجل الفرسان، لأن الشعر تحمات عنها، فاسود موضعه لكثرة الركوب في الحرب، والأورق: لون الرماد، ومراكل الدابة: حيث يركله الفارس برجله إذا حركه للركض، وهما مركلان، وإنما جمعه بما حوله.

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٩٥.

فيهم بنات العسجدى: يعنى أنهم أهل خيل وحروب، والعسجدى ولاحق: فرسان كانوا في الجاهلية من فحول الخيل المنجبة، ورق مراكلها من المضمار: كانت خيلاً ترعى فركبها الوبر، فلما دخلت المضمار، وركبها الغلمان ضربوا مراكلها بأعقابهم، فذهب الوبر، وبذل منه الشعر، ومراكلها: موضع أعقاب الغلمان حيث يحركونها، والورق: جمع أورق، وهو الذي لونه يضرب إلى السواد مثل لون الرماد، وإذا تحمات وبر المراكل وشعرها لم ينبت شعرهن الذي سقط منهن، فلذلك وصفها بالورقة، لأنها تضرب إلى السواد.

(٢) المفضليات ص ٩٣. الورقاء: الحمامة، ساق حر: ذكر الحمام القمارى، سمي بذلك

أخلاً من صوته، ويسمى صوته أيضاً ساق حر.

قال العدليل بن الفرخ فى الإبل:

قوارب الماء سوامى الأَبصار

وهن ينهضن بدكداك هار

أورق من ترب العراق خوار^(١)

جعد اللغام: أى متراكمه، فكأنه جعد بعضه فوق بعض كالشعر
المجعد، فيه تقبض.

قال المرار بن منقذ:

راقه منها بياض ناصع يؤثق العين وضاف مسبكر

تهلك المدراة فى أفتانه فإذا ما أرسلته ينعفر

جعدة فرعاء فى جمجمة ضخمة تفرق عنها كالضفر^(٢)

(١) الشعر والشعراء ٤١٤/١. قوارب الماء: طوالب الماء، الدكداك: الرمل يتلبد بعضه
على بعض بالأرض ولا يرتفع كثيراً، الأورق: الذى لونه بين السواد والغبرة، ومنه قيل للرماد
أورق، يريد أن لون الدكداك كلون الرماد.
(٢) المفضليات ص ٨٩ - ٩٠.

يؤثق: يعجب، ضال: سابغ طويل، عنى شعرها، مسبكر: منسبط مسترسل، المدراة:
المشط، هلاكها: غرضها فلا تظهر فيه، أفتانه: ذواته، وأصل الفتن: الفصن، ينعفر: يصيبه
العفر - بفتحين، أى التراب، من طوله، جعدة: جعدة الشعر: فيه تقبض، فرعاء: طويلة
الشعر، الضفر: جمع ضفير.

أى جعدة الشعر فيه تقبض ، ليس بسبط.

وقال المخبل السعدى

وتضل مدرها المواشط فى جعد أغم كأنه كرم (١)

أى الشعر المتقبض ليس بالسبط.

وقال الراعى:

تضم على مضمومة فارسية ضفائر لا ضاحى القرون ولا جعد (٢)

على المعنى نفسه.

وقال أبو النجم:

كأنه حين تدمسى مسحله

وابتل ماء نحره وكفله

جعد طوال ظل دجن يغسله (٣)

(١) الفضليات ص ١١٦.

المدرى: المشط، الجعد: الشعر المتقبض ليس بالسبط، الأغم: الشعر الكثير، وأصله من الغم، وهو أن يسبل الشعر من كثرتة فى الوجه والقفا، الكرم: شجر العنب، شبهه به لكثرتة، والجعد لا يكون إلا قليلاً، فإن كان كثيراً فهو غاية مدحه.

(٢) لسان العرب ١٧/١٣١.

(٣) شرح ديوان زهير ص ٧٦.

المسحل هنا: اللجام أو الحديدة التى لا تكون على طرفى شكيم اللجام، وهى التى تجعل فى فم الفرس ليخضع، جعد: متقبض مجتمع شديد.

أى متقبض متجمع شديد.

وقال ابن ميادة:

ألم يبلغك أن الحى كلبا أرادوا فى عطيتك ارتدادا
أرادوا لى بها لونين شتى وقد أعطيتها دهما جعادا^(١)

أو الجعد: المندى، أو الميتل.

قال النابغة الذبياني يصف مواضع دمن:

تأيد لا تسرى إلا صوارا بمرقوم عليه العهد خال
تعاورها السوارى والغوادى وما تذى الرياح من الرمال
أثيث نبتته جعد ثراه به عبوذ المطاقل والمتالى^(٢)
أى ترابه ند.

(١) الشعر والشعراء ٧٧٢/٢.

يقصد إبلا دهما جعادا، والدهم من الدهمة، وأصلها السواد، وهى فى ألوان الإبل أن تشتد الورقة حتى يذهب البياض، جعاد: جمع جعد، وهو من جمود الشعر، ولعل هذا عندهم من محاسن الإبل.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١٤٩ - ١٥٠.

تأيد: أى توحش موضع هذه الدمن، الأرابد: الوحش، الصوار: قطع البقر، بمرقوم: =

وقال نابغة بنى جعدة:

من رمل عرنان أو من رمل أسنمة

جعد الثرى بات فى الأمطار مدجوناً^(١)

أى مبتل، أو متدى، فإن ابتل صار جعداً، فإن تجاوز ذلك صار طيناً.

وقال امرؤ القيس يصف فرسا يطارده نعاجا:

ولى كشويوب العشى بوابل ويخرجن من جعد ثراه منصب^(٢)

أى الشديد الندوة، أو المتراكب يعضه على بعض.

«يعنى يرسم، العهد: أراد به المطر، أى على هذا الرسم أثر العهد وتغييره، خال: من نعت المرقوم، أى لا أنيس به، تعاورها: أى تعاقب على هذه الدمن أمطار الليل والنهار، فسحت آثارها، وغيرت رسومها، جعد ثراه: أى تراه ندى، وما كان فيه ندى فهو جعد، العود: الحديثات النتاج، المطافل: الشئ معها أولادها، المتالى: الشئ نتج بعضها، فما بقى فهو المتالى، وقيل: المتالى: هى التى تتلها أولادها.

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٦٨٩. عرنان: اسم نقا، وأسنمة: اسم مكان.

(٢) ديوان امرؤ القيس ص ٥٠.

ولى كشويوب العشى: شبه شدة دفع القوس فى الجرى بدفعة المطر، وخص شويوب العشى، لأنه أغزر من غيره وأشد، والجعد: الشديد الندوة، المنصب: المرتفع المنتصب، وصفه بذلك لشدة وقع حوافره، فيثرن ما لا يكاه يثور، وقيل: الجعد: المتراكب يعضه على بعض، وهو من صفة الفبار، والتقير: يخرجن من غبار جعد ثراه، والأفضل: ويخرجن من مكان مخصب ندى قد يجعد ثراه لندوته، وريت أرضه وتنصبت لربها، وثراها، فعلت، =

وقال امرؤ القيس يصف آتنا وفحلاً.

ويأكلن بهمي جعدة حبشية ويشرين برد الماء في السبرات^(١)

أى مبتلة أو مندأة، أو متراكبة بعضها فوق بعض.

أو الجعد بمعنى الخفيف

قال سلامة بن جندل:

قبت كأن الكأس طال اعتيادها على بصاف من رحيق مروق

كريح ذكى المسك بالليل ريحه يصفق في إبريق جعد منطلق^(٢)

أى الساقى الخفيف.

والمعنى أن هذه النعاج كانت فى خصب فهو أسرع لها وأقوى على العدو، والفرس مع ذلك لاحق بهن.

(١) ديوان امرئ القيس ص ٨٠.

يصف الأتن والفحل، يأكلن بهمي: أى هى فى خصب، والبهمي: نبت له شوك تكلف به الحمير، وتصلح عليه، حبشية: أى شديدة الحاضرة تضرب إلى السواد لريها ونعمتها، ويشرين برد الماء: أى لقوتهن وجلدهن، وتمكن ستمهن يشرين بارد الماء فى القدوات الباردة، ولا يبالينه، والسبرات: جمع سبرة، وهى الغداة الباردة.

(٢) الأصمعيات ص ١٣٣.

اعتيادها: معاودتها، المروق: المصفى بالراووق، وهو المصفأة، يصف ذهوله لما نابه من الحزن، كالمكشر من الشراب، يصفق: يرح، أو يهول من إناء إلى إناء، الجعد: الخفيف من الرجال، عنى به الساقى، المنطق: المشدود على وسطه النطاق.

أو الجعد بمعنى القصير.

قال دريد بن الصمة:

وأنت امرؤ جعد القفا متعكس من الأقط الحولى شبعان كانب^(١)

أى قصير القفا.

وقال ذو الرمة:

سوى وطأة فى الأرض من غير جعدة

ثنى أختها فى غرز عوجاء ضامر^(٢)

وقال حميد بن ثور فى صفة الوطى:

فعضت تراقيه بصفراء - جعدة فعنها تصاديه وعنهما تراود^(٣)

(١) الأصمعيات ص ١١٣.

الجعد: القصير، المتعكس: المنثنى غضون القفا، أو المجتمع، الكانب: الغليظ، وقيل أى أنت سمين وأنت صاحب غنم.

(٢) الشعر والشعراء، ١٤٨/١.

سوى وطأة: بمعنى نفسه عند نزوله، من غير جعدة: من رجل غيره كبيرة ليست قصيرة.
(٣) التراقى: جمع ترقوة، وأصلها العظمة المشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، وأراد بتراقى الوطى هنا أعاليه، والوطى: سقاء اللبن خاصة، وهو جلد المذبح فما فوقه، وأراد بالصفراء - الجعدة سنها، ووصفها بالجعودة على معنى أنها قصيرة شديدة.

وهو ووصف للناقة كثيراً ما يكون في الشعر القديم، أي إن زيدها
كثيراً.

قال الحكم الخضري:

إذا غضيت أن يزجر العيس خلفها

كست خطمها من كسوة لم تهدب^(١)

أي الزيد الذي يعلو فم الناقة.

واللغام: زيد الجمل يقذفه من فيه.

قال ذو الرمة:

ولم ينقضوا التوريك عن كل ناعج وروعاء تعمي باللغام سناد^(٢)

أي بالزيد.

(١) الأصمعيات ص ٣٢.

العيس: الإبل الخالصة البيضاء، الخطم: مقدم الأنف، لم تهدب: من هدبة الشوب، وهي طرفه الذي لم ينسج، وأراد بالكسوة ما يعلو فم الناقة من الزيد، فهي تغضب إذا حاول غيرها أن يلحقها.

(٢) شرح ديوان ذي الرمة ص ٢٦.

وقال كعب بن زهير:

تنفى اللغام بمثل السبت خصره حاذ يمان إذا ما أرقلت حققا^(١)

أى تنفى الزيد

وقال المعرى

والعيس نعلن بالحنين البكم ولغامها كالبرس طار نديفه^(٢)

وقال آخر

كان لغامها برس نديف^(٣)

وقال المعرى.

يراقب ضوء الصبح من كل مطلع ولا ضوء إلا ما بدا من لغامه^(٤)

والتلغيم: من اللغام.

(١) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٢٣٦.

(٢) شروح سقط الزيد ١١٠٨/٣ - ١١٠٩ - ١١.

العيس: الإبل البيضاء، لغامها: ما ترميه من الزيد من فيها إذا سارت، البرس: القطن.

(٣) شروح سقط الزيد ١١٠٩/٣.

(٤) شروح سقط الزيد ٤٩٥/٢.

جعل لغامه، وهو زيده، لما كان أبيض، صبها، وهو تصوير للغام الجمل.

قال علقمة بن عبدة يصف ناقة:

كأن غسلة خطمي بمشقرها في الخد منها وفي اللحين تلقيم^(١)

تلقيم: من اللغام، وهو الزبد.

وهذا المعنى يدل على كثرة اللغام.

قال المعري:

على عشر كالنخل أبدي لغامها

جنى عشر مثل السبيخ الموضع^(٢)

أي زيدها.

(١) المفضليات ص ٣٩٩.

الغسلة: ما غسل به الرأس، الخطمي: نبات يغسل به، التلقيم: تفعيل من اللغام، وهو زبد تخلطه خضره مما رعت، وهذا المشتق لم يذكر في المعاجم، يقول: قد رعت البقل وكان بمشقرها خطيما من خضرته.

(٢) شروح سقط الزند ١٥٠٧/٤.

العشر من الإبل: التي أظماؤها العشر، وهو ورود الماء في كل عشرة أيام، واحدها عشر، ويقال لها العواشر، والعشر أطول الأظماء، وشبهها بالنخل في ارتفاع خلقها، اللغام: لعاب الإبل، شبهه في بياضه بجنى العشر، لأنه أبيض، والعشر: ضرب من الشجر لا قوة له، أو نوع من العضاة، وجناه: ما يجنى منه، وهو شئ يظهر منه أبيض، يشبه القطن، يقال له: الفوف، ويشبه به لغام الإبل، والسبيخ: جمع سبيخة، وهي القطعة المستطيلة من القطن،

وقال ذو الرمة:

كان اللغام الهييان تطيره جنى عشر تنفيه أشداقها الهدل^(١)
أى الزيد.

وقال الراجز:

كان ما تنفيه من لغامها

سبائح القطن على زمامها^(٢)

أى زبدها.

وقال النابغة:

وإذا يلوث لغامه بسديسه ثنى فهب هبابه وتزيدا^(٣)

أى زبده.

== الموضع: الموضوع فوق الثوب أو غيره، الخياط يوضع القطن على الثوب توضيحاً، يقول:
أراك جفنتك منمطف الوادى، وأنت على إبل ضوادى.

(١) شرح سقط الزند ١٥٠٨/٤، شرح ديوان ذى الرمة ص ٧٥.

يروى: تطير اللغام الهييان كأنه.

(٢) شرح سقط الزند ١٥٠٨/٤.

(٣) ديوان الأعشى الكبير ص ٥٣.

وقال حبيب أبو تمام:

فالرزق لا تكمد عليه فإنه يأتي ولم تبعث إليه رسولا
وقال أبو ذؤيب:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع
وقال محمود الوراق:

يا عائب الفقر ألا تزدر عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله على الغنى إن صح منك النظر
أنك تعصى كي تنال الغنى وليس تعصى الله كي تفتقر^(١)

قال أعرابي بعد أن نال بغيته وهو ابن سبيل:

لا والذي أنا عبيد في عبادته لولا شماتة أعداء ذوى إحن
ما سرنى أن أبلى في مباركها وإن أمرا قضاة الله لم يكن
أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال:

(١) العقد الفريد ١٤٤/٢

لولا شماتة أعداء ذوى حسد وإن أنال بنفعى من يرجينى
لما خطبت إلى الدنيا مطالبها ولا بذلت لها عرضى ولا دينى
لكن منافسة الأكفاء تحملنى على أمور أراها يسوف تردىنى
وقد خشيت بأن أبقى بمنزلة لا دين عندى ولا دينياً أتواتبنى

دخل أعرابى على خالد بن عبد الله القسرى، فلما مثل بين يديه
أنشأ يقول:

أصلحك الله قل ما بيدي فما أطيق العيال إذ كثروا
أناخ دهر ألقى بكلكله فأرسلونى إليك وانتظروا

قال: أرسلوك وانتظروا، والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم،
فأمر له بأربعة أبعرة موقورة برأ وقرأ وخلق عليه.

أقبل أعرابى إلى مالك بن طوق، فأقام بالرحبة حيناً وكان الأعرابى
من بنى أسد صعلوكاً فى عباءة صوف وشملة شعر، فكلما أراد الدخول
منعه الحجاب، وشتمه العبيد وضربه الأشراف، فلما كان فى بعض الأيام
خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة، فعارضه الأعرابى، فضربه

ومنعوه، فلم يشنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه، ثم قال: أيها الأمير إنني عائد بالله من أشراطك هزلاء، فقال: مالك، دعوا الأعرابي، هل من حاجة يا أعرابي؟ قال أصلح الله الأمير أن تصغى إلي بسمعك، وتنظر إلي بظرفك وتقبل إلي بوجهك، قال: نعم، فأنشأ الأعرابي يقول:

ببأبك دون الناس أنزلت حاجتي وأقبلت أسمى حوله وأطوف
ويعنني الحجاب والستر مسبل وأنت بعيد والشروط صفوف
يدورون حولي في الجلوس كأنهم ذئاب جياح بينهن خروف
فأما وقد أبصرت وجهك مقبلا فأصرف عنه إنني لضعيف
ومالي من الدنيا سواك ولا لمن تركت ورائي مريع ومصيف
وقد علم الحيان قيس وخندف ومن هو فيها نازل وحليف
تخطى أعناق الملوك ورحلتى إليك وقد حنت إليك صروف
فجثتك أبقى اليسر منك فمر بي ببأبك من ضرب العبيد صنوف
فلا تجعلن نحو بأبك عودة فقلبي من ضرب الشروط مخوف
فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه، ثم قال لمن حوله:
من يعطيه درهماً بدرهمين وثوباً بشويين، فوقع عليه الثياب والدرهم

من كل جانب حتى تحير الأعرابي، ثم قال له: هل بقيت لك حاجة يا
أعرابي؟ قال: أما إليك فلا، قال: فإلى من؟ قال: إلى الله أن يبقيك
للعرب، فإنها لاتزال بخير ما بقيت لها^(١).

وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله
تعالى عنهما، فقالت: إنى أتيت من أرض شاسعة، تهيضنى هائضة
وترفعنى رافعة فى بواديرين لحمى، وهضن عظمى، وتركتنى والهة قد
ضاق بى البلد، بعد الأهل والولد، وكثرة من العدد لا قرابة تؤوينى،
ولا عشيرة تحمينى، فسألت: أحياء العرب من المرتجى سيبه، المأمون
عيبه، الكثير نائله، المكفى سائله فدللت عليك، وأنا امرأة من هوازن
فقدت الولد والوالد فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث إما أن تحسن
صفدى، وإما أن تقيم أودى، وإما أن تردنى إلى بلدى، قال: بل
أجمعهن لك ففعل ذلك بها. وقال أعرابي:

يا عامل الخير رزقت الجنة اكس بنياتى وأمهنه

وكن لنا من الزمان جنه وأردد علينا إن إن إنه^(٢)

(١) العقد الفريد ٢/٢٨٢.

(٢) العقد الفريد ٢/١٨٣.

وقف أعرابي يقوم فقال: أشكو إليكم أيها الملأ زماناً كلح في وجهه، وأناخ على كلكله، بعد نعمة من المال، وثروة من المال وغبطة من الحال، اعتورتني جدائده، ينبل مصائبه عن قسي نوابه، فما تركا لى ثاغية أجتدى ضرعها، ولا راغية أرنجي نفعها، فهل فيكم من معين على صرفه، أو معد على حتفه؟ فرد القوم عليه ولم ينيلوه شيئاً فأنشأ يقول:

قد ضاع من يأكل من أمثالكم
جودا وليس الجواد من فعالكم
لا يبارك الله في لكم مالكم
ولا أزاح السوء عن عيالكم
فالفقر خير من صلاح حالكم

سأل أعرابي، فلم يعط شيئاً، فرفع يديه إلى السماء وقال:

يا رب أنت ثقتى وذخرى
لصبيبة مثل صفار الذر
جساءهم البسرده وهم يشر

بغير لحف وبغير أزر
كأنهم خنافس في حجر
تراهم بعد صلاة العصر
وكلهم ملتصق لصدرى
فاسمع دعائى وتول أجرى

سأل أعرابى ومعه ابنتان له، فلم يعط، فأنشأ يقول:
أيا ابنتى صابرا أباكما
إنكما بعين من يراكما
الله مولاي وهو مولاكما
فاخلصا لله من نجاكما
تضرعا لا تدخرا بككما
لعله يرحم من أواكما
إن تبكيا فالدهر قد أبكاكما^(١)

(١) العقد الفرید ٢/٢٨٤.

وقف أعرابي غنوى على قوم، فقال بعد التسليم: أيها الناس ذهب
النيل، وعجف الخيل، وبخس الكيل، فمن يرحم نضر سيف وقل سنة،
ويقرض الله قرضاً حسناً لا يستقرض الله من عدم ولكن ليبلوكم فيما
آتاكم، ثم أنشأ يقول:

هل من فتى مقتدر معين على فقير باتس مسكين
أبى بنات وأبى بنين جزاء ربي بالذى يعطينى
أفضل ما يجزى به ذو الدين

وقال أعرابي للمأمون:

قل للإمام الذى ترجى فضائله رأس الأنام وما الأذنان كالرأس
أنى أعوذ بهرون وحفرته وبابن عم رسول الله عباس
من أن تشد رحال العيس راجعة إلى اليمامة بالحرمان والياس

أصابت الأعراب مجاعة، فمرت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة
الطريق وهو يقول:

يا رب إنى قاعد كما ترى
وزوجتى قاعدة كما ترى
والبطن منى جائع كما ترى
فما ترى يا ربنا فيما ترى

حدث بعض الأعراب قال: أصابتنا سنة وعندنا رجل غنى وله كلب،
فجعل كلبه يعوى جوعاً فأنشأ، يقول:

تشكى إلى الكلب شدة جوعه وبى مثل ما بالكلب أو بى أكثر
فقلت لعل الله يأتى بغيثه فيضحى كلاتنا قاعدا يتذمر
كأنى أمير المؤمنين من الغنى وأنت من النعم كأنك جعفر

سأل أعرابى رجلاً يقال له عمرو، فأعطاه درهماين فردهما عليه وقال:
تركت لعمرو درهميه ولم يكن ليغنى عنى فاقتى درهما عمرو
وقلت لعمرو خذهما فاصطرفهما سريعين فى نقض المودة والأجر^(١)

(١) العقد الفريد ٢/٢٨٥.

وقال حبيب أبو تمام:

ذل السؤال شجى فى الحلق معترض من دونه شرق من خلفه حرض
ما مال كفك إن جادت وإن بخلت من ماء وجهى إن أفسدته عوض
وقال الشاعر:

ما نال ياذل وجهه بسؤاله عوضاً ولو نال الغنى بسؤال
وإذا التوال مع السؤال وزنته رجح السؤال وشال كل نوال

وقال مسلم بن الوليد:

سل الناس إنى سائل الله وحده وصائن عرضى عن فلان وعن فلا
وقال عبيد بن الأبرص:

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
وقال ابن أبي حازم:

لطفى يوم وليلتين ولبس ثوبين باليسين
أهون من منة لقوم أغض منها جفون عيني

إني وإن كنت ذا عيال قليل مال كثير دين

لأحمد الله حين صارت حوائجى بينه وبينى

وقال ابن عبد ربه:

سؤال الناس مفتاح عتيد لباب الفقر فاكلف بالسؤال^(١)

وقال حبيب أبو تمام:

لم يخلق الرحمن أحق لحية من سائل يرجو الغنى من سائل

- الشيب والشباب:

قال حبيب الطائي:

غدا الشيب مختطا بفردى خطة طريق الردى منها إلى النفس ضيع

هو الزور يخفى والمعاشر يحتوى وذو الإلسف يبلى والجديد يرقع

له منظر فى العين أبيض ناصع ولكنه فى القلب أسود أسفع^(٢)

(١) العقد الفريد ٤٦/٢.

(٢) العقد الفريد ٤٧/٢.

وقال محمود الوراق:

بكيت لقرب الأجل وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طراً بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

وقال أيضاً:

لا تطلبن أثراً بعين فالشيب إحدى الميتمتين
أبدى مقابح كل شين ومحاسن كل زين
فإذا رأيت الغائباً تراءين منك غراب بين
ورمما نافسني فيك وكنت طوعاً لليدين
أيام عنمك الشبا ب وأنت سهل الغارضين
حتى إذا نزل المشيد ب وصرت بين عماتين
سوداء حالكه وبيضاء المناشر كاللجين
مزج الصدود وصالهن فكن امرأ بين بين
وصبرن ما صبر السواد على مصانعة ودين

حتى إذا شمل المشيب ب فجاز قطر الحاجبين
فتقين شراً تقية وأخذن منك الأطيبين
فاقن الحيا أو سل نف سك أو فناء الفرقدين
ولئن أصابتك الخطر ب بكل مكروه وشين
فلقد أمنت بأن يصب بك ناظر أبدا بعين

وقال حبيب الطائي:

نظرت إلى بعين من لم يعدل لما تمكن جها من مقتلى
لما رأت وضع المشيب بلمتى صدت صدور مجانب متحمل
فجعلت أطلب وصلها بتلطف والشيب يغمزها بأن لا تفعل

وقال آخر:

صدت أمامة لما جئت زائرها عنى بمطروقة إنسانها غرق
وراعها الشيب فى رأسى فقلت لها كذاك يصفر بعد الخضرة الورق

وقال محمد بن أمية:

رأين الغراني الشيب لاح بعارضى فأعرضن عنى بالحدود النواضر
وكن إذا أبصرتنى أو سمعن بى دنين فرفعن الكرا بالمحاجر

وقال العلوى:

عيرتنى بشيب رأسى نوار يا ابنة العم ليس فى الشيب عار
إنما العار فى الفرار من الزح ف إذا قيل أين أين الفرار

وقال ابن عبد ربه فى الشيب:

بدا وضح المشيب على عذارى وهل ليل يكون بلا بهار
شريت سواد ذا بياض هذا فبدلت العمامة بالخمير
وألينى النهى ثوباً جديداً وجردنى من الثوب المعار
وما بعث الهوى بيعاً بشرط ولا استثنيت فيه بالخيار^(١)

وقال أيضاً:

قالوا شبايك قد ولى فقلت لهم هل من جديد على كرا الجديدين

(١) العقد الفرید ٤٨/٢.

صل من هويت وإن أبدى معاتبه فاطيب العيش وصل بين إلفين
واقطع حباتل خدن لا تلامه فربما ضاقت الدنيا على اثنين
وقال ابن عبد ربه:

جار المشيب على رأسى فغيره لما رأى عندنا الحكام قد جاروا
كأنما جن ليل فى مفارقه فاعتاقه من بياض الصبح أسفار
وقال أيضاً:

سواد المرء تنفذه الليالى وإن كانت تصير إلى نفاذ
فاسوده يعود إلى بياض وأبيضه يعود إلى سواد
ومن قوله أيضاً:

أطلال لهوك قد أقوت مغانيها لم يبق من عهدا إلا أثافيها
هذى المفارق قد قامت شواهدا على فنائك والدنيا تزكيها
الشييب سفتجة فيها معنونة لم يبق للموت إلا أن يسجيها
ومن قوله أيضاً:

نجوم فى المفارق ما تغور ولا يجرى بها فلك يسدور

كان سواد لته ظلام أغار من المشيب عليه نور
ألا إن القتيروعيد صدق لنا لو كان يزجرنا القتيير
نذير الموت أرسله الينا فكذبنا بما جاء النذير
وقلنا للنفوس لعل عمرا يطول بنا وأطوليه قصير
متى كذبت مواعدها وخانت فأولها وآخرها غرور
لقد كاد السلويميت شوقى ولكن قلما فطن الكبير
كأنى لم أرق بل لم يرقنى شمس فى الأهلة أو يدور
ولم ألق المنى فى ظل لهو بأقمار سحائبها الستور^(١)

وقال محمود الوراق:

أليس عجيبا بأن الفتى يصاب ببعض الذى فى يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز مقعد إليه
ويسليه الشيب شرخ الشباب فليس يعسزه خلق عليه

(١) المقعد الفرید ٤٩/٢.

وقال ابن أبي حازم:

ولى الشباب فعلى الذمع ينهمل فقد الشباب يفقد الروح متصل
لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل
وقال جرير:

ولى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشتري أو يرجع
وقال صريع الغواني:

وأها لأيام الصبا وزمانه لو كان أسعف بالمقام قليلا
سل عيش دهر قد مضت أيامه هل يستطيع إلى الرجوع سبيلا

وقال الحسن:

ولذاتى إذ ذاك فى طاعة الجهــــ ل قوتى من الصبا امراء
ترب عيش لربطتى فضل ذبل ولسرائى ذؤابة فرعاء
بقناع من الشباب جديد لم ترقعده بالخضاب النساء
قبيل أن يلبس المشيب عذارى وتبلى عمامتى السوداء

وقال أعرابي:

لله أيام الشباب وعصره لم يستعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره وكذاك أيام السرور قصار

وقال ابن عبد ربه في الشباب:

ولى الشباب وكنت تسكن ظله فانظر لنفسك أى ظل تسكن
ونهى المشيب عن الصبا لو أنه يدلى بحجته إلى من يلقن
ومن قوله فيه:

قالوا شبابك قد مضت أيامه بالعيش قلت وقد مضت أيامى
لله أية نعمة كان الصبا لو أنها وصلت بطوله دوام
حسر المشيب قناعه عن وجهه وصحا العواذل بعد طول ملام
فكان ذاك العيس ظل غمامة وكان ذاك اللهو طيف متام^(١)
وقال آخر:

إن شرح الشباب والشعر الأس ود ما لم يعاض كان جنونا

(١) العقد الفريد ٢/٥٠.

وقال آخر:

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبير

وقال ابن عبيد ربه في الشباب:

كنت إلف الصبا فودعني وداع من بان غير منصرف

أيام لهوى كظل أسحلة وذا شبابي كروضة أنف

ومن قوله في الشباب:

شبابي كيف صرت إلى نفاذ وبدلت البياض من السواد

وما أبقى الحوادث منك إلا كما أبتت من القمر الدآدى

فراقك عرف الأحزان قلبي وفرق بين جفني والرقاد

فيا لتعيم عيش قد تولى وبالقليل حزن مستفاد

كأنى منك لم أربع بربع ولم أرتد به أحلى مراد

سقى ذاك الثرى وبل الثريا وغادى نبتة صوب الغوادى

فكم لى من غليل فيه خاف وكم لى من عويل فيه باد

زمان كان فيه الرشد غيا وكان القى فيه من الرشاد
يقبلنى بسدل من قبسول ويسعدنى بوصل من سعاد
وأجنيه فيعطينى قيادا ويجنبنى فاعطيه قيادى^(١)

وقال مالك بن أسماء:

عيرتنى خلقا أبليت جدته وهل رأيت جديداً لم يعد خلقاً

وقال أبو الأسود:

أفنى الشباب الذى فارقت بهجته من الجديدين من آت ومنطلق

لم يبقيا لى فى طول أختلافهما شيئاً يخاف عليه لذمة الحدق

وغنت جارية أمام معاوية:

أليس عندك شكر للتى جعلت ما ابيض من قادمات الريش كالحمم

وجدت منك ما قد كان أخلقه رب الزمان وصرف الدهر والقدم

(١) العقد الفريد ٥١/٢.

وقال محمود الوراق في الخضاب:

للضيف أن يقرى ويعرف حقه والشيب ضيفك فاقره بخضاب
واقى بالكذب شاهد ولربما واقى المشيب بشاهد كذاب
فأزح شهادته عليك بخضبه تنفى الظنون به عن المرتاب
فإذا دنا وقت المشيب فخله والشيب يذهب فيه كل ذهاب

وقال آخر:

وقائلة تقول وقد رأيتني أرقع عارضى من القشير
عليك الخطر هل لك أن تدنى إلى بيض ترائبهن حور
فقلت لها المشيب نذير عمري ولست مسودا وجه النذير

وقال غيره:

إن شيباً صلاحه بخضاب لعذاب موكل بعذاب
فوحق الشباب لولاه والبييض وأن تشمئز نفس الكعاب
لأرحت الحدين من ضر الخطر وأذنت بانقضاء الشباب

وقال غيره:

بكرت تحسن لى سواد خضابى لكان ذاك يعيدنى لشبابى
وإذا أديم الوجه أخلقه البلا لم ينتفع فيه بحسن خضاب
ماذا ترى يجدى عليك سواده وخلاف ما يرضيك تحت ثيابى
ما الشيب عندى والخضاب لمن أصف إلا كشمس جللت بسحاب
تخفى قليلاً ثم يقشعها الصبا فيصير ما سترت به للهاب

وقال ابن عبد ربه:

أصم فى الغوية أم أنايا وشيب الرأس قد أنضى الشبابا
إذا نصل الخضاب بكى عليه ويضحك كلما نصل الخضابا
كان حمامة بيضاء ظلت تقاتل فى مفارقة غرابا^(١)

قال أبو نواس فى الشيب:

يقولون فى الشيب الوقار لأهله وشيبي بحمد الله غير وقارى

(١) العقد الفرید ٥٢/٢.

وقال غيره:

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل قدر الشيب إن كان كلما بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

وقال أبو دلف:

تهزأت أن رأيت شيبى فقلت لها لا تهزئى من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة وشيبكن له الويل فاكتئبى
فينا لكن وان شيب بدا أرب وليس فيكن بعد الشيب من أرب

وقال محمود الوراق:

وعائب عابنى بشيب لم يعد لما ألم وقته
فقلت للعائى بشيبى يا عائب الشيب لا بلغته

وقال محمود بن منذر:

لا سلام على الشباب ولا حياء الإله الشباب من معهود
قد لبست الجديد من كل شئ فوجدت الشباب شر جديد

صاحب ما يزال يدعو إلى العيب وما من دعا له برشيد
ولنعم المشيب والوازع الشيب ونعم المفاد للمستفيد^(١)

وقال أعرابي:

سلنى أنبئك بأيات الكبر
نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلعة الزاد إذا الزاد حضر
وتركك الحستاء من قبل الظهر
والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقال أعرابي:

أشكو إلى الله رجعاً بركبتى
وهدجاناً لم يكن فى مشيتى
كهدجان الزحلف المسبقة

(١) المقدم الفريد ٥٢/٢.

وقال آخر:

وللكبير رأبان أربع الركبتان والنسا والأخدع

وقال جرير:

تحبى العظام الراجفات من البلا وليس لداء الركبتين دواء

وقال أعرابي في امرأة:

يا بكر حواء من الأولاد وأقدم العالم في الميلاد

عمرك ممدود إلى التناد فحديثنا بحديث عساد

ومبتدا فرعون ذى الأوتاد وكيف جاء السيل بالأطواد

وقال آخر:

إذا عاش الفتى سبعين عاما فقد ذهب المسرة والغناء^(١)

وقال محمد بن متاذر في رجل من المعمرين:

إن معاذ بن مسلم رجل قد ضج من طول عمره الأهد

(١) العقد الفريد ٥٤/٢.

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهسر وأثواب عمره جدد
يانسر لقمان كيف تعيش وكم تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربت وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها إذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد

ودخل الشعبي على عبد الملك بن مروان، فوجده قد كبا مهتما،
فقال: ما بال أمير المؤمنين؟ قال: يا شعبي ذكرت قول زهير:

كأني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عنى عذار لجامي
رمتني ينات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنني أرمى بنبل رأيتها ولكنني أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة وعلى العصا أنوء ثلاثا بعدهن قيامي
قال له الشعبي: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال ليبيد
بن ربيعة، وقد بلغ سبعين سنة:

كأني وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عن منكبي ردا تيا
فلما بلغ سبعا وسبعين قال:

باتت تشكى إلى النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزدى ثلاثا تبغى أملا وفي الثلاث وفاء للثمانينا
فلما بلغ مائة سنة قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الخلق كيف ليبد
فلما بلغ مائة سنة وعشرا قال:
أليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر
فلما بلغ ثلاثين ومائة وقد حضرته الوفاة قال:

تمنى بناتى أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربعة أو مضر
فقوما وقولا بالذى تعلمانه ولا تخمسا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضع ولا خان الخليل ولا عذر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

* * *

قال الشعبي: فقد رأيت السرور فى وجه عبيد الملك طمعا أن
يعيشها. وقال ليبد أيضا: (١)

(١) العقد الفريد ٥٥/٢.

أليس ورائي أن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأنى كلما قمت راعع
فأصبحت مثل السيف أخلق جفنه تقادم عهد الجفن والنصل قاطع
وقال الشاعر:

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر

وقال حميد بن ثور الهلالي:
أرى بصرى قد رأيتى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما
وقال آخر:

كانت قناتى لا تلين لغامز فألانها الإصباح والامساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحنى فإذا السلامة داء
وقال بعض المحدثين:

يحيفنى عضوا فعضوا قلم يدع صحيحا سوى اسمى وحده ولسانى

ولو كانت الأسماء يدخلها البلى إذا بلى اسمى لامتداد زمانى
ومالى لا أبلى لسبعين حجة وسبع أتت من دونها سنتان
إذا عن لى شئ تخيل دونه شبيه ضباب أو شبيه دخان

وقال الغزالي:

أصبحت والله محمودا على أمد من الحياة قصير غير ممتد
حتى بقيت بحمد الله فى خلف كأننى بينهم من وحشة وحدى
وما أفارق يوما من أفارقه إلا حسبت فراقى آخر العهد^(١)

وقال آخر:

يا من لشيخ قد تخدر لحمه أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة ويرد مغروف وأجد لونا بعد ذاك هجانا
قصر اللبالي خطوه فتدانى وحنون قائم صلبه فتحانا
والموت يأتى بعد ذلك كله وكأنما يعنى بذاك سوانا^(١)

(٢) العقد الفرید ٥٧/٢.

(١) العقد الفرید ٥٦/٢.

أوهام الكهنة

قال صاحب نهاية الأرب:

وكانت كهنة العرب^(١) لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع وبأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم، ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام، فمنعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) فعند ذلك انقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحي، فمن أخبار الكهنة، خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يعالج الموت، فأخبره خبر ما جاء لأجله، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شرقة، وخدمت نار فارس، ولم تكن قد خدمت قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، ورأى الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا عربا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح كسرى تصبر تشجعاً ثم رأى أن لا يكتفم ذلك عن وزرائه ومرزبته، فلبس تاجه،

(١) العقد الفريد ١٢٨/٢.

وقعد على سريره، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار فازداد غمّاً وسأل الموبدان وكان أعلمهم فقال: حادث يكون من قبل العرب، فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر: أن وجه إلى رجلاً عالماً بما أريد أن أسأله عنه فوجد إليه عبد المسيح بن حسان بن نفيلة الغساني فقال له كسرى: أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: ليخبرني الملك فإن كان عندي منه علم، وإلا أخبرته بمن يعلمه، فأخبره بما رآه فقال: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارق الشام يقال له: سطيح، فأرسله كسرى إليه فورد على سطيح وقد أشفي على الموت فسلم عليه وحيّاه فلم يحر سطيح جواباً فأنشد يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن

أم فاز فازلم به شأر العتن؟

يا فاصل الخطة أعييت من ومن

وكاشف الكربة عن وجه الغضن

أتاك شيخ الحسى من آل مسن

وأمه من آل ذنّب بن حجّين

أزرق ممهى الناب صرار الأذن

أبيض فضفاض الرداء

رسول قبيل العجم يسرى بالوسن
لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
يجوب فى الأرض على ذات شجن
ترفعنى وجنا وتهوى بى وجن
حتى أتى عارى الجاجى والقطن
تلفه فى الريح بوغاء الدمن
كأنا حثث من حضنى تكن^(١)

ففتح سطيح عينيه ثم قال: عبد المسيح، على جملر مشيح، أتى إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا المويضان؛ رأى إبلاً صعباً، تقود خيلاً عرباً، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس، يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وفاض وادى السماوة، وغاصت بحيرة ساوه، وخمدت نار فارس؛ فليس الشام لسطيح شاما، ولا بابل للفرس مقاما، يملك فيهم ملوك وملكات، بعدد الشرفات، وكل ما هو آت آت، ثم قضى سطيح لوقته، فنار عبد المسيح إلى رحله وهو يقول:

(١) نهاية الأرب ٣/١٢٩.

شمر فإنك ماضى العزم شمير لا يفزعنك تفریق وتغيير
إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم فإن ذا الدهر أطوار دهارير
فربما ربما أضحوا بمنزلة تهاب صولهم الأسد المهاصير
منهم آخر الصرح بهرام وإخوته والهزمزان وسابور وشابور
والناس أولاد علات فمن علموا أن قد أقل فمحقور ومهجور
وهم بنو الأم أما أن رأوا نشبا فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشر مقرونان فى قرن فالخير متبع والشر محذور
فلما قص الخبر على كسرى قال: إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون
أمور؛ فملك منهم عشرة فى أربع سنين، وملك الباقيون إلى زمن
عثمان رضى الله عنه^(١).

ومن أخبارهم: أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تطرقت
وتكهننت وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه، روى عنه أنه قال:
لما زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته رقية من عتبة بن أبى لهب
وكانت ذات جمال رائع، دخلتنى الحسرة أو كالحسرة أن لا أكون سبقت

(١) نهاية الأرب ٣/١٣٠.

إليها ثم لم ألبث أن انصرفت إلى منزلي فالفيت خالتي فلما رأته
قالت:

أبشر وحببت ثلاثا تترى
ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
ثم بأخرى كى تتم عشرا
أتاك خير ووقيت شرا
نكحت والله حصانا زهرا
وأنت بكر ولقيت بكرا
واقبته بنت نفيس قدرا
بنت نبي قد أشاد ذكرا

قال عثمان: فعجبت من قولها، وقلت: ماذا تقولين: فقالت:

عثمان يا ابن أخت يا عثمان
لك الجمال ولك البيان
هذا نبي معه البرهان
أرسله بحقه الديان

وجاء التنزيل والفرقان

فاتبعه لا تحتالك الأوثان

فقلت: يا خالدة! إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدتنا فأثبتيه لى، فقالت: إن محمد بن عبد الله رسول من عند الله، جاء بتنزيل الله، يدعو إلى الله، مصباحه مصباح، وقوله صلاح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، وقرنه نطاح، ذلت له البطاح، ما ينفع الصباح، لو وقع الذباح، وسلت الصفاح، ومدت الرماح، قال: ثم قامت قانصرفت ووقع كلامها في قلبي، وجعلت أفكر فيه، وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه رقية؛ فكان يقال: إنهما أحسن زوجين اتفاقاً وجمالاً^(١).

ومنها أن هنداً بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة، وكان من فتيان قريش، وكان له بيت الضيافة، خارجاً من البيوت، تغشاه الناس من غير إذن؛ فخلا البيت ذات يوم واضطجع هو وهند فيه، ثم نهض لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فوجده، فلما رآها ولى هارباً وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال لها: من هذا الذى خرج من عندك؟ قالت: ما رأيت أحداً، ولا انتبهت حتى أنبهتني! فقال لها: ارجعى إلى أبيك، وتكلم الناس فيها، فقال

(١) نهاية الأرب ٣/١٣١.

لها أبوها: يا بنية! إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله، فتقطع عنك المقالة، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض الكهان، فقالت: لا والله! ما هو على بصادق! فقال له: يا فاكه! إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم، فحاكمنى إلى بعض كهان اليمن: فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم، وخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف، ومعهم هند ونسوة، فلما شارفوا البلاد، وقالوا: غدا نرد على الرجل، تنكرت حال هند، فقال لها عتبة: إنى أرى ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فهلا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا؟ فقالت: لا والله! ولكنى أعرف أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب ولا أمانة أن يسمنى ميسما يكون على سبة فقال: إنى سوف أختبره لك، فصفر لفرسه حتى أدلى ثم أدخل فى إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدوا قال له عتبة: قد جئناك فى أمر وقد خباننا لك خبيثاً أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال ثمرة، فى كمره. قال إنى أريد أبين من هذا، قال: حبة، فى إحليل مهر، قال: انظر فى أمر هؤلاء النسوة، فجعل يذنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، انهضى، حتى دنا من هند فقال لها: انهضى غير رسحاء ولا زانية، ولتلدن ملكا اسمه معاوية! فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت: إليك عنى فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك؛ فتزوجها أبو سفيان^(١).

(١) نهاية الأرب ١٣٢/٣

ومنها. أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المناهزة، فقال هاشم: إني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق، تنحرها بمكة أو الجلاء عن مكة عشر سنين، فرضى أمية وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن وخرجا إليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا: نخبأ له خبئاً فإن أصابه تحاكمنا إليه، وإن لم يصبه تحاكمنا إلى غيره، فوجدوا أبا همهمة وكان معهم أطباق جمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأنأخوا بيابه وكان منزله بعسفان: فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبئاً فأنبئنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بتهماة من تهمة، وما بنجد من أكمة، لقد خبأتم لي أطباق جمجمة، مع الفلندج أبي همهمة: فقالوا: صدقت احكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتاً ونفساً، قال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أولاً منه وآخر؛ فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين؛ فيقال: إنها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين بني أمية.

ومنها: أن بني كلاب وبني نضر خاصموا عبد المطلب في مال قريب من الطائف فقال عبد المطلب: المال مالي فسلوني أعطكم، قالوا: لا،

قال: فاختراروا حاكماً قالوا: ربيعة بن حذار الأسدي، فتراصوا به وعقلوا مائة ناقة في الوادي وقالوا: الإبل والمال لمن حكم له، وخرجوا وخرج مع عبد المطلب حرب بن أمية فلما نزلوا بربيعة بعث إليهم بجزائر فتحرها عبد المطلب، وأمر فصنع جزرا وأطعم من أتاه، ونحر الكلابيون والنضريون ووشقوا فقيلاً لربيعة فقال: إن عبد المطلب امرؤ من ولد خزيمه فمتى يملق يوصله بنو عمه وأرسل إليهم أن اخبأوا لي خبيثاً فقال: عبد المطلب؛ قد خبأت كلباً اسمه سوار في عنقه قلادة، في خرزة مزادة، وضممتها بعين جرادة، فقال الآخرون: قد رضينا ما خبأت وأرسلوا إلى ربيعة فقال: خبأ ثم خبيثاً حياً، قالوا: زد، قال: ذو برثن أعبر، وبطن أحمر، وظهر أغمر قرمت؛ قال: سما فسطع، ثم هبط فلطع، فترك الأرض بلقع، قالوا: قرمت فطبق قال: عين جرادة، في خرزة مزادة، في عنق سوار ذي القلادة، قالوا: زه زه أصبت فاحكم لأشدنا طعناً وأوسعنا مكاناً، قال عبد المطلب: احكم لأولانا بالخيرات، وأبعدنا عن السورات وأكرمنا أمهات، فقال ربيعة: والغسق والشفق، والخلق المتفق، ما لبني كلاب وشي رباب من حق، فانصرف يا عبد المطلب على الصواب، ولك فصل الخطاب، فوهب عبد المطلب المال لحرب بن أمية^(١).

(١) نهاية الأرب ١٣٣/٣

- سحر البيان:

روى عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما قال: وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، فقال الزبيرقان: يا رسول الله: أنا سيد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ له بحقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك - يعنى عمراً - فقال عمرو: أجل يا رسول الله، إنه مانع لحوزته، مطاع فى عشيرته، شديد العارضة فيهم.

فقال الزبيرقان: أيها إنه والله قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدنى شرفى! فقال عمرو، أما لئن قال ما قال، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن زمن المروعة أحرق الأب لثيم الخال، حديث الغنى؛ فرأى الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله، فقال: يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت وعضيت: فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت فى الأولى، وقد صدقت فى الثانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من البيان لسحراً. وإن من الشعر لحكمة) ويروى لحكما، والأول أصح. والذي روى أهل الثبت من هذا الحديث أنه قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان سحراً، أو من بعض البيان لسحراً^(١).

(١) جوزة الرجل: ما يجزره ويلكه، العارضة: البديهة وقوة الكلام، العطن: المناخ حول الورد، وضيق العطن كناية عن البخل، زمن: بالى. زهر الآداب وثمر الألباب ٣٨/١.

وهذا تعليق رائع يدل على تذوق الرسول صلى الله عليه وسلم
العالي فى كلام العرب.

وعمر بن الأهتم هو عمرو بن سنان بن تميم، وسمى الأهتم لأن
قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الدير ضربه بقوسه فهتم فاه. هذا قول
ابن قتيبة. وقال غيره بل هتم فوه يوم الكلاب الشانى، وهو يوم كان
لبنى تميم على أهل اليمن، وكان عمرو يلقب المكحل لجماله، وينو
الأهتم أهل بيت بلاغة فى الجاهلية والاسلام، وكان يقال: الخطابة فى
آل عمرو بن الأهتم وكان شعر عبد الله ابنه حلاً منشرة عند الملوك
تأخذ منه ما شئت، وهو القائل:

ذرىنى فإن البخل يا أم مالك لصالح أخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق^(١)

والزبرقان اسمه حصن بن بدر، وسمى الزبرقان لجماله، والزبرقان

(١) هذا البيت ورد أيضاً فى أبيات بشار التى مطلعها:
خيلى إن العسر سوف يفتق وإن يسارا فى غد لخلق
وفى القاموس مادة زبرق (زبرق ثوبه) صيفه بصفرة أو حمرة والزبرقان بالكسر: القمر،
والخفيف اللحية، ولقب حصن بن بدر الصحابى، لجماله أو لصفرة عمامته.

القمر، وقيل لأنه كان يزبرق عمامته، أى يصغرها فى الحرب؛ وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال ويقولون: اللفظ الجميل من إحدى النفثات فى العقد.

وهذان البيتان غاية فى الروعة فى المعانى، والألفاظ، والتناول والسهولة فى اللفظ والنظم.

وذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قدم عليه وفود أهل كل بلد، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز، فاشرب منهم غلام للكلام، فقال عمر: يا غلام! ليتكلم من هو أسن منك! فقال الغلام: يا أمير المؤمنين! إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد أجاد له الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان ها هنا من هو أحق بمجلسك منك! فقال عمر: صدقت، تكلم فهذا السحر الحلال. فقال يا أمير المؤمنين! نحن وقد التهنئة، لا وقد المرزئة، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأننا قد أمنا فى أيامك ما خفنا، وأدركنا ما طلبنا.

فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر سنين.

المصادر والمراجع

- البخلاء الجاحظ، تحقيق دكتور طه الحاجري، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٩٠م.
- بهجة المجالس وأنس المجالس، وشهد الذاهن والهاجس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النعري القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، مراجعة دكتور عبد القادر القط، القاهرة.
- البيان والتميم، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، حققه وشرحه حسن السندوي، القاهرة ١٣٦٦ هـ، ١٩٤٧م.
- نمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٨٥م.
- نجرم الأغانى، ابن واصل الحموي، تحقيق دكتور طه حسين، إبراهيم الإيباري، القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.
- مجالس لعلي، أبو العباس أحمد بن يحيى لعلي، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٠م.
- مجموع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣١٠ هـ.
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق علي محمد الجازي، القاهرة، ١٩٨١م.
- الحماسة الشجرية، ابن الشجري هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني، تحقيق د. بد المنين الملوحى، دمشق، ١٩٧٠م.
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٨م.
- خزائن الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٠٤ هـ.
- خزائن الأدب ولب لبان لسان العرب، عبد القادر بن عمر اليفنادي، القاهرة، ١٣٤٧ هـ.
- مختارات الشعر الجاهلي، عبد المتعال الصعيدي الطبعة الثانية، ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٥م القاهرة.
- مختارات أشعار العرب، ابن الشجري.
- مختار العقد الفريد، مراجعة محمد محمود القاهرة.

- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني؛ ابن منظور محمد بن مكرم، تحقيق إبراهيم الإياري، عبد العزيز محمد، دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٣٨٥، ١٩٦٥ م.
- اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، تحقيق دكتور محمود شاكر القطان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م، ١٩٨٥ م، القاهرة.
- المختار من كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، أبو القاسم حسين بن محمد المعروف، بالرأغب الأصبهاني، اختيار أنور الجندی، مراجعة علي الجندی، القاهرة، ١٩٦٠ م.
- ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق محمد جبار المسيد، بغداد، ١٩٦٩ م.
- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، الطبعة الثالثة، الرابعة الخامسة، القاهرة، سنة ٨٢، ٨٣، ١٩٨٧ م.
- ديوان أبي دلالة الأسدي، إعداد دكتور علي حسن، عمان، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٥ م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالبيان في شرح الديوان، ضبط مصطفى السقا، إبراهيم الإياري، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٣٩١ هـ، ١٩٧١ م.
- ديوان أبي العتاهية، بيروت، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.
- ديوان أبي نواس، الحسن بن هاني، أنرف على التحقيق عزيز أباطة، القاهرة، ١٩٥٣ م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق دكتور عبد الحفيظ السطلي، دمشق، ١٩٧٧ م.
- ديوان أوس بن حجر، تحقيق دكتور محمد يوسف نجم، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
- ديوان البحري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، الطبعة الأولى، الثانية، الثالثة، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ديوان بديع الزمان الهمذاني، تحقيق يسري عبد الغني عبد الله، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
- ديوان ابن الدمينة، صنعة أبي العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد إنب النفاخ، تصدير محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٩ م.
- ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تحقيق دكتور حسين نصار، القاهرة، ١٣٩٣، ٧٣ - ١٩٧٩ م.
- ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق دكتور نعمان محمد أمين طه، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- ديوان جميل بثينة، تعليق دكتور حسين نصار، القاهرة.
- ديوان حاتم الطائي، بيروت.

- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق دكتور سيد حنفي حنين، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- ديوان الحطينة، شرح ابن السكيت، والسكري، تحقيق نعمان أمين طه.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي، شرح عبد العزيز الميمنى، القاهرة، ١٣٧١ هـ، ١٩٥١ م.
- ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، شرح دكتور محمد عبد المنعم عفاجي، القاهرة، ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٥ م.
- ديوان الأخطل، شرح مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م.
- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق دكتور عمر عبد الرسول، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- ديوان دعلج بن علي الخزاعي، تحقيق عبد الصاحب عمران الدجيلي، بيروت، ١٩٧٢ م.
- ديوان ذي الرمة، تحقيق دكتور عبد القدوس أبو صالح، دمشق، ١٩٧٢.
- ديوان الراعي الثميري، بيروت، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٠ م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، كرم البستاني، بيروت، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م.
- ديوان السمورل، بيروت.
- ديوان سحيم، عبد بنى الحساس، تحقيق عبد العزيز الميمنى، القاهرة، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٥ م.
- ديوان أشعار الأعرابي العباس، عبد الله بن محمد بن المعتز بالله، تحقيق دكتور محمد بدیع شريف، القاهرة، ١٩٧٧ م، ١٩٧٨ م.
- ديوان شعر بشار بن برد، جمع وتحقيق السيد بشر الدين العلوي، بيروت.
- ديوان شعر الخوارج، جمع وتحقيق دكتور إحسان عباس، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢، ١٩٨٢ م، بيروت.
- ديوان الشماخ بن خرار الديباني، تحقيق صلاح الدين الهادي، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ديوان طرفة بن العبد، شرح مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، بيروت، ١٩٥٨ م.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق دكتور محمد يوسف نجم، بيروت، ١٣٧٨ هـ، ١٩٥٨ م.
- ديوان العباس بن مرداس المسلمي، تحقيق دكتور يحيى الجبوري، بغداد، ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ م.
- ديوان العرجي، تحقيق خضر الطائي، رشيد العميدي، بغداد، ١٣٧٥ هـ، ١٩٥٦ م.
- ديوان عمرو بن لويد، شرح كرم البستاني، بيروت، ١٩٥٣ م.

- ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة الخرومي، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.
- ديوان عنتره، بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
- ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
- ديوان الفرزدق، شرح على فاعود، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٩٧هـ، ١٩٨٧م.
- ديوان القطامي، تحقيق دكتور إبراهيم السامرائي، بيروت، ١٩٦٠م.
- ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكيت وغيره، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
- ديوان قيس بن الملوح العامري، جمع الامام أبي بكر الوراق.
- ديوان كثير عزة، جمع دكتور إحسان عباس، بيروت، ١٣٩١، ١٩٧١م.
- ديوان الكميت بن زيد الأسدي، تقديم محمد شاكر النابلسي.
- ديوان لبيد ربيعة العامري، بيروت.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ديوان مروان بن أبي حفصة، تحقيق دكتور حسين صابر، القاهرة.
- ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ديوان الهذليين، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- الرمة شاعر الحب والصحراء، دكتور يوسف خليف، القاهرة، ١٩٧٠.
- بل الأمانى، أبو علي الفاي، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
- مراجعات في الآداب والفنون، عباس محمود العقاد، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٦.
- رسائل بدیع الزماني الهمداني، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.
- رسائل الجاحظ، جمع حسن السنوسي، القاهرة، ١٩٢٣.
- رسالة الصاهل والشايع، أبو العلاء المعري، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطيء، ثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- رسالة القفران، أبو العلاء المعري، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤م.

- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، القاهرة، ١٩٣٦ م.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، محمد عبد الرزاق جمعة، محمد حامد الفقي، القاهرة، ١٣٦٨ هـ، ١٩٤٩ م.
- الروائع من الأدب العربي، الجزء الأول، العصر الجاهلي، إشراف ومراجعة د. يوسف خليف، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحق الحمصري القيرواني، شرح الدكتور زكي مبارك، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٥٠ هـ، ١٩٣١ م.
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو العلاء المعري، معجز أحمد، تحقيق د. عبد الحميد دياب، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- شرح ديوان أبي نواس، إيليا الحاوي، بيروت، ١٩٨٧ م.
- شرح ديوان جرير، محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مضافاً إليه تفسيرات أبي جعفر محمد بن حبيب، دمشق، بيروت.
- شرح ديوان جميل بثينة، سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، بيروت.
- شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، تحقيق أحمد أمين، عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧١ هـ، ١٩٥١ م.
- شرح ديوان الأخطل، إيليا سليم الحاوي، بيروت، ١٩٧٩ م.
- شرح ديوان المختار، بيروت.
- شرح ديوان ذي الرمة، غيلان ابن عقبة العدوي، تعليق سيف الدين الكاتب، أحمد عثمان الكاتب، بيروت.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، تعليق، القاهرة، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.
- شرح ديوان صريح الغواني، مسلم بن الوليد الأنصاري، تحقيق د. سامي الدهان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة الخزومي، محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٥ م.
- شرح ديوان الفرزدق، شرح إيليا الحاوي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٧ م.
- شرح ديوان كعب بن زهير، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري، القاهرة، ١٣٦٩ هـ، ١٩٥٠ م.

- شرح ديوان أبيد بن ربيعة العامري، تحقيق د. إحسان عباس، الكويت، ١٩٦٢ م.
- شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوي، القاهرة.
- شروح سقط الزند، تحقيق مصطفى السقا، عبد الرحيم محمود، عبد السلام هارون، إبراهيم الإياري، حامد عبد المجيد، إشراف الدكتور طه حسين، القاهرة، ١٣٨٢ هـ، ١٩٦٤ م.
- شرح المشكل من شعر المتنبي، علي بن إسماعيل بن سبدة، تحقيق مصطفى السقا، دكتور حامد عبد المجيد، القاهرة، ١٩٧٦ م، ١٩٨٠ م.
- شرح المعلقات السبع، الإمام القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين الزوزني، القاهرة، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧١ م.
- شرح المفضليات، أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني التبريزي، تحقيق علي محمد البخاوي، القاهرة، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧ م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م.
- شرح القصائد العشر، أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، تصحيح عبد السلام الحوفي، بيروت ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
- شرح مقامات بديع الزمان الهمداني، أبي الفضل أحمد بن الحسين، بديع الزمان الهمداني، محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت.
- شعر الأعراس الأنصاري، حققه عادل سليمان جمال، قدم له دكتور شوقي ضيف، القاهرة، ١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠ م.
- الشعراء المخضرمون، دكتور عبد الحليم حفني، القاهرة، ١٩٨٣ م.
- شعر خفاف بن ثدية، جمع وتحقيق دكتور نوري حمودي القيسي، بغداد، ١٩٦٧ م.
- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، دكتور عبد بنوي، القاهرة، ١٩٨٨ م.
- الشعراء الصعاليك، في العصر الأموي، دكتور حسين عطوان، القاهرة، ١٩٧٠ م.
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دكتور يوسف خليف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٦ م.
- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، دكتور عبد الحليم حفني، القاهرة، ١٩٧٩ م.
- الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري، دكتور محمد مصطفى هدارة، القاهرة، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.
- شعر علي بن جبلة، المأثب بالعموك، حققه دكتور حسين عطوان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، جمع وتحقيق مطاع الطرايشي، دمشق، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٣ م.

- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، دكتور النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- شعر مروان بن أبي حفصة، حققه دكتور حسين عطوان، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دكتور شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٩م.
- شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي، دكتور أحمد كمال دكي، القاهرة، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
- شياطين الشعراء، دكتور عبد الرزاق حميدة، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.
- الأسمعيات، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصبغي، تحقيق أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦م.
- المصون في الأدب، أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، القاهرة.
- المصون في سر الهوى المكتون، أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق دكتور محمد عارف محمود حسين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨١م.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- التطور والتجديد في الشعر الأموي، دكتور شوقي ضيف، الطبعة الثامنة، القاهرة، ١٩٨٧م.
- معجم الشعراء، عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.
- عصر المأمون، دكتور أحمد فريد رفاعي، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.
- العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإيباري، القاهرة، ١٣٥٩هـ، ١٩٤٠م.
- العملة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.
- عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، القاهرة، ١٩١٤م.

- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، إعداد لجنة نشر كتاب الأغاني، إشراف محمد أبي الفضل إبراهيم القاهرة.
- الفاعرة، أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، تحقيق عبد المليم الطهطاوي، مراجعة محمد علي النجار، القاهرة، ١٩٧٤م.
- المفصل في تاريخ الأدب العربي، أحمد الإسكندري، أحمد أمين، علي الجارم، عبد العزيز البشري، أحمد ضيف الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٣٦.
- الفاضل، المبرد، القاهرة، ١٩٥٦م.
- المفضليات، المفضل بن محمد بن علي الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٨٣م.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب لغيروزيادي القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م.
- مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمداني وشرحها، الشيخ محمد عبده، تقديم جمال الفيضاني، القاهرة ١٩٨٨م.
- كتاب الخلاء، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تصحيح أحمد العوامري، علي الجارم، القاهرة، ١٩٤٠م.
- كتاب شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، راجعة محمود محمد شاكر القاهرة، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.
- كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ناصيف اليازجي، بيروت، ١٣٠٥هـ.
- كتاب الأسالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم الثعالبي البغدادي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٢٤هـ.
- كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى، زاده في حواشيه محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٦٣م.
- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، القاهرة، ١٣٥٥هـ. تحقيق لجنة من العلماء، ونسخة أخرى تحقيق دكتور زكى مبارك، القاهرة، ١٩٣٦م.
- المستع في صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلي القيرواني، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام، الإسكندرية، ١٩٨٠م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمد بن عبد الكريم، ابن الأثير الموصلى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٥٨، ١٩٣٩م.
- من غاب عنه المطرب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق دكتور النبوي عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

- المنتخب من أدب العرب، الجزء الثاني، جمعة وشرحه طه حسين، أحمد الإسكندري، أحمد أمين، علي الجارم، عبد العزيز البشري، أحمد ضيف، القاهرة، ١٩٣٤ م.
- نقائض جرير والأخطل، أبو تمام، تعليق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، ١٩٢٢ م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البنوري، تصحيح... أحمد الزين، القاهرة، ١٩٨٥ م.
- مهذب الأغاني، محمد الخضري، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٢٦ م.
- تهذيب الكامل في اللغة والأدب السباعي بيومي، القاهرة، ١٣٤١ هـ، ١٩٢٣ م.
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم حسن بن بشر يحيى الأمدى البصري، محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٤٤ م ونسخة أخرى تحقيق السيد أحمد بسقر، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٨٢ م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، علي بن عبد العزيز الحرجاني، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- لسان العرب، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، القاهرة.
- يتممة، الدهر في محاسن أهل مصر، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٧٧ .

محتوى الدراسة

رقم الصفحة	الموضوع
١١	الفصل الأول: المقامة القريضية
٢١	الفصل الثاني: امرؤ القيس
١٢٢	الفصل الثالث: النابغة الذبياني
١٧٢	الفصل الرابع: زهير بن أبي سلمى
٢٠٢	الفصل الخامس: طرفة بن العبد
٢٢٢	الفصل السادس: جرير والفرزدق
٢٢٥	جرير
٢٤٨	الفرزدق
٢٩١	الفصل السابع: القمئة والمحدثون
٣١٢	الفصل الثامن: الألفاظ والمعاني في المقامة القريضية وعلاقتها بالشعر القديم
٣٦١	الفصل التاسع: المقامة الغيلانية تحليل وتقديم
٣٧١	الفصل العاشر: الصلتان، البعيث، ذو الرمة
٣٧٢	الصلتان العبدى
٣٧٧	البعيث
٣٧٩	ذو الرمة
٣٩٠	اليكاء على الأطلال في الشعر العربي
٣٩٩	قصائد الهجاء السائرة
٤١٩	الفصل الحادى عشر: الألفاظ والمعاني في المقامة الغيلانية وعلاقتها بالشعر القديم

Bibliotheca Alexandrina



0352881

To: www.al-mostafa.com